بازرسی شد
۳۷ - ۳۶

۳۴۵۰

کتابخانه مجلس شورای ملی
کلد تفسیر
مؤلف
موضوع
۷۳۲۵
۷۳۵۰
۸۱۱۹

بازدید شد
۱۳۸۲

Talk vasm 088

۲۹۲۴

سورة مريم ثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرأ الحسن ذكّر رحمة ربك اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكّر على الامر راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيّان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او اسرّه من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قرئ وهن بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحّده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ادغم السين في الشين ابو عمرو وشبّه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسّل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذي

احسنت

احسنت اليّ وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه من وراءي بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت الذين يلون الامر من ورائي وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفّت الموالي من ورائي وهذا على معنيين احدهما ان يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي قلّوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفّت ويريد انهم خفّوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد من لدنك تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف او اراد اختراعا منك بلا سبب لاني وامرأتي لا نصلح للولادة يرثني ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردءا يصدقني وعن ابن عباس رضي الله عنهما والجحدري يرثني وارث آل يعقوب او يرث على تصغير وارث وقال الجحدري اي غليّم صغير وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود [illegible]

يحيى قبله وهذا شاهد على أن الأسامي الشنع جديرة بالأثرة وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم شنع الأسامي مسبلي أزر حمر تمس الأرض بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه أنا ابن العجاج قال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها من مجاهد هو كقوله هل تعلم له سميا وإنما قيل للمثل سمي لأن كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في أسمائهم يعمر ويعيش إن كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت أيضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في أنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وأنه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان حصورا وامرأتي عاقرا أي كانت على صفة العقر حين أنا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين أفحين اختل السببان جميعا أرزقه فإن قلت لم طلب أولا وهو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما أسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما أجيب به فيزداد المؤمنون إيقانا ويرتدع المبطلون وإلا فمعتقد زكريا عليه السلام أولا وآخرا كان على منهاج واحد في أن الله غني عن الأسباب وقد بلغت من الكبر عتيا أي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن في السن العالية أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود رضي الله عنه بفتحهما فيهما وقرأ أبي ومجاهد عسيا كذلك الكاف رفع أي الأمر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك أو نصب بقال وذلك إشارة إلى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن

وهو

وهو علي هين ولا يخرج هذا إلا على الوجه الأول أي الأمر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ووجه آخر وهو أن يشار بذلك إلى ما تقدم من وعد الله لا إلى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين أي قال هو علي هين قال وهو علي هين وإن شئت لم تنوه لأن الله هو المخاطب والمعنى أنه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لأن المعدوم ليس بشيء أو شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله إذا رأى غير شيء ظنه رجلا وقرأ الأعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك آية أي اجعل لي علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به قال آيتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم دل ذكر الليالي هنا والأيام في آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن أوحى أشار عن مجاهد ويشهد له إلا رمزا وعن ابن عباس رضي الله عنهما كتب لهم على الأرض سبحوا صلوا أو على الظاهر وأن هي المفسرة أي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يقال حكم حكما وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لأن الله أحكم عقله في صباه وأوحى إليه حنانا رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفا وشفقة أنشد سيبويه وقالت حنان ما أتى بك ههنا أذو نسب أم أنت بالحي عارف وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكاة الطهارة وقيل الصدقة أي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم سلم الله عليه في هذه الأحوال قال ابن عيينة إنها أوحش المواطن إذ بدل من مريم بدل الاشتمال لأن الأحيان مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها

مكانا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو شيء يسترها وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها فإذا طهرت عادت إلى المسجد فبينا هي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سويا سوي الخلق لم ينتقص من صورة الآدمية شيئا أو حسن الصورة مستوي الخلق وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فأتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل إن النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل عليه السلام لأن الدين يحيا به وبوحيه أو سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك أنت روحي وقرأ أبو حيوة روحنا بالفتح لأنه سبب لما فيه روح العباد وإصابة الروح عند الله الذي هو عدة المتقين في قوله فأما إن كان من المقربين فروح وريحان أو لأنه من المقربين وهم الموعودون بالروح أي مقربنا وذا روحنا أرادت إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عائذة به منك

كقوله

كقوله بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين أي إنما أنا رسول من استعذت به لأهب لك غلاما لأكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف إنما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك أو هي حكاية لقول الله عز وجل جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه كقوله من قبل أن تمسوهن أو لامستم النساء والزنا ليس كذلك إنما يقال فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فأدغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر ولنجعله تعليل معلله محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك أو كان أمرا حقيقا بأن يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والألطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين عن ابن عباس رضي الله عنهما فاطمأنت إلى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة أشهر وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى صلوات الله عليه وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل

وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به الى احتملت له وهو في بطنها كقوله تدوس
بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تنبت بالدهن
اي تنبت ودهنها فيها قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل
وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا
خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه
جبريل عليه السلام فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها فاجاءها منقول
من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا ترى انك لا تقول جئت المكان
واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء
ولم تقل اتيت المكان وآتانيه فلان وقرا ابن كثير في رواية المخاض بالكسر
يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع لتستتر به
وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها راس ولا ثمر
ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو اما ان يكون من تعريف الاسماء
الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم
عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل
واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها
الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان
النخلة اقل شيء صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الامور
فيها اختارها لها والجاها اليها قوله يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت بالضم والباقون بالكسر يقال مات يموت
ومات يمات النسي ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح
اسم ما من شانه ان يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب
اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساءكم اي الشيء اليسير نحو العصا والقدح
والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شانه وحقه ان ينسى في العادة
وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط
الحياء والتشوير من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله
تعالى او لشدة التكليف عليها اذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة
وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام
دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر تستحق
به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا تعاب به
ويعنف بسببه او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرا ابن وثاب والاعمش
وحمزة نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر
والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرا محمد بن كعب القرظي
نسئا بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته ونزارته وقرا
الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر من تحتها هو جبريل
عليه السلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى صلوات الله
عليه وهي قراءة عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري
من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها الا تحزني
وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك او عيسى
وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرا زر وعلقمة فخاطبها من تحتها
سريا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول قال لبيد
فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل
هو من السرو والمراد عيسى عليه السلام ومن الجنس كان والله حبلا ساس نيا
فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب
قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث
انهما معجزتان يريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها
مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة عن العادات خارقة لما
الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها بلا فحل ليس ببدع من شانها
تساقط فيه تسع قراءات تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط
بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط
التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراءة وعن
المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد
كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم او على معنى افعلي الهز به كقوله
يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك
التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض
خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن
سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين
احدهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى
قوله فكلي واشربي وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك
ما احزنك واهمك وقرئ وقري بالكسر لغة نجد فاما ترين بالهمز ابن الرومي
عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبات بالحج وحلات السويق وذلك لتاخ بين الهمزة
وحرف اللين في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك
رضي الله عنه وقيل صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله بان تنذر
الصوم ليلا تشرع مع البشر المتهمين لها في كلام لمعنيين احدهما ان عيسى صلوات الله عليه
يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومنا قلتهم
وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل
اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق انسيا اي
اكلم الملائكة دون الانس فريا بديعا وهو من فري الجلد يا اخت هرون وكان اخاها
من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينهما وبينه
الف سنة واكثر وهو الذي كانت من اولاده وانما قيل اخت هرون كما
يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها
به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان
هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا
كنا نشبهك بهرون هذا وقرا عمرو بن لجاء التميمي ما كان ابوك امرا سوء قيل
احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها
ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى عليه السلام في الطريق فقال يا اماه ابشري
فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك
وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها فاشارت اليه اي هو الذي
يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي
لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه
كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره
واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه
الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو
هاهنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه آخر ان يكون

نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان كلم الناس صبيا في المهد
فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى
والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفوليته اكمل الله
عقله واستنبأه طفلا نظرا في ظاهر الآية وقيل معناه ان ذلك سبق
في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير قرئ وبرا عن ابي نهيك حمل
ذاته بر لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني
بالصلوة وكلفنيها واحد والسلام علي قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر
قبله كقولك جاءني رجل فكان من فعل الرجل كذا وكذا والمعنى وذلك السلام الموجه
الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعن
على متهمي مريم واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس
السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على
من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة
وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض قرأ عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف
وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال في معنى واحد كالرهب والرهب
والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف
واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة
ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل
لعيسى صلوات الله عليه كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله
كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى

او موضع ان يعادل فيه حسن ... صح
والقول

ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات
والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره حق يقين وهم فيه
شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون فقالت اليهود
ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله ثالث ثلاثة وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه
تمترون على الخطاب وعن ابي بن كعب رضي الله عنه قول الحق الذي كان الناس
فيه يمترون تكذيب للنصارى وتبكيتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتاتى
ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم ان يكون
ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس
كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز
ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الآمر
المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل وقرأ المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه
ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله
احدا والآخرون وابو عبيدة بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي رضي الله عنه
ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه فاختلف الاحزاب اليهود و
النصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية
وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى
عليه السلام اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم اي من شهود
هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف
او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة
والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة
او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه لا يوصف الله تعالى

الملاحاة المنازعة يقال تلاحى الرجلان
وبه قرأ عاصم والاعمش وحمزة والكسائي وابن عامر ... العرب ...
صح العظيم

بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا
صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم
ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر اعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد
من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد
بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر
الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال
حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة
وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين وانذرهم اعتراض او هو متعلق
بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم
وانه يفني اجسادهم ويفني الارض ويذهب بها الصديق من ابنية المبالغة ونظيره
الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته
وكتبه ورسله وكان الرجحان الغالب في هذا التصديق بالكتب والرسل
اي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء
بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق
ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا
بين المبدل منه وبدله اعني ابراهيم واذ قال نحو قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك
ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين
والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في
الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابراهيم
والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله التاء في يا ابت عوض
من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا

لكون

حري

لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه باينق وتعويض الياء فيه عن الواو
الاولى الساقطة انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه
من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ عن
قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق
وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب
الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام
انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت
لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري
وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطائه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه
وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب
والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه
بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم
سنى له كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي
غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت
المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى
علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم تكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا
وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى
جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى
هيآت خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه

فلا يسمع ما عابده ذكرك له وثناءك صح

او تسمع لك حاجة فيكفيها ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل
المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك
وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي
معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان
عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده
وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك آدم
وابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت
ان حققت النظر عابد الشيطان ثم ان ابرهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص
ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منهما برب
العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته
كان النظر في عظم ما ارتكبه من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه
سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب
حيث لم يصرح بان العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك
عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله
في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب
نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر
ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من
العذاب نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا
اليه واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز ان تكون موصولة وموصوفة
والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيئا
يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيئا من الغناء ويجوز ان يقدر
نحوه

نحوه مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك قد جاءني
فيه بحق من العلم عندي لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه
بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ
بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني و
قدم الخبر على المبتدأ في قوله اراغب انت عن آلهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعني
وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي ان يرغب
عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى
من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه
الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة
واصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب
عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح يقال فلان ملي بكذا
اذا كان مطيقا له مضطلعا به فان قلت علام عطف واهجرني قلت
على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك
تهديد وتقريع سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز ان يكون
قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده الاستغفار فان قلت
كيف جاز ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت قالوا اراد
اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد
اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط
الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين

لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه
الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر
انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار
والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله
تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا
ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابرهيم
عليه السلام لا آزر اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد
له قراءة حماد الراوية وعدها اباه والله اعلم الحفي البليغ في البر والالطاف
حفي به وتحفى به اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه
منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه السلام الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله
تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله في
سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى ان لا اكون بدعاء
ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله احد
ترك الكفار الشقية لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء من رحمتنا هي
النبوة عن الحسن وعن الكلبي هي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني
ودنيوي اوتوه لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان
كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال اني اتتني لسان
لا اسر بها يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته
واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم
وقال عز وجل ملة ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع
ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى
عليه

حماد ان احدهما الراوية الكوفي والثاني الراوية البصري وهو المراد هنا

وهو قوله واغفر لابي انه كان من الضالين

من علو لا عجب منها ولا سخر

عليه المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه
واسلم وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله الرسول الذي معه كتاب من الانبياء
والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع الايمن من اليمين
اي من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور او للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء
للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع صريف
القلم الذي كتبت به التورية من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترافقنا عليه وهبنا
له هرون او بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه
بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى
عليهما السلام فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما
ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء
تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور
المتواصف من خصاله عن ابن عباس رضي الله عنهما انه وعد صاحبا له ان ينتظره
في مكان فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى
حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين كان يبدأ باهله في الامر بالصلاح
والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر
عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم
احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة
وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يألو نصحا
للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في شيء
من ذلك قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه اخنوخ وهو
غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية

وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك إبليس أعجمي وليس من الإبلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا إسرائيل بإسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يتحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات ويجوز أن يكون معنى إدريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه أنه رفع إلى السماء الرابعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما إلى السماء السادسة وعن الحسن رضي الله عنه إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة وعن النابغة الجعدي أنه لما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذي آخره بلغنا السماء مجدنا وسناءنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أين يا أبا ليلى قال إلى الجنة أولئك إشارة إلى المذكورين في السورة من لدن زكريا إلى إدريس عليهما السلام ومن في من النبيين للبيان مثله في قوله تعالى في آخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا لأن جميع الأنبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان إدريس من ذرية آدم عليهما السلام لقربه منه لأنه جد أبي نوح وإبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه من ولد سام بن نوح وإسمعيل من ذرية إبراهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية إسرائيل وكذلك عيسى لأن مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الأولى والثانية إن جعلت الذين خبرا لأولئك كان إذا تتلى كلاما مستأنفا وإن جعلته صفة له كان خبرا قرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لأن التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل البكي جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا

موضع الظهور مظهرا السطح او المصعد

وعن صالح المري رحمه الله قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فإن قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وإن قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وإن قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين الباكين عند تلاوة آياتك خلفه إذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الأخت من الأب وعن إبراهيم ومجاهد أضاعوها بالتأخير وينصر الأول قوله إلا من تاب وآمن يعني الكفار وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الأمة وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال المرقش فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق أثاما أي مجازاة أثام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها وروي الأخفش يلقون وقرئ يدخلون ويدخلون أي لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لأن تقدم الكفر لا يضرهم إذا تابوا من قولك ما ظلمك أن تفعل كذا بمعنى ما منعك أو لا يظلمون البتة أي شيئا من الظلم لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن

المتكبرين

الشارة الفاخرة يعرفها الناس

أراد بالخير المال وبالغي الفقر

أبدل منها كقولك أبصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الإقامة كما جعلوا فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفه أعلاما لمعاني الفينة والسحر والأمس فجرى العدن لذلك مجرى العدن أو هو علم لأرض الجنة لكونها مكان إقامة ولولا ذلك لما ساغ الإبدال لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها أو بتصديق الغيب والإيمان به وقيل في مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها أو هو من قولك أتى إليه إحسانا أي كان وعده مفعولا منجزا اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله وإذا مروا باللغو مروا كراما وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من الجهل واللغو والخوض فيما لا يعنينا أي إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا إلا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول أو لا يسمعون فيها إلا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع أو لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام من الناس من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولأن المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل أراد دوام الرزق ودروره كما تقول أنا عند فلان صباحا

أي فعله

أي أكرموا أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه

آخره من قراع الكتائب

الوجبة المرة الواحدة وأصلها السقطة

صباحا ومساء وبكرة وعشيا يريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين نورث وقرئ نورث استعارة أي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة وقد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا وما نتنزل حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم روي أنه احتبس أربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل صلوات الله عليه قال له النبي عليه السلام أبطأت حتى ساء ظني واشتقت إليك قال إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست وأنزل الله هذه الآية وسورة والضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق كقوله فلست لإنسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب لأنه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى أنزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا في الأحايين وقتا غب وقت ليس إلا بأمر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والأماكن وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ومن مكان إلى مكان إلا بأمر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الأحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا رأى ذلك مصلحة وحكمة وأطلق لنا الإذن فيه وقيل ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين

المورث

علم

أي لست بابن لإنسي

وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها
وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا
والسماء التي وراءنا وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه
خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما
توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان
تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اى ما كان امتناع النزول الا لامتناع
الامر به واما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه
على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة اى وما ننزل
الجنة الا بان من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور
كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي
عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب
ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والارض وما بينهما
ثم قال لرسوله حين عرفه على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب
غيرك من المتقين وقرئ وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل عليه السلام
والضمير للوحي وعن ابن مسعود رضي الله عنه الا بقول ربك يجب ان يكون الخلاف
في البدل مثله في النعت رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ
محذوف اى هو رب السموات والارض فاعبده كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم
وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده
من كلام رب العزة فان قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته
كقوله واصطبر عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في
قولك للمحارب اصطبر لقرنك اى اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العبادة

تورد

تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك من القاء عداتك
من اهل الكتاب اليك الاغاليط ومن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين
بك هل تعلم له سميا لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى اله واما الذي
عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن
ابن عباس رضي الله عنهما لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على
الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل
مثلا وشبيها اى اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العبادة الا هو وحده
لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان يجوز ان يراد
بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض الجنس وهم الكفرة فان قلت
لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك قلت لما كانت
هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون
بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم وقال الفرزدق فسيف بني عبس
وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن راس خالد فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله
نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي فان قلت
بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم قلت
بفعل مضمر يدل عليه المذكور فان قلت لام الابتداء الداخلة
على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها
الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها
معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا احقا انا سنخرج احياء
حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد
الخروج من الارض او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج

جمع أغلوطة

وهو اخرج او مت

شجاعا او كان نادرا في ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرأ
الحسن وابو حيوة لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف لسأخرج كقراءة ابن مسعود
ولسوف يعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد
الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن
احين تمت عليك نعمة فلان اسأت اليه الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت
همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك ولا يتذكر حال
النشأة الاولى حتى لا ينكر النشأة الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة
الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التاليف
مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء
بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته
واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس
فيها الا تاليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت
عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى
وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت
في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة
بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته
وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر
وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي رضي الله عنه يتذكر من قبل من قبل الحالة
التي هو فيها وهي حالة بقائه في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشان رسول الله عليه السلام ورفع منه
كما رفع من شان السماء والارض في قوله فورب السماء والارض انه لحق والواو

في

اى النشأة الثانية

اى فوربك

ارفع

في والشياطين يجوز ان يكون للعطف وبمعنى مع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من
الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت
هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم
حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم
الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة
فان قلت هلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم
في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر واحضروا حيث تجاثوا
حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله
منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور و
ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة
اولياء الله وشماتتهم بهم فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت
اما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يقبلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا
على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم
وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية على
العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب
لما في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى خلاف الطمانينة او لما
يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيحبون
على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم
على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف
للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة
وفئة الطائفة التي شاعت اى تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين

اهل

جثيا جمع جاث كقعود وقاعد ٥

ثم توادّ بينهم وكانوا شيعا يريد بمنان من كل طائفة من طوائف الغي والفساد
اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار
على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى بها صليا المنتزعين
كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي من بين سائر الصالين
ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم عتيا رؤساء الشيع
وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون و
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل
انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد وعن سيبويه
على انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب
وقيل ايهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله
ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم
فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم
الهراء استاذ الفراء فان قلت بم يتعلق على والباء فان تعلقهما
بالمصدر لا سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او يتعلقان
بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو
اولى بكذا وان منكم التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان
منهم او خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى
الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن
عباس رضي الله عنهما يردونها كانها اهالة وروي دواية وعن جابر بن عبد الله
رضي الله عنه انه سال رسول الله صلعم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض

اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة وعنه رضي
انه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول
لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم
عليه السلام حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون ف
فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة رضي الله عنهم هو الجواز على
الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قد يرد الشيء
الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله
ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا
لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار
ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى
بيّن الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله
وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به
وعزم على ان لا يكون غيره وقرئ ننجي وننجّي وينجي وينجى على ما لم يسم فاعله
ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين
اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم
ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والجحدري وابن ابي ليلى
ثَمّ ننجي بفتح الثاء اي هناك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد
بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة
بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين بينات مرتلات الالفاظ
ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان
بالمحكمات او بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها

فلم يقدروا على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان يكون حالا مؤكدة كقوله
وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين آمنوا يحتمل انهم
يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وانهم يفوهون به لاجلهم وفي معناه
قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه
قرأ ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح
وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم
وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا
من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها
اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة
ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون
بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم
كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا
وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب
صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية
الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد
الحسن بن علي الطوسي تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا
قرئ على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت
وريا على القلب كقولهم راء في رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري
الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة
رأسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها
على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن
مجموعة

مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج
على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل لتقطع
معاذير الضال ويقال له يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله
انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن في معنى الدعاء
بان يمهله الله وينفس في مدة حياته في هذه الآية وجهان احدهما ان تكون متصلة
بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون
به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب في الدنيا
وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين
كله على ايديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ
يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف
جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني ان تتصل
بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاحق بهم
لعلم الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما
دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم
الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان قلت
حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية
واقعة بعدها وهي قوله اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا
واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم
ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند
هم الانصار والاعوان ويزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر

فليمدد من كان في الضلالة مدا اي يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضلال
بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه الباقيات الصالحات اعمال الآخرة كلها
وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة
من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكاي زندا فان قلت كيف قيل خير
ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت كانه
قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله شجعاء جرتها الذميل
تلوكه اصلا اذا راح المطي غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بنى عليه
خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك
النار فان قلت فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركا فيه
قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي ابلغ
في حره من الشتاء في برده لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا
الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت في معنى اخبر والفاء جاءت
لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر
واذكر حديثه عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا
ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا
ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه
الكلمة شان يقول أوقد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب
الذي توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل
اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل
الى ذلك قرأ حمزة والكسائي وُلدا وهو جمع ولد كأُسد في أَسد او بمعنى الولد

كالعُرب في العَرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة
وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله
اليه انه يؤتيه ذلك وعن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في
العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى
تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاني اذا
مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك
وقيل صاغ له خباب رضي الله عنه حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون
انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا
وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطأ اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه
ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله
كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت
فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لئيمة والثاني
ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به
الزمان واستأخر فجرد هاهنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب اي نطول له
من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئون
او نزيد من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى وتدل عليه
قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من
فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه ونرثه ما يقول اي
نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول
ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته

ان تألى على ذلك في قوله لأوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتألّ على الله يكذبه فيقول
الله عز وجل هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا
فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه
تمنيه وتأليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه
وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا
ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا
على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه
فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه
الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا
حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك اي ليتعززوا بالآلهة حيث يكونون لهم عند الله
شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وانكار لتعززهم
بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون
بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين
وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية
فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير
في سيكفرون للآلهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله
ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فالقوا اليهم القول
انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها وما
قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عليهم ضدا
في مقابلة لهم عزا او المراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا
لما

فردا

من الايلاء والاعطاء

هو كتاب جمع الشواذ من القرآن كالمحتسب لابي علي

لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم
عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكان العون سمي ضدا لانه
يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه فان قلت لم وحد قلت
وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد
لفرط تضامنهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب
جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون
الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا
يعبدونها الهمز والازّ والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج
اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم
ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات
التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم
ومعاندتهم للرسل واستهزاءهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد
وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه
وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته
اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم
وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس
معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله
تعالى ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج
نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المأمون
فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد نصبت يوم بمضمر

اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر
ويجوز ان ينتصب بلا يملكون وذكر المتقين بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم
الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك
منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم
ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر الكافرين بانهم يساقون
الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء والورد العطاش
لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال
ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الما فسمي به الوارد ون ورد
الجنس يحشر المتقون ويساق المجرمون والواو فيه لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد
ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان يكون علامة الجمع
كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ
رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة
من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل
الصالح وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي عليه السلام قال لاصحابه ذات يوم
ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول
كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد
اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك
وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا
برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال
ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد
اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد الامير

٤١

الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له
فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا
الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا قرئ ادا بالكسر
والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة
وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي اذا تكاد قرأه الكسائي ونافع
بالياء وقرئ يتفطرن لان انفطر من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه
وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ينصدعن اي تهد هدا او مهدودة
او مفعول له اي لانها تهد فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض
وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت
فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض
والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري
واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن
زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون استعظاما
للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه
وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة
التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه
من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل
عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا في ان دعوا ثلاثة
اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما
على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا

لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل
هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة
انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه
خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت
وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك
من استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما
الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب
الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر
انا بني نهشل لا ندعي لاب اي لا ننتسب اليه ينبغي مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتأتى
له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة
المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى
وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا من موصوفة لانها
وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره
وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة
الاحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وما ادعوه الذين اعتقدوا
في الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول
بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في عبادته
كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من
الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض
من الملائكة ومن الناس الا وهو آتي الرحمن اي يأوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته
عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم

لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم
وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم وكل واحد
منهم يأتيه يوم القيمة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم براء منهم قرئ
جناح بن حبيش ود بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها
لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي تكتسب بها الناس مودات القلوب
من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء
اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب
والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان
المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان
يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان
اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي
عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس
رضي الله عنهما يحبهم ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله
قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة
رحمه الله ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه هذه خاتمة السورة
ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه
بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به
وتنذر به واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد اي في كل شق

من المراء والجدال لدا الجاجهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار
وقرى تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرى تحس من احسه ثم مضارع
اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز
المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات
بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم واسحق ويعقوب وهرون
وموسى واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم
يدع الله ٥ سورة طه مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ابو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء
وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون اما لوهما وعن الحسن طه وفسر
بانه امر للرجل وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه
فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ
الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطا فيمن قال لا هناك المرتع
ثم بني عليه الامر والهاء للسكت ويجوز ان يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما
على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا
في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا
على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به قال ان السفاهة طاها في خلائقكم
لا قدس الله اخلاق الملاعين والاقوال الثلاثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول
الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا
ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام
وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدا والقرآن
ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن وان يكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن
لتشقى

اي الطاء والهاء والشطران للحرف الاول منهما الاول الاصل طاها اي اسكن الارض بقدميك
قال الاصمعي هذا البيت ...

لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع
نفسك والشقاء يجيء بمعنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر
اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في
اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك
لتشقى لانك تركت دين آبائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم
الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة
بعينها وروي انه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل
عليه السلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة
وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى
ومن تذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل
المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعول له والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه
لاستجماعه الشرائط فان قلت اما يجوز ان يقول اما انزلنا عليك القرآن
ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة
في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل
الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها فان قلت هل يجوز ان يكون تذكرة
بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء
المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا اليك القرآن لتحتمل
متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق
وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة
وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية
ولمن علم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية في نصب تذكرة وجوه

من نهكته الحمى اذا انقصته

ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء
لا يعلل بنفسه وان نصب بتنزيلا مضمرا وان نصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه
الا تذكرة انزلناه تذكرة وان نصب على المدح والاختصاص وان نصب
بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب
بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف وما بعد من خلق الى قوله له الاسماء الحسنى
تعظيم وتفخيم لشان المنزل بنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون
متعلقه اما انزلنا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له فان قلت
ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب قلت غير واحدة منها
عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات
انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد
الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد
فضوعفت الفخامة من طرق عدة ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل
صلوات الله عليه والملائكة النازلين معه وصف السموات بالعلى دلالة على عظم
قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها قرئ الرحمن مجرورا صفة
لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن
واما ان يكون مبتدا مشارا بلامه الى من خلق فان قلت الجملة التي هي
على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح قلت
اذا جررت فهي خبر مبتدا محذوف لا غير وان رفعت جاز ان يكون كذلك وان
يكون مع الرحمن خبرين للمبتدا لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك
مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون
ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته

اي كائنا ممن خلق السموات
اي بلامه الرحمن

للملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان
مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت
حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم يكن له يد راسا قيل يده مبسوطة لمساواته
عندهم قولهم جواد ومنه قوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو
بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير
بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام
ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخر التي
تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته
ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم
ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك فان قلت
كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره
فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك
تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله
وانما هو لغرض آخر الحسنى تأنيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث
كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت
به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم
والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن قفاه بقصة موسى عليه السلام
ليأتسي به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد
حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه
حدث او لمضمر اي حين رأى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استاذن

اي بمنزلة النعمة كما قال البعض
اي ستضمره
الله لا اله الا هو اي هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته ردا لقولهم ... حتى جمعوا اسماءه

موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق
ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده
وقدح فصلد زنده فرأى النار حينئذ وذكر قيل كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا
في مكانكم اني آنست نارا ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه ومنه انسان العين
لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل
هو ابصار ما يؤنس به لما وجد الايناس وكان مقطوعا مستيقنا حققه لهم بكلمة
ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين
بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني آتيكم لئلا يعد
ما ليس بمستيقن الوفاء به القبس النار المقتبسة في رأس عود او فتيلة او غيرهما
ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من شعفة او نحوها هدى اي قوما يهدونني الطريق
او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار
مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى
او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار
يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق
بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما
وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق
وقرأ ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك وكسر الباقون
اي نودي فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته وتكرير الضمير
في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة وروي انه لما نودي
يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع
كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهاتي الست
واسمع

واسمعه بجميع اعضائي وروي انه حين انتهى رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها
كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت
عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنا او بعد لم يختلف
ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع واوجس
في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد
حمار غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل
لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد
بنعليه وكان اذا ابتلي بدخوله متنعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك
احترام البقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي انه خلع نعليه والقاهما
من وراء الوادي طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة
وقيل طوى مرتين اي نودي نداءين او قدس الوادي كرة بعد كرة انا اخترتك اصطفيتك
للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذي يوحى اليك او للوحي تعلق اللام
باستمع او باخترتك اقم الصلوة لذكري لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى لي او
لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد او لاني ذكرتها في الكتب
وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق او لذكري
خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد
بها غرضا آخر او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعل ذكر ربهم على بال
منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك
لست ليال خلون ومنه قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها

من قوله عليه السلام من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة
ان يقال لذكرها كما قال عليه السلام اذا ذكرها ومن يحمله يقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله
او بتقدير المضاف اي لذكر صلوتي او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة
وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى اي اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط
ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به
وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف
ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي رضي الله عنه
اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم
عليها وعن ابي الدرداء وسعيد بن جبير رضي الله عنهما اخفيها بالفتح من خفاه اذا
اظهره اي قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات
اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس فان تدفنوا الداء لا نخفه
وان تبعثوا الحرب لا نقعد فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية
بما تسعى بسعيها اي لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز ان يكون
للصلوة فان قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى
عليه السلام عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة
لاداء هذا المقصود قلت فيه وجهان احدهما ان صد الكافر
عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر
مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب
كقولهم لا ارينك هاهنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته
اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم
حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن
بالآخرة

هم الجم الغفير اذ لا شيء اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك
وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا
تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا
حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد
واهله تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز ان تكون
تلك اسما موصولا صلته بيمينك انما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة
من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه
وينبهه على قوته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ثم يريك بعد ايام
لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد
وقرأ ابن ابي اسحق عصي على لغة هذيل ومثله يا بشري اي ارادوا كسر ما قبل ياء المتكلم
فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وقرأ الحسن عصاي بكسر الياء
لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي وعن ابن ابي اسحق سكون الياء اتوكأ
عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة واهش الورق
خبطه اي اخبطه على رؤوس غنمي تأكله وعن لقمان بن عاد اكلت حقا وابن لبون وجذع
وهشة سحب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب
ونخبت واد قريب من الطائف كثير السدر وفي قراءة النخعي اهش وكلاهما من هش الخبز
يهش اذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة اهس بالسين اي انحي عليها زاجرا لها
والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس
بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع
بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه
ويجوز ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها

ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت عن هذه المنفعة
العظمى والمآرب الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأرب كنت تعتد بها
وتحتفل بشأنها وقالوا إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا إنما أجمل موسى
صلوات الله عليه ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة
فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال
الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه
فعلق بها أداوته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها وإذا كان في البرية
ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه وصله
بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان
يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر
عدو حاربت عنه وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها
زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام
السعي المشي بسرعة وخفة حركة فإن قلت كيف ذكرت بألفاظ مختلفة
بالحية والجان والثعبان قلت أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر
والأنثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان العظيم
من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها
حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا
فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها والثاني أنها كانت في شخص الثعبان
وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان
لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا لما نادى ذكر الإيناس
العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الأهوال والمخاوف وعن ابن عباس
رضي الله عنهما

أخرى مردودة إلى الحاجة ... (margin)

الزند العود الذي تقدح به النار وهو الأعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهي الأنثى فإذا اجتمعا قيل زندان ولم يقل زندتان تغليبا للمذكر (margin)

رضي الله عنهما انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر
وعن بعضهم إنما خافها لأنه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من
ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها السيرة من السير
كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب
والطريقة وقيل سير الأولين فيجوز أن ينتصب على الظرف أي سنعيدها في طريقتها
الأولى أي في حال ما كانت عصا وأن يكون أعاد منقولا من عاده بمعنى عاد إليه ومنه
بيت زهير وعادك أن تلاقيها عداء فيتعدى إلى مفعولين ووجه ثالث حسن
وهو أن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول
ما أنشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما أنشأناها
أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أي تسير سيرتها الأولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها
الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها قيل لكل ناحيتين
جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار
منه جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران والمراد إلى جنبك
تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به
عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص فكنوا
عنه بالأبرش والبرص أبغض شيء إلى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة وأسماعهم لاسمه
مجاجة فكان جديرا بأن يكنى عنه ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أحز للمفاصل
من كنايات القرآن وآدابه يروى أنه كان آدم فأخرج يده من مدرعته
بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء
من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو
أن يكون بإضمار نحو خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف

العداء الشغل ... (margin)

لنريك أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بعض آياتنا
الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى
فعلنا ذلك لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي لعنه الله عرف أنه كلف أمرا
عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر
فسيح فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل
ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات
وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها
من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب فإن قلت لي في
اشرح لي صدري ويسر لي أمري ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت
قد أبهم الكلام أولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم أن ثم مشروحا وميسرا
ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره
وأمره من أن يقول اشرح صدري ويسر أمري على الإيضاح الساذج لأنه
تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل عن ابن عباس رضي الله عنهما
كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى أن يده احترقت
وأن فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال
إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم إنما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون
في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المؤاكلة واختلف في زوال العقدة
بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله وأخي هرون هو أفصح مني لسانا وقوله
ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله قد أوتيت سؤلك يا موسى
وفي تنكير العقدة وإن لم يقل عقدة لساني أنه طلب حل بعضها إرادة أن يفهم

طغى أي جاوز حد العبودية إلى دعوى الربوبية (margin)

الرتة الثقل والعجلة (margin)

واحلل (margin)

عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كأنه قيل
عقدة من عقد لساني الوزير من الوزر لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر
لأن الملك يعتصم برأيه ويلجئ إليه أموره أو من المؤازرة وهي المعاونة عن الأصمعي
قال وكان القياس أزيرا فقلبت الهمزة إلى الواو ووجه قلبها أن فعيلا جاء في معنى
مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت
في أخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا إلى يؤازر وأخواته وإلى الموازرة
وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة
أو لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير وأخي في الوجهين بدل من هرون
وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن قرأوا جميعا اشدد وأشركه على الدعاء وابن عامر
وحده أشدد وأشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه أخي واشدد
وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أشركه في أمري واشدد به أزري ويجوز فيمن قرأ
على لفظ الأمر أن يجعل أخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون
الأزر القوة وآزره قواه أي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك
وذكرك فإن التعاون لأنه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر إنك كنت
بنا بصيرا أي عالما بأحوالنا وبأن التعاضد مما يصلحنا وأن هرون نعم المعين والشاد
لعضدي بأنه أكبر مني سنا وأفصح لسانا السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك
خبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول الوحي إلى أم موسى إما أن يكون على لسان نبي في وقتها
كقوله وإذ أوحيت إلى الحواريين أو يبعث إليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث إلى مريم
أو يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه أو يلهمها كقوله وأوحى ربك إلى النحل أي أوحينا
إليها أمرا لا سبيل إلى التوصل إليه ولا إلى العلم به إلا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب
أن يوحى ولا يخل به أي هو مما يوحى لا محالة وهو أمر عظيم مثله يحق بأن يوحى

أن هي المفسرة لأن الوحي بمعنى القول والقذف يستعمل في معنى الإلقاء والوضع ومنه
قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا
أي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها
إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة لما يؤدي إليه من تنافر النظم فإن قلت
المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى إلى الساحل قلت ما ضرك
لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر
عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته
أهم ما يجب على المفسر لما كانت مشيئة الله وإرادته أن لا تخطئ جرية ماء اليم
الوصول به إلى الساحل وإلقاءه إليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كأنه ذو تمييز
أمر بذلك ليطيع الأمر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي أنها جعلت في
التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان
يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا
بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فإذا صبي أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله
حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ أن البحر ألقاه على ساحله وهو شطه
لأن الماء يسحله أي يقشره وقذفه فيه ثمة فالتقط من الساحل إلا أن يكون قد ألقاه
اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم أداه النهر إلى حيث البركة متى لا تخلو
إما أن تتعلق بألقيت فيكون المعنى على أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب
وإما أن تتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة أي محبة حاصلة أو واقعة مني قد
ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك
روي أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه
من رآه على عيني لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء

ركزتها

بعينه إذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلا تخالف
به عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك ونحوه
أو حذف معلله أي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام
وسكونها والجزم على أنه أمر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك
وتصرفك على عين مني العامل في إذ تمشي ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من إذ
أوحينا فإن قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت
كما يصح وإن اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت
فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته إذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت
في آخرها روي أن أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون
له مرضعة يقبل ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل أدلكم
فجاءت بالأم فقبل ثديها وروي أن آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي
التي أشفقت عليه وطلبت له المراضع من نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي
قتله وهو ابن ثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص
فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من
فرعون أن ذهب به مهاجرا إلى مدين فتونا يجوز أن يكون مصدرا
على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن أو فتنة على ترك
الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة أي فتناك ضروبا
من الفتن سأل سعيد بن جبير رحمه الله ابن عباس رضي الله عنه فقال خلصناك
من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير
وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير

أي رأفة ورحمة ه
جمع مرضع أو مرضعة ه
فنجيناك من الغم والخوف
فتنت الذهب بالنار خلصته

والفتنة المحنة وكل ما يشق على الإنسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة
قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة مدين على ثماني مراحل من مصر وهي بلدة
لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر ابنته وهي أوفى الأجلين
أي سبق في قضائي وقدري أن أكلمك وأستنبئك في وقت بعينه قد وقته
لذلك فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار
من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة هذا تمثيل لما خوله
من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض
الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص أهلا لئلا يكون أحد أقرب منزلة إليه ولا ألطف محلا
فيصطنعه بالكرامة والأثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع إلا
بعينيه وأذنيه ولا يأتمن على مكنون سره إلا سواء ضميره الونى الفتور
والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للإتباع أي لا تنسياني ولا أزال منكما
على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون
والتأييد مني معتقدين أن أمرا من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكري ويجوز أن
يريد بالذكر تبليغ الرسالة فإن الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة
من أجلها وأعظمها فكان جديرا بأن يطلق عليه اسم الذكر روي أن الله
تعالى أوحى إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل ألهم
ذلك وقرئ لينا بالتخفيف القول اللين نحو قوله تعالى هل لك إلى أن تزكى وأهديك
إلى ربك فتخشى لأن ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم
وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع عنه إلا بالموت وأن
تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا
في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الأبوة وقيل كنياه وهو من
ذو

الذكر بالقلب
والذكر باللسان ه

ذوي الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة والترجي لهما أي اذهبا على رجائكما
وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد
بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة
وقطع المعذرة ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت
إلينا رسولا فنتبع المبكر أي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والإذعان
للحق أو يخشى أن يكون الأمر كما تصفان فيجره إنكاره إلى الهلكة فرط
سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل
أي نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط من أفرطته إذا حملته
على العجلة خافا أن تحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان أو من جبروته واستكباره
وادعائه الربوبية أو من حبه الرياسة أو من قومه القبط المتمردين الذين حكى
عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قومه وقرئ يفرط من الإفراط
في الأذية أي نخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة أو يجاوز الحد
في معاقبتنا إن لم يعاجل بناء على ما عرفا وجربا من شرارته وعتوه أو أن يطغى
بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا
على الإطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الأدب وتحاش عن التفوه بالعظيمة
معكما أي حافظكما وناصركما أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه من قول
وفعل فأفعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فجائز أن يقدر أقوالكم وأفعالكم
وجائز أن لا يقدر شيء وكأنه قيل أنا حافظ لكما وناصر
سامع مبصر وإذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة
وذهبت المبالاة بالعدو وكانت بنو إسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم
بتكليف الأعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان

أي سمع أقوالكم وأرى أفعالكم

واستخدام الشاة وقد جئناك بآية من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالآية انما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فاتوا بآية ان كنتم من الصادقين او لو جئتك بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما وهو موسى صلوات الله عليه لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين خلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وثانيهما اي اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف او المضاف اليه اي كل شيء خلقه الله ثم لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى اي عرف كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى اليه الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق ساله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا سوال عن الغيب وقد استاثر الله به لا يعلمه

الاهو السوال

الاهو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطي شيئا او ينساه يقال ضللت الشيء اذا اخطاته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وفرق بين ضل من اضله اذا اضاعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطا والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل كما تضل انت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل مرفوع صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه مهدا قراءة اهل الكوفة اي مهدها مهدا او يتمهدونها فهي لكم كالمهد وهو ما يمهد للصبي سلك من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين اي جعل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري فاخرجنا انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن لاجناسها المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شيء على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا فاسميت بذلك لانها مزدوجة

مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي النبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل من حاجتهم ولا يقدرون على اكله اي قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا المعنى اخرجنا اصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا بعضها وتعلفوا بعضها اراد خلقهم من الارض خلق اصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا واراد باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة اريناه بصرناه او عرفناه صحتها وتيقناه بها وانما كذب لظلمه لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وقوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفي قوله آياتنا كلها وجهان احدهما ان يحذى بهذا التعريف الاضافي حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها اعني انها كانت لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى صلوات الله عليه العصا واليد وفلق

وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون موسى عليه السلام قد اراه آياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذب بها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب الآيات وابى قبول الحق ولوح من عجب قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاءه به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محاله وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر لا نخلفه لموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا في ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قلت فكيف طابق قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسوال واقع عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر

مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت
فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت
فكيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة
فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدأ
بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة
يوم عاشوراء او يوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام وهم كانوا يتخذون
فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد والجزم
على جواب الامر وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم منونا وغير منون ومعناه
منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين
مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجري الوصل مجرى الوقف وقرئ
وان تحشر الناس بالتاء والياء يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز
ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها
الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم يوم الزينة وجعل يحشر لفرعون ومحل
ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون
علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد
وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم
ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر
لا تفتروا على الله كذبا اي لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم والسحت
لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق
الا مسحتا او مجلف [illegible] في بيت [illegible] عن ابن عباس
رضي الله عنه ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه

وان كان من السماء فله امر وعن وهب لما قال ويلكم [illegible] قالوا ما هذا بقول ساحر
والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران
فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس
عن اتباعهما قرأ ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير
وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة وقيل هي النافية
واللام بمعنى الا وقرأ ابي رضي الله عنه ان ذان الا ساحران وابن مسعود
ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة
ان هذان لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي آخرها
الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم ولساحران
خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب
به ابو اسحق [illegible] الطريقة المثلى والسيرة الفضلى [illegible]
من [illegible] وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلام
ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم
قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه فاجمعوا
كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا
عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسألة المجمع عليها ثم ائتوا
صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين الفا مع
كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه
فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم مصطفين ووجه
صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان يأتوه او يراد ائتوا مصلى من المصليات
وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب ان مع ما بعده اما منصوب

بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر
القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح
وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم وكأن الله عز وجل الهمهم ذلك وعلم موسى
صلوات الله عليه اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا
ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله
سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت
آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجاة
والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف
اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة
ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت
تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة
اليه السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوهما دلي ودلي
وقسي وقسي وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله
انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال
والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ونخيل على ان الله
هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس
اضطربت واهتزت فخيلت ذلك [illegible] واضمار [illegible] وكذلك [illegible] الصوت
[illegible] وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله
وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره
وتوكيد بالاستئناف وكلمة التشديد وتكرير الضمير ولام التعريف ولفظ العلو
وهو الغلبة الظاهرة والتفضيل وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز ان يكون تصغيرا لها
اي

اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك
فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما
لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه
على كثرتها اقل شيء وانزره عنده فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها وقرئ تلقف
بالرفع على الاستئناف او على الحال اي القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف صنعوا
ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون وقرئ كيد ساحر بالرفع والنصب
فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى ان ما كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر
او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته او بين الكيد
لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو فان قلت
لم وحد ساحر ولم يجمع قلت لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية
لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر
اي هذا الجنس فان قلت فلم نكر اولا وعرف ثانيا قلت انما
نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج
في سعي دنيا طالما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا
في امر آخرة المراد تنكير الامر كأنه قيل ان ما صنعوا كيد سحري وفي
سعي دنيوي وامر دنيوي واخروي حيث اتى كقولهم حيث سلك واية سلك
فالقي [illegible] سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر
والجحود ثم القوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق
بين الالقائين وروي انهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا
ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم
التي يصيرون اليها في الجنة لكبيركم لعظيمكم يريد انه اسحرهم واعلاهم

درجة في صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمري كبيري وقال الكبير لكان يريدون
معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء وقرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف
أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن هذا يد وذاك
رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدئ وناشئ من مخالفة العضو
العضو لا من وفاقه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي لأقطعنها مختلفات لأنها
إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء
الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل أينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله
بدليل قوله آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين وفيه تفاخر باقتداره وقهره وما ألفه وضري به من تعذيب الناس
بأنواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لأن موسى صلوات الله عليه
لم يكن قط من التعذيب في شيء والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم قرئ تقضي هذه الحياة الدنيا
ووجهها أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف فأجري
مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي أن السحرة
كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني إسرائيل وكان فرعون أكرههم
على تعلم السحر وروي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه
عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن تعارضوه من تزكى
تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لا إله إلا الله قيل في هذه
الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية
فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس
مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف
به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس إذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا

أي الفصاد والتفلح المختصون بالبيوت

وافعل ما أنت قاض اصنع ما أنت صانع

وروي حملت عصاه عليهم

أي قوله إنه من يأت إلى الأخرى

ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففا من اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب
وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعاً جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع
لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرأ أبو حيوة دركا
بالسكون والدرك والدرك اسمان من الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده
ولا يلحقونك ولا تخشى إذا قرئ ولا تخف ففيه أوجه أن تستأنف كأنه قيل
وأنت لا تخشى أي ومن شأنك أنك آمن لا تخشى وأن لا تكون الألف المنقلبة من الياء التي هي
لام الفعل ولكن زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون
بالله الظنونا وأن يكون مثل قوله كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا ما غشيهم من
باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم
ما لا يعلم كنهه إلا الله عز وجل وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية
وفاعل غشاهم إما الله سبحانه أو ما غشاهم أو فرعون لعنه الله لأنه الذي ورط
جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما أهديكم إلا سبيل
الرشاد يا بني إسرائيل خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك آل فرعون وقيل هو
للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم
والوجه هو الأول أي قلنا يا بني إسرائيل وحذف القول كثير في القرآن وقرئ
أنجيتكم إلى رزقتكم على لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الأيمن بالجر على الجوار
نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى
صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الألواح وإنما
عدى المواعدة إليهم لأنها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم
وإليهم رجعت منافعها التي قام بها شأن دينهم ودنياهم وفيما أفاض عليهم من سائر
نعمه ولا تطغوا فيه طغيانهم في النعمة أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها

أو له وتقصد أمنى شيئية

ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وأن ينفقوها في المعاصي وأن يزووا حقوق
الفقراء فيها وأن يسرفوا في إنفاقها وأن يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا
قرئ فيحل ومن يحلل بالكسر والضم في معنى الوجوب من حل الدين يحل
إذا وجب أداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول
وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك وأصله أن يسقط من جبل فيهلك
قالت هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون هوت أمه أي سقط سقوطا لا نهوض
بعده الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان
والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي
دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو أعني أن منزلة
الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لأنها أعلى منها وأفضل وما أعجلك
أي شيء عجل بك منهم على سبيل الإنكار وكان قد مضى مع النقباء إلى الطور على الموعد
المضروب ثم تقدمهم شوقا إلى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه
أن ذلك أقرب إلى رضا الله وزل عنه أنه عز وجل ما وقت أفعاله إلا نظرا إلى دواعي
الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس
لقول من جوز أن يراد جميع قومه وأن يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه
قوله هم أولاء على أثري وعن أبي عمرو ويعقوب إثري بالكسر وعن عيسى بن عمر
أثري بالضم وعنه أيضا أولى بالقصر والأثر أفصح من الإثر وأما الأثر فمسموع
في فرند السيف مدق في الأصول يقال أثر السيف وأثره وهو بمعنى الأثر غريب
فإن قلت ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة وكان الذي ينطبق عليه من الجواب
أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق إلى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم أولاء
على أثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين
أحدهما

عنه

الأكثر استعمالا

أحدهما إنكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه
فكان أهم الأمرين إلى موسى صلوات الله عليه بسط العذر وتمهيد العلة في نفس
ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد مني إلا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة
ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته إلا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم
ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت إليك رب لترضى ولقائل أن يقول
حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود
الكلام أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون عليه السلام وكانوا ستمائة ألف
ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفا فإن قلت في القصة أنهم أقاموا بعد
مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة
ثم كان أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عليه السلام
عند مقدمه إنا قد فتنا قومك قلت قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة
بلفظ الموجودة الكائنة على عادته أو افترص السامري غيبته فعزم على إضلالهم
عند انطلاقه وأخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا وقرئ وأضلهم السامري
أي وهو أشدهم ضلالا لأنه ضال مضل وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال
لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل
كان من أهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر
وكان منافقا قد أظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر الأسف الشديد
الغضب ومنه قوله عليه السلام في موت الفجاءة رحمة للمؤمن وأخذة أسف
للكافر وقيل الحزين فإن قلت متى رجع إلى قومه قلت
بعدما استوفى الأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعدهم الله سبحانه أن يعطيهم
التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجمل حكي لنا أنها كانت

الكرم باجرما موضع بالعراق

الفتنة وكل سورة الف آية تحمل اسفارها سبعون جملا العهد الزمان يريد مدة مفارقته
لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم
عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات الثلاث اي ما
اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه
ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها
منهم او اوزارا واثاما وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين
في دار الحرب وليس للمستأمن ان ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ
فقذفناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي
وقرئ حُمِّلنا فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما
القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل صلوات الله عليه اوحى اليه
وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامري
من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل
فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات قلت اما يصح
ان يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها
من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة
جمادا انشاه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشا المسيح
من غير اب عند نفخه في الدرع فان قلت لم خلق الله العجل من الحلي
حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا قلت ليس باول محنة محن الله
بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة
ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد
بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري

علم الله ذواته

على الضلال واوقعهم فيه حين قالوا هذا الهكم واله موسى فنسي موسى ان يطلبه
ههنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان
الظاهر يرجع من رفعه فعلى ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة
للافعال من قبل من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم
حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم
هرون عليه السلام بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن لا تتبعني والمعنى ما منعك
ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر
بمن آمن ومالك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او مالك لم تلحقني قرئ
يا ابن ام بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا
مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك
حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما راوا من الآيات العظام ان القى
الواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا
وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف
قابضا على شعر راسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اي لو قاتلت
بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيت ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافي
برايك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن
لك بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه
فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قرئ بصرت بما لم تبصروا به
بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له قرا الحسن قبضة بضم القاف
وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض
واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا ايضا

افرع اي تام الشعر

الدهماء الجمع الكثير

بالمهملة
فقبصت قبصة بالصاد الضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم
والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه قرا ابن مسعود رضي الله عنه من اثر فرس الرسول
فان قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس قلت
حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة
ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا شانا فقبض القبضة من تربة موطئه فلما
ساله موسى عليه السلام عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد
ولعله لم يعرف انه جبريل عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش وذلك
انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته
ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة
حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس
اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق
فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء ان وردت
الماء فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة والعبة والابة وهي
المرة من الاب وهو الطلب لن تخلفه اي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك
على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا
فانت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من اخلفت
الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى اثوى وقصر ليله ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا
وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر في لاهب لك
ظلت وظلت وظللت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء
ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه
لنذبحنه ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر ابو علي الفارسي في لنحرقنه انه
يجوز

يجوز ان يكون حرق مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة
علي بن ابي طالب رضي الله عنه لننسفنه بكسر السين وضمها ونسفه اذا ذراه من اطلاع الغش
به وتعرفه وعظم مكرهم ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقرئ
الهكم الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما عن مجاهد وقتادة وسع
ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شيء واما علما فانتصابه على التمييز
وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان
المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل
ما كان فاعلا مفعولا الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله
اي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر
اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع
ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتاكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر
الذي آتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر
والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه
ومن اعرض عنه فقد هلك وشقي يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها
وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل
وينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمل
جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض
وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين
فيها فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب ان
يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره
ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد انه اواب ايوب الذي هو المخصوص بالمدح

صح الكريم

يفدحه اي يثقله

البهر بالضم تتابع النفس

ومنه قوله تعالى وساء حملا اي وساء حملا حملهم فان قلت اللام في لهم ما هي وبم تتعلق
قلت هي للبيان كما في هيت لك فان قلت ما انكرت ان يكون في ساء ضمير الوزر قلت
لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذي
حكمه حكم بئس ولكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهم واحزن
قلت كفاك صادا عنه ان يؤول كلام الله تعالى الى قولك واحزن الوزر لهم
يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج من عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب
في الاصل به فهو في ننفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي
هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ
ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى
او لاسرافيل عليه السلام واما يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن وقرئ في
الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان احدهما بمعنى الصور وهذه القراءة
تدل عليه والثاني انه القرن في الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض شيء
من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا
في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثاني ان المراد
العمى لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون لما يملأ صدورهم من
الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي
تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر
لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت
مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء
قصرا واما لاستطالتهم الآخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا
ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون اشد
تقالا

تقالا منهم في قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعالى كم لبثتم
في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين وقيل المراد لبثهم
في القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة
كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله
الى يوم البعث ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام
فيذرها اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله
ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا
العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور
العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء
والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها
وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها
اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس
الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس
الهندسي فنفى الله عز وجل عنها ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا
بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس
دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتوء اليسير يقال مد حبله
حتى ما فيه امت اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اي يوم اذ نسفت ويجوز
ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل
عليه السلام قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه
لا يعدلون لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين
لصوته اي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي

ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع
الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل
من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن
والنصب على المفعولية ومعنى اذن له ورضي له لاجله ونحو هذه اللام اللام في قوله تعالى
وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي يعلم ما تقدمهم
من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما المراد بالوجوه وجوه
العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم
عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله فلما راوه زلفة
سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد خاب وما بعده
اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب وخاسر الظلم ان يأخذ من صاحبه
فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا
يستوفون ويسترجحون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه
لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك
الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله على هذه
الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير
والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث
وتحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في اليوم اشرب
اشرب غير مستحقب فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره
ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك
مما يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القرآن وانزاله قال على سبيل الاستطراد واذا
لقنك جبريل ما يوحي اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ
بعد

بعد ذلك ولا تكن قارئا لك مساوقا لقراءته ونحوه قوله تعالى ولا تحرك به لسانك لتعجل به
وقيل معناه لا تبلغ ما كان مجملا حتى يأتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله
رب زدني علما متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم اي علمتني
يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء
حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم يقال في
اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه
عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى
واقسم قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول
في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان يتوعدهم فخالف
الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون
كأنه يقول ان اساس امر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فان قلت
ما المراد بالنسيان قلت يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر
وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط
النفس حتى تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس
عن الشجرة واكل ثمرتها وفي قراءة فنسي اي نساه الشيطان والعزم التصميم
والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له
والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون نقيض العدم
كأنه قال وعدمنا له عزما اذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى
عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته
له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك
انه لم يكن من اولي العزم والثبات فان قلت ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى

كان من الجن ففسق عن امر ربه فمن ابن عباس وله الماس وهو الملائكة خاصة قلت
كان في صحبتهم وكان يعبد الله عبادتهم فلما امروا بالسجود لآدم عليه السلام
والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم احرى بان يتواضع كالوقام لمقبل
على المجلس علية اهله وسراتهم كان القيام على بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب
حتى ان لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن انت حتى تترفع عن القيام فان قلت
فكيف صح استثناؤه وهو جني من الملائكة قلت عمل على حكم التغليب
في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة
لامرأة بين الرجال أي جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه
ان لا يقدر له مفعول اي ابى السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه
اظهر الاباء وتوقف وتثبط فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما
وانما اسند الى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشتراكهما في الخروج
لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاءهم كما ان في ضمن سعادته
سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة
او اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب براس الرجل وهو راجع
اليه وروي انه اهبط الى آدم عليه السلام ثور احمر فكان يحرث عليه
ويمسح العرق من جبينه فذلك شقاؤه بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف
على ان لا تجوع فان قلت ان لا تدخل على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق
والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها قلت الواو لم توضع
لتكون ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق
خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان وان الشبع والري
والكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان فذكره استجماعها له

فيها وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج
الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ
والضحى ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب
الموقع فيها كراهة لها فان قلت كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله
فوسوس لهما الشيطان واخرى بالى قلت وسوسة الشيطان كولولة
الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في انها حكايات للاصوات
وحكمها حكم صوت واجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر
والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي وسوس يدعو مخلصا رب الفلق فاذا قلت
وسوس له فمعناه لاجله كقوله اجرس لها يا ابن ابي كباش ومعنى وسوس اليه
انهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه اضاف الشجرة الى الخلد وهو
الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من باشر
اثره حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم الا ان
تكونا ملكين بالكسر طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ وانشأ وحكمها حكم
كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها مسافة قصيرة هي الشروع في
اول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه قرئ يخصفان للتكثير والتكرير
من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر
وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما
وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا
في اطراف الاصابع عن ابن عباس رضي الله عنهما لا شبهة في ان آدم صلوات الله عليه
لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى
خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد

ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل
آدم واخطأ وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين
ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف
نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير
المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم
من السيئات والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم
فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها
الفا فيقول في فني وبقي فنى وبقى وهم بنو طيء تفسير خبيث فان قلت
ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى
الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل
واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل
الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار
وهدى اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى لما كان
آدم وحواء عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا
جعلا كأنهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما يأتينكم على لفظ الجماعة
ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى
في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الآخرة
هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى
عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه الضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر
والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله

الرفاهة والرفاهة واحد

وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل
فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى
الازدياد من الدنيا مسلطا عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته
وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره
قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله وقال تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل
اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم
انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه عذاب القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان له
معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ
الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما
وكما فسر الزرق بالعمى كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان آياتنا اتتك
واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها
فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك لما توعد المعرض عن ذكره
بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد
بقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى كأنه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول
ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى
من تركه لآياتنا فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه

ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم الكلمة السابقة هي العدة بتاخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى لا يخلو من ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل آخرا فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل واطراف النهار مختصا لها بصلوتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هي اشد وطاء واقوم قيلا وقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله واطراف النهار

على الجمع

يتقلبون

اي ملازم خصم

اي مواطاة وهي الموافقة

على الجمع وانما هما طرفان كما قال واقم الصلوة طرفي النهار قلت الوجه امن الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظيره مجيء الامرين في الآيتين مجيئا في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار عطفا على آناء الليل ولعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت علام انتصب زهرة قلت على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة فان قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة وقرئ ارنا الله جهرة وان يكون جمع زاهر وصفا لهم

ومن البلاهة

في قوله به

بانهم زاهرو هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة او لان اموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضته الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وامر اهلك بالصلوة واقبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلوة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك لامر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني رحمه الله كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم اولم تاتكم آية هي ام الآيات واعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة

ولو

اي لباسهم وهيئتهم

وقرئ الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل من قبله فتعلموا من هو مبني على لفظ ما لم يسم فاعله كل اي كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامركم وقرئ السوا بمعنى الوسط والجيد او المستوي والسوء والسوءى والسوا والسوي تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلموا قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال عليه السلام لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا طه ويس ٥

سورة الانبياء عليهم السلام مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عد دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام قلت هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب الى قوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل آت وان طالت اوقات استبعاده وترقبه قريب انما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق الا صبابة

النسم النفس

كضبابة الإناء وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة بالإضافة
إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن
المراد بالناس المشركون وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه
من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون
لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم
أنه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء فإذا قرعت لهم العصا ونبهوا من سنة الغفلة
وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا
وقرر إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ بأن الله يجدد لهم الذكر
وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم
التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون
المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق وأجد الجد إلا لعبا وتلهيا واستسخارا
والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عبلة محدث بالرفع صفة
على المحل قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفان أو متداخلتان
ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لأن لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله
وهم واللاهية من لها عنه إذا ذهل وغفل يعني أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى
فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر
بقلوبهم فإن قلت النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون إلا خفية فما معنى قوله
وأسروا النجوى قلت معناه وبالغوا في إخفائها أو جعلوها بحيث
لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون أبدل الذين ظلموا من واو وأسروا
إشعارا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني
البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه

قال كان صاحب العرب إذا ظعن سفر خرج فإذا أراد في حكم قرعت له العصا أو تقعقع له الشن فتنقض فيتنبه لحكم حضر مثلا في التنبيه ومنه قال الحجاج إني لا يقرع لي العصا ولا يقعقع لي بالشنان ◦

وهي

والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه
ظلم أو هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون هذا الكلام كله في
محل النصب بدلا من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا
اعتقدوا أن رسول الله لا يكون إلا ملكا وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء
بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون السحر
وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر فإن قلت لم أسروا هذا الحديث وبالغوا
في إخفائه قلت كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق
إلى هدم أمره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا
أعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع ومن قول الناس
استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن
يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله والمؤمنين إن كان ما تدعونه حقا فأخبرونا
بما أسررناه فإن قلت هلا قيل يعلم السر لقوله وأسروا النجوى قلت
القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد
في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن قوله يعلم السر آكد من أن يقول
يعلم سرهم ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية فإن قلت
فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات
والأرض قلت ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة
وبالآكد أخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية
وما دونها على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا
النجوى فكأنه أراد أن يقول إن ربي يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة
وثم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض فهو كقوله

أي هذا الحديث من نوع السحر ◦

علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده
ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز
أن يكون تنزيلا من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث
أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث صحة التشبيه في قوله كما أرسل الأولون من حيث إنه
في معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى أنه
لا فرق بين أن تقول أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة أفهم يؤمنون فيه أنهم أعتى من الذين
اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم فلو
أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب
حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحالهم
على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله قال الله تعالى ولتسمعن من
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فلا يكادون يتهمونهم فيه
ردا لرسول الله لا يأكلون الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد
غير طاعمين ووحد الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوي ضرب من الأجساد وهذا رد
لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام فإن قلت نعم قد رد إنكارهم أن يكون الرسول
بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فما رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين قلت
يحتمل أن يقولوا إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكا
لا يطعم ويخلد إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد
خلودا أصدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والأصل في الوعد ومن قومه
ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة
ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وإنه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق

الله أكبر

الآيات صح

المعنى من الأول ◦

التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث
وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب
شديد ومنادية على سخط عظيم لأن القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء
بخلاف الفصم وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لأن المعنى
أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس أنها حضور وهي وسحول قريتان
باليمن تنسب إليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين
وروي حضوريين بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت
المقدس فاستأصلهم وروي أنه لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء
فندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس
رضي الله عنه ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية فلما علموا شدة
عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة
بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز أن يركبوا هاربين منهزمين من قريتهم
لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين
الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فإن قلت من القائل قلت
يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل
أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم
وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والإتراف إبطار النعمة
وهي الترفه لعلكم تسألون تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم
تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة
أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم
ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون

أي هي مستفادة من قوله وكم قصمنا ◦

دوابهم يركضونها صح

أي الملكين أو روح القدس أي الملائكة ◦

قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه ◦

وكذلك قوله ونذر كما دة المتعين الحق من آو نبالكم آثار في ايديكم المعاون في فوائل الخطوب
ويستنبون بكم في المهمات والعوارض ويستشفون براييكم ويستضيئون بآرائكم او
تسألكم ا لوافدون نوالكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم ويمترون اخلاف
معروفكم وايادىكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رياء الناس وطلب الثناء
او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ تلك اشارة الى ياويلنا
لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى
وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فان قلت لم سميت دعوى قلت
لان المولى لكانه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع او منصوب
اسما او خبرا وكذلك دعواهم الحصيد الزرع المحصود اى جعلناهم مثل الحصيد تشبيههم
به في استيصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اى مثل الرماد والضمير المنصوب
هو الذى كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبهما جميعا
على المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الآخرين
حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين
للمماثلة الحصيد والخمود اى وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع
وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوى الجبابرة سقوفهم
وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية
ليكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من
المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب
وانتفائه عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنا فاعلين
لاني على كل شئ قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رب هب لي من لدنك اى من جهة قدرتنا
وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا اى من الملائكة لا من الانس

ردا لولادة المسيح وعزير بل ابطاله من اتخاذ اللهو واللعب ونفي لهم من ان الله كانه قال
سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا من القبيح
ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله
به واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف
فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه
بالنصب وهو في ضعف قوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا
وقرئ فيدمغه من الملائكة والمراد حصين انهم مكرمون منزلون لكرامتهم
عليه منزلة المقربين على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت
الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت
في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات
الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون اى تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة
بفراغ او بشغل آخر هل ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالاضراب
عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض ينشرون
الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات فان قلت
كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم ابعد شئ
عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات والارض
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات
كلها وعلى النشأة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم
وكان عندهم من قبيل المحال الخارج من قدرة القادر كالمحال الذى لا يوصف القدرة عليه قلت الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم
لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر

على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل
واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها
الاقتدار على الابداء والاعادة ونحوه قوله من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة
تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض
لان الآلهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الآلهة الارضية
التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض
لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض فان قلت لا بد
من نكتة في قوله هم قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة
لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى
ونشرها وصفت آلهة بالا كما يوصف بغير لو قيل آلهة غير الله فان قلت ما منعك
من الرفع على البدل قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ
الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك وذلك لان
اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة
شتى غير الواحد الذى هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب
ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله
الا الله فان قلت لم وجب الامران قلت لعلمنا ان الرعية تفسد
بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك
بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري
ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول
وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت

وتستقر لما كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم من في مملكتهم عن افعالهم
وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطأ والزلل
وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسأل
عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز
عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسألون اى هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما اخلقهم
بان يقال لهم لم فعلتم في كل شئ فعلوه كرر ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشانهم
واستعظاما لكفرهم اى وصفتم الله تعالى بان يكون له شريك فقولوا هاتوا برهانكم على ذلك
اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا
وتوحيد الله وتنزيهه من الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه متوعد عليه اى هذا
الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء و
فهو ذكر اى عظة للذين معي اشد وذكر للذين قبلي يريد امم الانبياء وقرئ ذكر من معي
وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم
من بعد غلبهم سيغلبون وذكر من معي ومن قبلي على من الاضافية في القراءة وادخال الجار
على مع غريب والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه
ذلك فدخل عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كانه قيل بل عندهم
ما هو اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق
والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هنالك ورد هذا الانكار وقرئ الحق
بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق
لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل
يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد نزلت

في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله نزّهه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد
والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على
سائر العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليست لغيرهم فلا كرموا الذي غرتكم من ذلكم
انهم اولادي تعالت عن ذلك علوا كبيرا وهو مكرمون ولا يسبقونه بالضم من
سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق
قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون قوله بقولهم لا تقول
سبقت بقولهم شيء قوله وكان قولهم تابع لقوله فعملهم كذلك مبني على امره لا يعملون عملا
ما لم يؤمروا به وجميع ما ياتون ويذرون مما قدموا واخروا بعين الله وهو مجازيهم
عليه فلا حاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن
جهة تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله واهل الشفاعة في ازدياد
الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون اي متوقعون من امارة
ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه رأى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله وبعد ان وصف
كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية
والاعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان
كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو
اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصدا بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شأن
التوحيد فوحي الم يرى بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول
كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع
مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف اي كانتا
شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت

ايضا

اصلنا المفترع عبادة الله والمومنون متوقعون من امارة قوية لكثرة ذنوبهم

النقض ما ساقط من الورق والثمار

السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل
ففتقناها بالمطر والنبات بعدما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد
جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في
المضمر نحو ما فعل في المظهر فان قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم
بذلك قلت فيه وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه
فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز
في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا لا يخلو
ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله
والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه
وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى
صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام ما انا
من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو اي كراهة ان
تميد بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس
كما ترا دت في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج
الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم توخر
كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة ولكن
جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى
قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها
على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان تقع على
الارض وتتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانها من الملائكة عن آياتها اي عما
وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها

الواحد الحنظل اي ناقة حامل

اي مع كونه صغيرا لم تتقدم

وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة
واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها في
الاستدلال على عظمة شأن من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها
ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد
اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع
الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان
بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض من
المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع
كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما بالشموس
والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف
بفعلهم وهو السباحة فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب
على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب
الحال عنهما قلت كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص
بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة او لا محل لها لاستينافها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف
قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا
اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا
ولان الغرض الدلالة على الجنس كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه
الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت
فاذا كان الامر كذلك فان مت افيبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل شعر
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا اي نختبركم بما يجيء به الدهر

بلغ

من البلايا والنعم فيه الكبر من النعم اليها مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم
من الصبر والشكر وانما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم
لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر موكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر
يكون بخير وبخلاف فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك
فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم
وقوله اهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى انهم عاكفون بهمتهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان لا تذكر
به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب
ان يذكر من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا
منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم
وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال
اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله كانوا يستعجلون
عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم
عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع
عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون
على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس انه اراد بالانسان آدم وانه حين بلغ
الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي لما دخل الروح في عينيه نظر
الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة
قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس انه النضر بن الحارث والظاهر
ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل
والله اعلم بصحته فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان
من عجل وقوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت

الذاكر

اوله لا شبع في الصغوة الصماء منبته

هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها
قمع الشهوة وترك العجلة وقوله خلق الإنسان جواب لو محذوف وحين مفعول به
ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم الوقت
فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا
ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي
هونه عليهم ويجوز أن يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين
لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر أي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون
أنهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم أي لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم يقال
للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر أي غلب إبراهيم الكافر وقرأ الأعمش
يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد أو للحين فإن قلت فإلام يرجع الضمير
المؤنث في هذه القراءة قلت إلى النار أو إلى الوعد لأنه في معنى النار وهي التي
وعدوها أو على تأويل العدة والموعدة أو إلى الحين لأنه في معنى الساعة أو إلى البغتة
وقيل في القراءة الأولى الضمير للساعة وقرأ الأعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون
تذكير بإنظاره إياهم وإمهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم أي لا يمهلون بعد طول الإمهال
سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء عليهم السلام أسوة وأن ما يفعلونه به يحيق
بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا من الرحمن أي من بأسه وعذابه بل هم
معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاءة
منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ
ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بما في أم من معنى
بل وقال ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف فبين أن ما ليس
بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره

ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا وما
كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وإمهالا كما متعنا غيرهم من
الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الأمد وامتدت بهم أيام الروح والطمأنينة فحسبوا
أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ
وأمل كاذب أفلا يرون أنا ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها
بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردها دار إسلام فإن قلت
أي فائدة في قوله نأتي الأرض قلت الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي
المسلمين وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها
ناقصة من أطرافها قرئ ولا تسمع الصم ولا يسمع الصم بالتاء والياء أي ولا تسمع أنت
أو لا يسمع رسول الله ولا يسمع الصم من أسمع فإن قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر
كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل إذا ما ينذرون قلت اللام في الصم
إشارة إلى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والأصل ولا يسمعون إذا ما ينذرون
فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا أنذروا أي هم
على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الإنذار ولئن مستهم من هذا
الذي ينذرون به أدنى شيء لأذعنوا وذلوا وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا
وأعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لأن النفح في معنى القلة والنزارة
يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبنائها للمرة وصفت الموازين الرمح اليسير
بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في أنفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط
واللام في ليوم القيامة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة
توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع وقيل لأهل يوم القيامة وفي ستة أعوام
أي لأجلهم فإن قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان
أحدهما إرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة من غير أن يظلم

عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني أنه يضع
الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى أن
داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشي عليه فلما أفاق قال إلهي من الذي
يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة
فإن قلت كيف توزن الأعمال وإنما هي أعراض قلت فيه قولان أحدهما
توزن صحائف الأعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات
جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله وإن كان ذو عسرة
وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الإتيان بمعنى المجازاة والمكافأة
لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وقرأ حميد أثبنا بها من الثواب وفي حرف أبي
جئنا بها وأنث ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه أي آتيناهما
الفرقان وهو التوراة وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى أنه في نفسه ضياء
وذكر أو آتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس
فتح مكة — الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج
من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة
أو ذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم أو الشرف محل الذين جر على
الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه ذكر مبارك كثير منافعه
غزير خيره الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فإن آنستم منهم رشدا
فادفعوا إليهم أموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم
ومعنى إضافته إليه أنه رشد مثله وأن له شأنا من قبل من قبل موسى وهرون
ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالا بديعة وأسرارا عجيبة وصفات قد رضيها
وأحمدها حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خبير من الناس أنا عالم بفلان فكلامك
هو

هذا من الاحتواء على محاسن الأوصاف بمنزل إذ إما أن يتعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف
أي اذكر من أوقات رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم
ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا وأجراه مجرى ما لا يتعدى
كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون لها فإن قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله
يعكفون على أصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ما أقبح
التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم
إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم على
شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة
منهم — أن عبدة الأصنام أنتم من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الإخلال به لأن العطف
على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك أراد أن المقلدين
أدنى صح — والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به مسكة لاستناد الفريقين إلى غير دليل
بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من
تضليله إياهم وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد
فقالوا هذا الذي جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل الضمير في فطرهن للسموات
والأرض أو للتماثيل وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وشهادته
على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كأنه قال
وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لأني لست مثلكم فأقول ما لا
أقدر على إثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على
أنكم وجدتم عليه آباءكم قرأ معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها
قوله فتولوا عنه مدبرين فإن قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت
إن الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وأن التاء فيها زيادة معنى

وهو التبجح كانه تعجب من تشغل الكبد علي له وتأنيبه لان ذلك كان امرا مستوطنا من
اصطنعته وتقليده ولعمري ان مثل اسمعت متعدد في كل زمان خصوصا في زمن ودرج عتوه
واستكباره وقوة سلطانه ونفاذ كلمته على تمرد دينه ولكن اذا النفس شقي عقلت حتى نبترا
روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا بيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها
ووضعوا بينها طعاما خرجوا معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا
فذهبوا وبقي ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم
مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها
كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا
من قومه وروي سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر
والفتح وقرئ جذا جمع جذيذ وجذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه
انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما اجاب
به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون
اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا
والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم
في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان
قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكل فان قلت
فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فائدة دينية
في رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا قلت اذا رجعوا اليه
تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادته على جهل عظيم اي ان من فعل هذا الكسر
والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجراءته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير
والاعظام واما لانهم رأوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها فان قلت

ما حكم

تبركت اي العنت البركة على طعامنا

يذكرهم يقال له ابراهيم

ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما قلت هما صفتان لفتى الا ان الاول
وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع واما
الثاني فليس كذلك فان قلت ابراهيم ما هو قلت قيل هو خبر مبتدأ محذوف
او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى على اعين الناس في محل الحال
بمعنى معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت
هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه
لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه او بما فعله او يحضرون عقوبتنا له روي ان الخبر بلغ نمرود
واشراف قومه فامروا باحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل
فيها الا اذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد ابراهيم صلوات الله عليه
لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته
لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك
صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أانت كتبت هذا وصاحبك
امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا
الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته
والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته
تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما رأى من زيادة
تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند
الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم
كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر
على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو
اكبر منها وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فلما اقنعهم الحجة

فيهما حيث

من التشويش في الخط

انكم

واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين
قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين نكسوا قلبوا فجعل اسفله اعلاه وانتكس انقلب
اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا
عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال
الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابراهيم مجادلين
عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا
وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابراهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ
نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما لم يسم فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤوسهم وقراءة رضوان
بن عبد المعبود اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما رأى من ثباتهم
على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام
لبيان المتأفف به اي لكم ولآلهتكم هذا التأفف اجمعوا انهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا
المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته
كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار باحراقه
نمرود وعن ابن عمر رضي الله عنه رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي انهم حين هموا
باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب
حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم ثم اشعلوا نارا
عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا
به فيها فناداه جبريل عليه السلام يا نار كوني بردا وسلاما ويحكى ما احرقت
منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك
قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واطل
عليه نمرود من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك

نكسوا انتكسوا

بعد ما ذكر ابراهيم في اولهم فقالوا انكم انتم الظالمون ... لقد علمت ما هؤلاء ينطقون

كوثى قرية من قرى الكوفة

فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة
واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا
خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا
له اهول المعاقبات وهو الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار
وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شأنها ولم يألوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها
فعل الله وارادته كمامور امر بشيء فامتثل والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك
كأن ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابراهيم او ابردي بردا غير ضار
وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها فان قلت كيف بردت النار وهي نار
قلت نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة
والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته
عن جسم ابراهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه
قوله على ابراهيم وارادوا ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين
غالبوه بالجدال فلقنه الله الملكيد فنزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه
نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا
فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل
بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن
سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل
ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروي انه نزل
بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة النافلة ولد الولد وقيل
سأل اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال يهدون
بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مامور بها من جهة الله

ليس له ان يخل بها ويشتغل عنها واول ذلك ان تفعيل يقتضيه لان الانتفاع بها اعم
والنفس الى المايل اقرب وايا بالمهوى امثل فعل الخيرات اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا
الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة حكما حكمة وهو ما يجب
فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او
في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء من قبل من قبل هولاء المذكورين
هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي
اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه اي واذكرهما
وابدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما
وقرئ لحكمهما والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها حكم
داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق
بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون *اى قسم*
بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته
يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك فان قلت
احكما بوحي ام باجتهاد قلت قيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود
نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فان قلت
ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع
بالغنم فسلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة رحمه الله في العبد اذا جنى
على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي رحمه الله يبيعه في ذلك او يفديه
ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل
الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم
واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال

اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه
بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا فان قلت
فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه
ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد والشافعي يوجب الضمان
بالليل وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان وفي قوله
وكلا آتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب يسبحن حال بمعنى مسبحات
او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير اما معطوف على الجبال
واما مفعول معه فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها
وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان
ناطق روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار
فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بان يخلق الله فيها الكلام
كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو ان يسبح من رآها تسير بتسيير
الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان
كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبياء اللبوس اللباس قال البس
لكل حالة لبوسها المراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها *اما نعيمها واما بوسها تمامه*
داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد
وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة او اللبوس على تاويل الدرع والياء لداود
او اللبوس قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب للعطف على الجبال
فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما
قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة
يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين ان تكون

رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم
آية الى آية ومعجزة مع معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها
على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه
علمنا وحكمتنا اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك
الى الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون *جمع مهنة وهي الخدمة*
له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او
يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه اي نادى باني مسني وقرئ باني بالكسر
على اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر
في النفس من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين الطف في السؤال حيث ذكر
نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا
تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها *جمع جرذ وهي الفار*
الطفت في السؤال لاجرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان ايوب
روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهما السلام وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا
وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان *الفدان بتشديد الدال وتخفيفها الثوران اللذان يحرث بهما*
يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم
عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة
سنة وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امراته يوما لو دعوت
الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه
وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل *بعده اى بعد الكشف*
منهم وروي ان امراته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا العابدين وانا
نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين

ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة قيل في ذي الكفل
هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود
على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء
ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون
محمد واحمد النون الحوت فاضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا
على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا *فابتلي صح*
للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم
ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ *اوبعد المغارقة*
ابو شرف مغضبا فظن ان لن نقدر وقرئ نقدر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف
ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله
عليه عقوبة وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة
فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرا هذه الآية وقال
او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان *من صح*
يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله
ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان *اى مغاضبا*
يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق
بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا
والخطاب للمؤمنين في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله
ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات
بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين
وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب

بل هو بهذا الدعاء الا استجيب له ومن الحسن ما حكاه والله اعلم اقراره على نفسه بالظلم
ننجي ونُنجّي ونجّي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحّل لصحته جعله فعل وقال نجي النجاء
المؤمنين فارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء وفيه تعسف بارد العتيق — اي سكنها
سأل ربه ان يرزقه ولدا ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما
فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث واصلحنا زوجه
ان جعلناها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل بتحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير للمذكورين
من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم
في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان
وهو كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وعن
مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال اما اني سألت
ابراهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرى الله
منه خيرا لعلك ترى انه ان يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه احصنت فرجها — ان الخشوع
احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فان قلت
نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله ونفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل
على احياء مريم عليها السلام قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها
ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز ان يراد — الذي نفخ في المزمار
فعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لانه نفخ في جيب درعها
فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار
آيتين قلت لان حالهما بمجموعها آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل الامة
الملة وهي اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون — وهذه

عنها مشارا اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله واحد فاعبدون ونصب
الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى
للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة
على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم
ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم — ويقتسمونه
فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا
لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة
اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر
مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر
سعيه وانا له كاتبون اي كاتبو ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه
فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله تعالى
ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ وحرم وحرم
بالفتح والكسر وحرم وحرّم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا — الرجوع
اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الآية ان قوما عزم
الله على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيامة فحينئذ
يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع
على كفرهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر
وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام على قرية
اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور
غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح
يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول فان قلت

بم تعلقت حتى واقعة غاية له وايته الثلاث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي
غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها
الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها حذف
المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل
فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس
عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر
وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الارض
وقرأ ابن عباس من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ
ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي اذا المفاجأة وهي تقع في المجازاة
سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على
وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا هي
ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا يا ويلنا
متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا
ما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم
خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد
وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر
بن الحارث فكلمه رسول الله حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية
فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة — من الهمس
بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه
فقال ابن الزبعرى أانت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا — خوضوا
عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم

بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله يعني ان الذين سبقت لهم الآية يعني عزيرا
والمسيح والملائكة فان قلت لم قرنوا بآلهتهم قلت لانهم لا يزالون لمقارنتهم
في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب
ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر
على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم فان قلت اذا عنيت بما تعبدون الاصنام — القرن الحبل
فما معنى لهم فيها زفير قلت اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان
يقال لهم زفير وان لم يكن الزافر الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالتباس والحصب
المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر
وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت
من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن
تأنيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا
رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها
والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة وقرئ لا يحزنهم من احزن
والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في
السموات ومن في الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على
النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح اي تستقبلهم الملائكة مهنئين
على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل العامل في يوم
نطوي السماء لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول
والسجل بوزن العتل والسجل بوزن الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما
يطوي الطومار للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء

ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات اي لما كتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل
ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره
نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء
في تناول القدرة لهما على السواء فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت
اوله ايجاده من العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم فان قلت
ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال
ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق اول الخلق
بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر
يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدأناه
اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا
مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل صح كتاب
ذلك وعن الشعبي رحمه الله الزبور زبور داود والذكر التوراة وقيل اسم جنس ما انزل
على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعني اللوح اي يرثها المؤمنون
بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض
المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم الاشارة الى المذكور في هذه السورة من
الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ
به البغية ارسل محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه
ومن خالفه ولم يتبع فانما اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل انه رحمة

عيشا عليه فيبقى ناس زروعهم ومواشيهم مما يهلك وبقي ناس مفرطون من التقى
متصفين بالعيش المخزي في نفسها نعمة من الله ورحمة للمؤمنين ولكن الكافرين محنة على
نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للعالمين من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه
وامنوا به عذاب الاستيصال انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد
قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة
انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة
على ان الوحي الى رسول الله مقصور على استيثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون
ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد
وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى
الي فتكون ما موصولة آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى
الانذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة آذنتنا ببينها اسماء
والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه
من الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم
العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام به
لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدون من غلبة
المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت
لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون
به من كلام الطاعنين في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد
للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادري لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف
تعملون او تمتيع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة وقرئ قل
وقال على حكاية قول رسول الله ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم

على الضم وربي احكم على افعل التفضيل وربي احكم من الاحكام امر باستعجال
العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطاتك
على مضر وقرئ يصفون بالياء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون
ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله والمؤمنين و
خذلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا
يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية وهي خمس وقيل ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف
زليل الاشياء من مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها
كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله
او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به
كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت
الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي
عند طلوع الشمس من مغربها امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة
ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا
على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي
بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي ان
هاتين الايتين نزلتا في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر ليلا
باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام
وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها منصوب

بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة
اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة فان قلت لم قيل مرضعة
دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع
التي شأنها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان
ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من
الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة
عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وقرئ وترى الناس من اريتك قائما
او رؤيتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانثه
على تأويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان
وسكارى وسكارى نحو كسالى وكسالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب
والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف
عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر
بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فان قلت
لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الرؤية اولا علقت بالزلزلة
فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة آخرا بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد
منهم رائيا لسائرهم قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن
اساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال
فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس
قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق
والباطل ويتبع في ذلك كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له
لم تثمر له الولاية الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى رؤسار

أهل الأهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالإمامة في دين الله لداخلين تحت كل
هذا دخولا أوليا بل هم أشد الشياطين إضلالا وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا
الضلال تدوينا ولقنوه أشياعهم تلقينا وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم وإياهم
عنى من قال وبادر بمعتقد الحق بين قومه طريق نجاة ... ولو ... اللوح
ما خط فيه من بيان ... في طريقه ... اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي
رضيته لملائكتك في سمواتك وأنبيائك في أرضك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين
والكتبة عليه مثل أي كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ
أنه فإنه بالفتح فمن فتح فلأن الأول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب
كما هو كأنما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت إن الله هو الغني الحميد أو على تقدير قيل
أو على أن كتب فيه معنى القول الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد
كأنه قيل إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم
الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان
والعيب يقال خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء إذا كانت
ملساء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب
ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم
وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة لنبين لكم
بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم
من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين
ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على إعادة ما أبداه بل هذا أدخل في
القدرة من تلك وأهون في القياس وورود الفعل غير معدى إلى المبين إعلام بأن أفعاله
هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبي عبلة

ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ونقر ونخرجكم
ونقر ونخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بفتح النون وضم القاف من قر الماء
إذا صبه فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقر في الأرحام ما يشاء أن يقره من ذلك
إلى أجل مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة أو سنتين أو أربع أو كما شاء
وقدر وما لم يشأ إقراره مجته الأرحام وأسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف
على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا
والثاني أن نقر في الأرحام من نقر حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف
فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا أشدكم ووحد لأن الغرض الدلالة على
الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا والأشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من
ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقتود وغير ذلك وكأنها شدة
في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله
أرذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفولته ضعيف البنية
سخيف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد
التمام فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهي به إلى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا
أي ليصير نسيا إذا كسب علما في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من
ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة إلا سألك عنه وقرأ أبو عمرو العمر
بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها
وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات
وانتفخت وقرئ ربأت أي ارتفعت والبهيج الحسن السار للناظر إليه أي ذلك
الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم
واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو أن الله هو الحق

أي الثابت الوجود وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم
لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد عن ابن عباس أنه
أبو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الأقاصيص وقيل الأول في المقلدين وهذا
في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي
إلى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي أي يجادل بظن وتخمين لا بأحد هذه الثلاثة وثني العطف
عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الإعراض عن الذكر
وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة قرئ بضم الياء
وفتحها فإن قلت ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان
أيضا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال قلت
لما أدى جداله إلى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه
وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال وخزيه ما أصابه
يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت
يداه وعدل الله في معاقبته الفجار وإثابته الصالحين على حرف على طرف من الدين
لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي
يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه
قالوا نزلت في أعاريب قدموا المدينة فكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا
سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت
في ديني هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب
وعن أبي سعيد الخدري أن يهوديا أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال إن الإسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة
بترك التسليم لقضاء الله والخروج إلى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين إحداهما ذهاب

ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسر الدنيا والآخرة
بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير
وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدأ محذوف واستعير الضلال البعيد من ضلال من أبعد
في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلاله فإن قلت الضر والنفع منفيان
عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض قلت إذا حصل المعنى ذهب
هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد
فيه بجهله وضلاله أنه سينتفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر
بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر
الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير أو كرر يدعو
كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا
أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر
والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله
تعالى ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله
يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه أنه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ
مجهوده في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا
إلى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي
يغيظه وسمي الاختناق قطعا لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر
القطع وسمي فعله كيدا لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل
الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده إنما كاد به نفسه والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب
لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل إلى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي أن ينزل
عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون

ما وعد الله رسوله من النصر واخروه من المشركين بدون اتباعه ويخشون ان لا يتم امره
فنزلت وقيل في النصر الرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيته ولا بد
للعبد من الرضاء بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع
وهو الاختناق فان ذلك لا يغلبه القسمة ولا يرده مرزوقا اي ومثل ذلك الانزال انزلنا
القرآن كله آيات بينات ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يومنون او يثبت الذين آمنوا
ومن يريد هدى اي لذلك بيننا الفصل مطلق يحمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن
جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان
خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم
وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اي بين المومنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة
لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
شهيد مطلعا وحافظا له فيما تحدث فيها من افعاله ويجوبها طلبه من تدبيره وتسخيره لها ويجوز ان
يراد به تشبيها لمطاوعتها بادخال افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود
الذي هو كل خضوع دونه فان قلت — فما تصنع بقوله وكثير من الناس وما فيه
من الاعتراض من اصل معنى السجود على المعنى الذي فسرته لا يسجد بعض الناس دون بعض
والثاني ان السجود قد اشتمل على سبيل العموم الامر في الارض من الانس والجن او لا
فاسناده الى كثير منهم تخصيصا قضيته قلت — لا انظم كثيرا في المفردات
المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر دل عليه قوله يسجد اي ويسجد
له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسره بيسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة
والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين
مختلفين او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لدلالة خبر مقابله عليه وهو قوله
حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة

وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم
يخبر عنهم بحق عليهم العذاب ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره
او فسقه فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام ان الله يفعل
ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما تقتضيه اعمال العاملين واعتقادات المعتقدين
الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق وكانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله
هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان
او اختصما جاز يراد المومنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة
في ربهم اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمومنين نحن احق بالله واقدم منكم
كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المومنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله
من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في
ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة
وبه رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر
لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد
منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران
الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها
وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اذا صب الحميم على رؤوسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره
في الظاهر فيذيب احشاءهم وامعاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما
فقطع امعاءهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها
الثقلان ما اقلوها وقرئ الاحمر ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج
فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما روي
عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها

سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك
يحلون عن ابن عباس من حليت المراة فهي حال ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا
عينا ولولوا بابدال الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوا ثم قلب الثانية ياء كادل
ولول كادل فهو جر ولولو وليليا بقلبهما ياء عن ابن عباس وهدوا الى الطيب من القول وهو
ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهدوا الى صراط الحميد كقولهم فلان يحسن الى الفقراء
ويغيث المظلومين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه
والمعنى في جمع ان ... ومن قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصد
منهم مستمر دائم للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتائي
وطاري ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة رحمه الله على ان المراد بالمسجد الحرام
مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي رحمه الله لا يمتنع ذلك وقد حاوره
اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها او
غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من مالكيه او غير مالكيه سواء بالنصب
قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا
العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان الالحاد العدول عن القصد
واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول
كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما فلنذقه من عذاب اليم
يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع
ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير
الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب
اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله

وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن
ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل و
معناه من يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره
ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا
فهو كذلك واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه
للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله
ابراهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم
وان هي المفسرة فان قلت — كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة
قلت — كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له
لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله
وقرئ يشرك بالياء على الغيبة واذن في الناس ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء
بالحج ان يقول حجوا او علمهم بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم
وعن الحسن انه خطاب لرسول الله امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع راجل
كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس
وعلى كل ضامر ركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة لكل ضامر
لانه في معنى الجمع وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان من كل فج عميق طريق بعيد وقرأ ابن مسعود
معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ليشهدوا منافع لهم نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة
دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان
يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها
لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون
عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به

إلى الله ويذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسيناً بيناً أن جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله
على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في أيام معلومات ما رزقهم لم يكن شيء من ذلك الحسن والروعة الأيام
المعلومات أيام العشر عند أبي حنيفة رحمه الله وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه
هي أيام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات أربع فبينت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن
والمعز فكلوا منها أمر بذلك إباحة لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم ويجوز أن يكون للندب
لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء أن يأكل
الموسع من أضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود أنه بعث بهدي وقال فيه إذا نحرته فكل
وتصدق وابعث منه إلى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وأطعموا البائس الذي
أصابه بؤس أي شدة والفقير الذي أضعفه الإعسار ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والأظفار
ونتف الإبط والاستحداد والتفث الوسخ والمراد قضاؤه أي إزالة التفث وقيل
وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم أو ما ينذرون ويوجبونه من أعمال البر في حجهم
وليطوفوا طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج ويقع به تمام التحلل
وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لأنه أول بيت وضع للناس
أو المعتق من الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد
لم يملك قط وعن مجاهد أعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فإن قيل
قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن به ابن الزبير
رحمه الله فاحتال لإخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل ذلك
خبر مبتدأ محذوف أي الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني
ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع
ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاماً في جميع تكاليفه
ويحتمل أن يكون خاصاً فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام

والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له أي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم
العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها عند ربه لا يستثني من الأنعام
ولكن المعنى إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة
والمعنى أن الله قد أحل لكم الأنعام كلها إلا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده
وإياكم أن تحرموا مما أحل شيئاً كتحريم عبدة الأوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا
مما حرم الله كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته وأحمد
من يعظمها أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لأن توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق
القول أعظم الحرمات وأسبقها خطواً وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك
أن الشرك من باب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة
الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئاً منه لتماديه في القبح
والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان وسمى الأوثان رجساً … بطباعكم عن الرجس
وتجتنبونه فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس
من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه أنه رجس والرجس مجتنب من الأوثان
بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء
كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان والزور من الزور والازورار وهو
الانحراف كما أن الإفك من أفكه إذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام
وما أشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الصبح فلما
سلم قام قائماً واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الإشراك بالله
وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول أهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا
شريكاً هو لك تملكه وما ملك ويجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فإن
كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده بأن صور حاله

من عاصم

بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعاً في حواصلها أو عصفت به الريح
حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء
والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره
بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به
في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما
وهي قراءة الحسن وأصلها تختطفه وقرئ الرياح ومن يعظم شعائر الله فالهدايا لأنها
من معالم الحج أن يختارها عظام الأجرام حساناً سماناً غالية الأثمان ويترك المكاس
في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والأضحية والرقبة
وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بثمنها بدناً فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وأهدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وكان ابن عمر
يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد أن طاعة الله
في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه فإنها من تقوى القلوب
أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى
إلا بتقديرها لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى من ليرتبط به وإنما ذكرت القلوب لأنها
مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء إلى أجل
مسمى إلى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي
في الأحوال والمعنى أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم
وإنما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة
وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطاً في النفع محلها إلى البيت العتيق أي وجوب نحرها
أو وقت وجوب نحرها منتهية إلى البيت كقوله هدياً بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم

ولكل

الذي هو في حكم البيت لأن الحرم حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا
البلد وإنما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها
ومحلها إلى البيت العتيق يأباه ولكل أمة شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا لوجهه على وجه
التقرب وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على المناسك وقرئ منسكاً
بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمنسوك ويكون بمعنى الموضع فله أسلموا أي أخلصوا
له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالماً أي خالصاً لا تشوبوه بإشراك وبشر المخبتين
المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الأرض وقيل هم الذين لا يظلمون
وإذا ظلموا لم ينتصروا وقرأ الحسن والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود
والمقيمين الصلاة على الأصل والبدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة ولأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالإبل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل
البقر في حكم الإبل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند أبي حنيفة رحمه الله
وأصحابه وإلا فالبدن هي الإبل وعليه تدل الآية وقرأ الحسن والبدن بضمتين
كثمر في جمع ثمرة وابن أبي إسحاق بضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب
والرفع كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله
وإضافتها إلى اسمه تعظيماً لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شأن الحاج
أن يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف أنه لم يملك إلا تسعة دنانير
فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس
دنيا وآخرة وعن إبراهيم من احتاج إلى ظهرها ركب ومن احتاج إلى لبنها شرب فاذكروا اسم الله
أن يقول عند النحر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك
صواف قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس
وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لأن البدنة تعقل إحدى يديها

فتقوم على الثلاث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله وعن عمرو وابن مسعود صوافنا بالتنوين
عوضا من حروف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب اعط القوس
باريها بسكون الياء وجبت جنوبها وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا
سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل
لكم الاكل منها والاطعام القانع السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له
وسألته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال
من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسؤال وقرأ الحسن والمعتري وعره وعراه
واعتره واعتراه بمعنى وقرأ ابو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع
من الله على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذي رأوا وعلموا يأخذونها
منقادة للآخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا
تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى
بما يتأبد من الابل شاهدا وعبرة اي لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء
المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضي المضحون والمقربون
ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به
وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم يغن عنهم
التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم وقرئ لن تنال ولكن تناله بالياء والتاء وقيل
كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون
ارادوا مثل ذلك فنزلت كرر تذكيرا للنعمة بالتسخير ثم قال لتكبروا الله على هدايته اياكم
لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر
وعدي تعديته خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا
وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك ان الله لا يحب

اضداد هم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون
نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل
المغالب يجيء اقوى وابلغ اذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى
اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين
وهم اصحاب رسول الله كان مشركو مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال
حتى هاجر فانزلت هذه الآية وهي اول آية اذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية
وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم والاخبار
بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه
عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة ايضا ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق
اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج
والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره
وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل
المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم
صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون في امة محمد عليه السلام
على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ
دفاع وهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلوة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها
بالعبرانية صلوثا من ينصره اي ينصر دينه واولياءه هو اخبار من الله عز وجل باظهر الغيب
عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا
وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد
اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين

لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك
للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله
من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه
وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
تسلية له لست باوحدي في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك قومهم وكفاك بهم اسوة
فان قلت لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لان موسى ما كذبه
قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب
كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره النكير
بمعنى الانكار والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا كل مرتفع
اظلك من سقف بيت وخيمة او ظلة او كرم فهو عرش والخاوي الساقط من
خوى النجم اذا سقط او الخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل
وقوله على عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها
اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة
او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية
وهي على عروشها اي قائمة مطلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض
فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان ماثلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة فان قلت
ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية قلت الاولى في محل النصب
على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل
وقرئ معطلة من اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها
آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص
او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه

من ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اقرب
وروي ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب
وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضوراء
بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما
وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصرهم
يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا
آثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا
ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون
ما يجب سماعه من الوحي فانها الضمير ضمير الشأن والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة
ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما تفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والمعنى
ان ابصارهم سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكأنه ليس بعمى
بالاضافة الى عمى القلوب فان قلت اي فائدة في ذكر الصدور قلت
الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس
نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة
العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف
ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه
للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت لان محل
المضاء هو هو لا غير وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة
ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب
العاجل والآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك
على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم

ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال
ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من
ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او كأن ذلك اليوم
الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال
وقرئ يعدون بالياء والتاء ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم
حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي فان قلت لم كانت الاولى
معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الاولى وقعت بدلا من قوله فكيف كان
نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو واعني قوله
وان يوما عند ربك كالف سنة يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيه
وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل
اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا
واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين
ان كيدهم للاسلام يتم لهم فان قلت كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير
لذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء
لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم
ليغاظوا من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم
قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى
المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو
الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض
عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم

لعله صح

وحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم و
واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في
نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى
القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل
السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ودوى الغرانقة
ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام او تكلم الشيطان
بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكن
الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا
وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت
مكن الله الشيطان ليلقي في اماناتهم مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان من حولهم
والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب
الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرأ وانشد تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود
الزبور على رسل وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء
لا الاصنام فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله آياته اي
يثبتها والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون
المكذبون وان الظالمين يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر
موضع المضمر قضاء عليهم بالظلم انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء
هو الحق من ربك والحكمة وان الله لهاد الذين آمنوا الى ان يتأولوا ما يتشابه في الدين
بالتاويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المجمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين
الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعترضهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين
آمنوا بالتنوين الضمير في مرية منه للقرآن او للرسول اليوم العقيم يوم بدر

وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن
او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز
وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له
في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته
الساعة او يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير فان قلت التنوين في يومئذ
عن اي جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله
ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله
سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا
والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله
وكرمه روي ان طوائف من اصحاب رسول الله قالوا يا نبي الله هؤلاء قتلوا قد علمنا
ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله
هاتين الآيتين تسمية الابتداء بالجزاء للملابسة من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون
النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان قلت كيف طابق ذكر
العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على
الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب
عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب
ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر
وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو
ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن
له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين
او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر

على عقوبته ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما
على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون
فان قلت ما معنى ايلاج احد الملوين في الآخر قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان
ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج
ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص من الآخر من الساعات وقرئ يدعون بالياء
والتاء وقرأ اليماني وان ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة الى ما لانه
في معنى الآلهة اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك
كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الهيته وان ما يدعى الها دونه باطل
الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا فتصبح مخضرة اي ذات خضرة على مفعلة
كمبقلة ومسبعة فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع
قلت لنكتة وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا
فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فان قلت
فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض
لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك
الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته
فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب
وتوقير اهله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم ما في
الارض من البهائم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من
سائر المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة ان تقع الا بمشيئته
احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه

من ضروب النعم فهو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك
او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم
كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقا وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا
للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج
هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل
الذي لا يكون الا بين اثنين في الامر في امر الدين وقيل في امر النسائك وقرئ فلا ينزعنك
اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت
لرسول الله بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن ايات الله
ولا تكونن من المشركين ولا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله حول
ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو
من نازعته فنزعته اي غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة فان قلت لم جاءت نظيرة هذه
الاية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها
من الاي الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها
فلم تجد معطفا اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع
وجدال فقل لهم ان الله اعلم باعمالكم وقبحها وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا
وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اي
يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم وكيف
يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض
وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات
لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق معلوم ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة وبرهانا سماويا
من جهة الوحي والسمع وما ليس لهم به علم ضرورة ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للظالمين

ان يتكلموا مثل هذا الظلم من اجل بنيرهم ويصوتون بلهيبهم المنكر الفظيع من التجهم والبسور
او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش
وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار اي هو النار
وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم
عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله استيناف
كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدأ ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها
او جررتها باضمار قد فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت
قد سميت الصفة او القصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها
ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم وقرئ يدعون بالتاء والياء
ويدعون مبنيا للمفعول لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا مؤكدا وتأكيدها
ههنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا فان قلت
ما محل ولو اجتمعوا له قلت النصب على الحال كانه قيل مستحيل ان يخلقوا الذباب
مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزل الله في تجهيل
قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا
بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن اخرها
صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله واصغره واحقره و
لو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق
الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله
ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت
وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب
وعن ابن عباس انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب

اي النار موعودة

فيدخل الذباب من الكوى فتأكله ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته حين
لم يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولم يؤهلوه للعبادة ولم يتخذوه شفيعا
له ان الله قادر غالب فكيف يتخذوا العاجز المغلوب شبيها به هذا رد لما انكروه ان يكون
الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك
للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليه منهم خافية واليه
مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه
في حكمه وتدابيره واختيار رسله الركوع والسجود ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة
دلالة على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة
بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عمم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس
اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلاتهم بركوع
وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس
في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا
هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم
وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان
لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين
وبذلك احتج الشافعي فرأى سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها
الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ان ذلك سجدة صلاة لا سجدة تلاوة
وجاهدوا امر بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
في الله اي في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا ومنه
حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او

او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص
فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان
يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وما
جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات
والديات والارش ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر والامة محمد على الحنيفية
المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم
توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اي اعني بالدين
ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد فان قلت لم يكن ابراهيم ابا للامة كلها قلت
هو ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده هو
يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابراهيم ويشهد للقول الاول قراءة ابي بن كعب الله سماكم
من قبل وفي هذا اي من قبل القران في سائر الكتب وفي القران اي فضلكم على الامم وسماكم
بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس
بان الرسل قد بلغتهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه واعتصموا بالله ولا
تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما
تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح
لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح
دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة
طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير

وعن ... بحجة ... واحترازا منهما كقوله فلولا أن الاعتبار كان جوابي قال قلت
ما المؤمن قلت هو في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما
ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر
التقي دون الفاسق الفاجر الخشوع في الصلوة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه
موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية
رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الى
شيء او يحدث نفسه بشيء من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع
ان يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب
والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب
انت تخطب وانت تعبث فان قلت لم اضيفت الصلوة اليهم قلت لان الصلوة
دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلوته
واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل
كاللعب والهزل وما توجب المروة الغاءه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما شغلهم عن
الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل
والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف الزكوة اسم مشترك بين عين
ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي
هو التزكية وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من
مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب
وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول

في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة
على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها
وقد انشد لامية بن ابي الصلت المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات
ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح
لانها فيه مجموعة على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن
من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اي
واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا والمعنى انهم لفروجهم
حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على بمحذوف
يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على
ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي على
تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك فان قلت
هلا قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء
وهم الاناث جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن ابتغى وراء هذا الحد
مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم العادون الكاملون
في العدوان المتناهون فيه فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت لا
لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرئ لاماناتهم سمي
الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن
عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية
ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا
من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم وقرئ

على صلوتهم فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة اولا وآخرا قلت
هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك
ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها
وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة
كانت وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن
المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف
وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل اولئك
الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم
ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى
على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان
الواسع الجامع لاصناف الثمر روي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب
ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس
فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة
بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين فان قلت ما الفرق
بين من ومن قلت الاول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الاوثان فان قلت
ما معنى جعلنا الانسان نطفة قلت معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل
جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة
المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت
قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما
فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة
خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا

وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو
من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف
ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رحمه الله فيمن غصب بيضة فافرخت عنده
قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره في قدرته
وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه
طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله احسن الخالقين
وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فنطق بذلك قبل املائه
فقال له رسول الله اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي
يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقرأ ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق
بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد
مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك
جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين
ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع فان قلت فاذا لا حيوة الا
حيوة الانشاء وحيوة البعث قلت ليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر
كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا
فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها
من جنس الاعادة الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء
فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق
الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها
غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا او اراد به الناس وانه انما خلقها

ثم ليفتح عليهم الماء والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلا عنهم
وعما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا
من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه
ثابتا في الارض وقيل انه انزل خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات
نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال
واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وكما قدر على انزاله فهو
قادر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى
على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا
عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم
بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا
نفارها اذا لم تشكر ثم خص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها
للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين انه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل
رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ
جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفته يحترف بها ومن ضيعة
يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه
الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات
وقرئت مرفوعة على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين
لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل
مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء
فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث
كعلباء وحرباء ومن فتح لم يصرفه لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة

ومنه نودي موسى وقرا الاعمش سيناء على القصر تنبت بالدهن في موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن
وقرئ تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد لزهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم
قطينا لهم حتى اذا انبت البقل والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت
وقرئ بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرا ابن مسعود تخرج الدهن
وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن ومن بعضهم تنبت بالدهان
وقرا الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل
هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة
وقرئ تسقيكم بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اي تتعلق بها منافع من الركوب
والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة
وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها
في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها
يريد صيدحه ناقته بالحمل على الفلك والحمل على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل
للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم
ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما
ليس من استحقاق العبادة في شيء ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويترأسكم كقوله
تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض بهذا اشارة الى نوح عليه السلام او الى ما كلمهم به
من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي يدعي وهو
بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية
بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او لتماديهم
في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم
بين صدق وكذب بالاتهام كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا

اهلاكهم

والجنة الجنون او الجن اي به جن يخبلونه حتى حين اي احتملوه واصبروا عليه الى زمان
حتى ينجلي امره عن عاقبته فان افاق من جنونه والا قتلتموه قال رب انصرني باهلاكهم كانه
قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك
ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم
من العذاب وهو ما كان يوعدهم به حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم باعيننا
بحفظنا وكلاءتنا كان معه من الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه
عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالية ووحينا اي امرنا وتعليمنا كيف تصنع وتعمل روي
انه اوحي اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر روي انه قيل لنوح اذا رايت الماء
يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته
فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي
في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام
بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة
اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل
معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس
والقول هو الاول فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه دخله وسلكه غيره واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة
من كل زوجين من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق
والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة
روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد
وزيادة بيان جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي فان قلت

لم نهاهم عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة
ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد ان املى لهم الدهر
المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد
بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وجل فقطع
دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعو بدعاء هو اهم وانفع له
وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه
الزيادة في خير الدارين وان يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسالته وهو قوله وانت
خير المنزلين فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه في
معنى فاذا استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار
بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك
او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشان والقصة
كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا
لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر قرنا آخرين هم عاد
قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد
قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء
فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله
عدي في القرآن بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية
من نذير فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع آخر والى عاد اخاهم هودا قلت
لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال
كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا

في كل قرية نذيرا أن مفسرة لأرسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله فإن قلت
ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الأعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا
من قومه إنا لنراك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فأي فرق بينهما قلت
الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قالوا فقيل قالوا كيت وكيت وأما الذي مع الواو
فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما
بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة أي جوار الله
في مكة حذف الضمير والمعنى من مشروبكم أو حذف منه لدلالة ما قبله عليه إذن واقع
في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم أي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم
ثنى أنكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الأول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الأول
أو جعل أنكم مخرجون مبتدأ وإذا متم خبرا على معنى إخراجكم إذا متم ثم أخبر
بالجملة عن أنكم أو رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل إذا متم وقع
إخراجكم ثم أوقع الجملة الشرطية خبرا عن أنكم وفي قراءة ابن مسعود أيعدكم
إذا متم قرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف
فإن قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله
فهيهات هيهات العقيق وأهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون
فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد
ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به هذا
ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله إن الحياة إلا حياتنا الدنيا ثم وضع هي
موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت
والمعنى لا حياة إلا هذه الحياة لأن إن النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على
الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا أي يموت بعض ويولد بعض

قالوا يا هود ما جئتنا ببينة

ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ثم قالوا ما هو إلا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفي
ما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما
ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها الصيحة صيحة جبرئيل صاح
عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لأنهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من الله من قولك فلان يقضي
بالحق إذا كان عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود
من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء أحوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس
من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع
أفعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بأفعال لا يستعمل إظهارها ومعنى بعدا بعدوا
أي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد
نحو هيت لك ولما توعدون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني إسرائيل
أجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب تترى فعلى الألف للتأنيث لأن الرسل جماعة
وقرئ تترا بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في تولج ويتقور أي متواترين واحدا
بعد واحد من الوتر وهو الفرد أضاف الرسل إليهم وإلى أممهم ولقد جاءتهم رسلنا
بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لأن الإضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس المرسل
والمرسل إليه جميعا فأتبعنا الأمم والقرون بعضهم بعضا في الإهلاك وجعلناهم
أحاديث يتحدث بها ويتعجب منها والأحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله
وتكون جمعا للأحدوثة التي هي مثل الأضحوكة والألعوبة والأعجوبة وهي ما يتحدث
الناس به تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا فإن قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت
يجوز أن تراد العصا لأنها كانت أم آيات موسى وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من
انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر
بضربها بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كأنها ليست

رشدا

من الوتر وهو الفرد

بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز
أن تراد الآيات أنفسها أي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين إن فرعون علا في الأرض
لا يريدون علوا في الأرض أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم البشر يكون واحدا
وجمعا بشرا سويا لبشرين فإما ترين من البشر أحدا ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر
والمؤنث إنكم إذا مثلهم ومن الأرض مثلهن ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله إن الذين
تدعون من دون الله عباد أمثالكم وقومهما يعني بني إسرائيل كالخدم والعبيد وقيل لأنه
كان يدعي الإلهية فادعى للناس العبادة وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة
موسى الكتاب أي قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف
من فرعون وملئهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز أن يرجع
الضمير في لعلهم إلى فرعون وملئه لأن التوراة إنما أوتيها بنو إسرائيل بعد إغراق فرعون
وملئه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى فإن قلت
لو قيل آيتين هل يكون له وجه قلت نعم لأن مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله
ألقي إليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات أخر فكان آية من غير وجه
واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية ثم حذفت الأولى لدلالة الثانية
عليها الربوة والرباوة في رائها الحركات الثلاث وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة
بالكسر وهي الأرض المرتفعة قيل هي إيليا أرض بيت المقدس وإنها كبد الأرض و
أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن
فلسطين والرملة وعن أبي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فإنها الربوة التي ذكرها
الله وقيل مصر والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء
يعني أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض
وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته فوجه من جعله مفعولا أنه مدرك بالعين لظهوره من عانه

إذا أدركه بعينه نحو ركبه إذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا أنه نفاع بظهوره
وجريه من الماعون وهو المنفعة هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل
إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي
لذلك ووصي به ليعتقد السامع أن أمرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل
عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال
الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ
العقل أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المأكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب
وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز أن يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم
إلى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أي آويناهما وقلنا لهما هذا أي أعلمناهما أن الرسل كلهم
خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل قرئ وإن بالكسر
على الاستئناف وأن بمعنى ولأن وأن مخففة من الثقيلة وأمتكم مرفوعة معها وقرئ زبرا
جمع زبور أي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم أديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة
والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين
دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت
مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل
قال كأنني ضارب في غمرة لعب وعن علي رضي الله عنه في غمرتهم حتى حين إلى أن يقتلوا
أو يموتوا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره
وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع أن يتضمن
ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجا لهم إلى المعاصي
واستجرارا إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع وإكرام
ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين

وإن هذه أمتكم

بذلك

بل لا يشعرون استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا
ويتفكروا في ذلك الامداد استدراج ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع
من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضمير قلت هو محذوف تقديره نسارع به
ويسارع الله به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة
الكلام مع امن الالتباس يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا وفي قراءة رسول الله وعائشة
يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق
ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم
ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان
يراغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع
ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها
وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار
للمؤمنين وهم يسارعون في الخيرات لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون
الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز
ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى لها كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر
حتى ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك
كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح
او صحيفة الاعمال ينطق بالحق لا يقرؤون منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة
فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احد او اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف
ان يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب
فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوبهم في غمرة

في غفلة غامرة لها من هذا اي مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية
لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى ياخذهم الله
بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر
او الجوع حين دعا عليهم رسول الله فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم
سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة
والقد والاولاد والجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات النيام لربه اي يقال
لهم حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير نافع لكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من
جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر
علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم تكن
لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى آياتي الا انه ذكر لانها
في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين
فعدي تعديته او يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او تعلق
الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون
وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
او بتهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون
وتهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو
مبالغة في هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان القول القرآن يقول افلم يتدبروه
ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك انكروه
واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر
آياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يأت
آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه وآباؤهم اسمعيل واعقابه

من الضراوة
اي كثير الجؤار
بتاويل الكتاب

من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا
قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على
الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وروي في ان ضبة كان مسلما
وكان على شرطة سليمان بن داود ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته
وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح
خديجة بنت خويلد كفى بها شاهدا بالحق الجنون وكانوا يعلمون انه بريء منها وانه ارجحهم
عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط
بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط
المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر
فان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق قلت كان فيهم من ترك
الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة
للحق كما يحكى عن ابي طالب فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه
قلت يا سبحان الله كان ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله حتى يشتهر اسلام حمزة
والعباس ويخفى اسلام ابي طالب دل بهذا على عظم شأن الحق وان السموات والارض وما فيهن
ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام
او اراد ان الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة
ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم
ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات
والارض بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر
الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين
وقرئ بذكراهم وقرئ خرجا فخراج وخراجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام

من زكاة او رسم والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما
لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة
اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعني ام تسألهم
على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير قد الزمهم الحجة وازاح العلل
وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه
خليق بان يجتبى للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة
بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام
الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل و
استهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات
التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر
يحتمل ان هؤلاء وصفهم انهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور
وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب لما اسلم ثمامة
بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا
العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست
تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع
والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم
ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله
والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه
واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم
واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع
الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم

جمع داء

وانتم شكيمة العناد وسعطلكم او محناهم بكل محن من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة
وهم كذلك حتى اذا فتحنا عليهم بابا من جهنم خزنتها يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت
ما وزن استكان قلت استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال
اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء منتزاح
فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون قلت لان المعنى محناهم فما وجدت
منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب
الشديد وقرئ فتحنا انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية
ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في آيات الله وافعاله ثم ينظروا
ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى
عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعم
فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ند وشريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد
بمعنى حقا ذرأكم خلقكم وبثكم بالتناسل واليه تحشرون يوم القيامة بعد تفرقكم وله اختلاف
الليل والنهار اي هو مختص به وهو متولي له ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء
عن ابي عمرو اي قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم اساطير جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة
اني واسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق له
اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز
لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية
ومعناه افلا تتذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة
الخلق وكان حقيقا ان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قرئ الاول باللام لا غير
والاخيران باللام وهو هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا

بهما

تاما
لقائل يا نصر نصرا نصرا

في مصاحف اهل البصرة فباللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام
على اللفظ ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية افلا تتقون افلا تخافونه
فلا تشركوا به شيئا ولا تعصوا رسله اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني
وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته
والخادع هو الشيطان والهوى وقرئ اتيتهم واتيتهم بالفتح والضم بالحق ان نسبة الولد
اليه محال والشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا اذا لذهب كل اله
بما خلق لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم
متميزا من ملك الاخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم
متغالبون وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت
كل شيء فان قلت اذن لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع
قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف
تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب
لمن معه المحاجة من المشركين عما يصفون من الاولاد والانداد عالم الغيب بالجر صفة لله
وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ما والنون مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم
من العذاب في الدنيا او في الآخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن
اخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره افي حياته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعاء
فان قلت كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله
معهم قلت يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم
انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم
اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك وما احسن قول الحسن في قول ابي بكر
الصديق رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه

وقرئ ترئنهم بالهمز كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين
قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار كانوا يكونون الجوع العذاب
ويضحكون منه ويستعجلونه تكذيبا به فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه
هذا الانكار هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى
السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح
والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله
بالتي هي احسن وعن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام
يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة
لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة بما يصفون بما يذكرونه
من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم
الهمز النخس والهماز مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس
على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الاز في قوله
تؤزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لنداء ربه وبالتعوذ
من ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند
النزع يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على
وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم
ويغريه على الانتصار منهم او بقوله وانهم لكاذبون خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم
كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم وقوله الا فارحموني يا اله محمد اذا ايقن بالموت
واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فسال ربه
الرجعة وقال لعلي اعمل صالحا في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الايمان
واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس تريد اسس اسا وابني عليه وقيل فيما تركت من المال

ادفع بالتي هي احسن السيئة

الهمزات جمع همزة

وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول
الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا
ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام
المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت
عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع
منه ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث
وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث
الا الى الآخرة الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابي رزين
وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة وتقطع الانساب يحتمل ان التقاطع بينهم حيث
يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتآلف الا بالاعمال فتلغو الانساب
وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء
من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بادغام التاء
في السين فان قلت قد ناقض هذا ونحو ولا يسأل حميم حميما قوله واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه
جوابان احدهما ان يوم القيامة مقداره خمسون الف سنة ففيه ازمنة واحوال
مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول
والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا
وتساءلوا وعن ابن عباس الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات
التي لها وزن وقدر عند الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا في جهنم خالدون
بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر
لاولئك او خبر مبتدأ محذوف تلفح تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح
اشد

اي بكسر الصاد وفتح الواو وبفتحهما *

اشد ايلاما او تكلح ان تتقلص الشفتان وتتشمر عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية
وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من التنور
فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتقلص
شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ
كلحون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه مني وامتلكه و
الشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وقرئ شقوتنا وشقاوتنا
بفتح الشين وكسرها فيهما اخسؤا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب
اذا زجرت يقال خسأت الكلب وخسأ بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع
ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الزفير والشهيق والعواء
كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا
النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا
ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله فينادون الفا يا مالك ليقض
علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون او لم تكونوا
فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون او لم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون
فيجابون اخسؤا فيها فهو انه كان فريق وقرئ بالفتح يعني لانه السخري بالضم والكسر
مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسبة زيادة قوة في الفعل كما الخصوصية في الخصوص
ومن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزؤ والمضموم من السخرة والعبودية
اي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل انهم الصحابة وقيل
اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم
بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي فوق
انهم بالفتح والكسر استئناف اي قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء

قرا حمزة والكسائي شقاوتنا بالالف وفتح الشين والباقون بكسر الشين من غير الف وهما مصدران كالغبطة والسعادة

قيل صح

والكسر حمزة

والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال في مصاحف اهل الكوفة وقل
في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام فعلى قال الضمير لله او للمامور بسؤالهم من الملائكة
وفي قل ضمير للملك او لبعض رؤساء اهل النار استقصروا امد لبثهم في الدنيا بالاضافة
الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه
من ايام الدعة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي
في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا
عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقلها ونحسبه
يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعد ومن
يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسال الملائكة الذين يعدون اعمار العباد ويحصون
اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين
اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرون فكيف من دونهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا
فيه من العذاب بين النفختين عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم
للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم
الشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب
المحسن ونعاقب المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان
يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء
الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه
وصف العرش بالكريم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين
كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش
المجيد لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة تجيء كقوله يطير بجناحيه
جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا

اي ما نطيق ان نعد كقول المريض ما اقدر ان اقوم اي لا اطيق القيام

بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح
بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح فوضع الكافرون
موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون
جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان
ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمنين بشرته
الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي ان
اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع
ايات من آخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا نزل عليه الوحي نسمع عنده دويا كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع
يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا
ولا تؤثر علينا وارضنا وارض عنا ثم قال لقد انزل علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة
ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

يديه

سورة النور مدنية وهي اربع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدا محذوف وانزلناها
صفة او مبتدا موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ
بالنصب على ذلك اضمرته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك
سورة او اتل سورة فانزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل
الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده
او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض
عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها الزانية والزاني رفعهما على الابتداء
والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما

لانها

ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه
معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه
وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب
على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة لاجل الامر وقرئ والزان
بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه وراسه فان قيل
اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلنا بل هو حكم من ليس بمحصن منهم
فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة رحمه الله ست الاسلام
والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة
منها فلا احصان وعند الشافعي رحمه الله الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله عليه
رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة رحمه الله قوله عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن فان قيل
اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع
يتناول المحصن وغير المحصن قلنا الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين
لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما
قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا ياخذكم بالياء ورافة بفتح الهمزة
ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد في
والمتانة فيه ولا ياخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله
صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما
حتى لا تعطلوا الحد او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا
فيقال له رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد
سوطا فيقال لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة رضي الله عنه اقامة حد

بأرض خيبر لأهلها من مطر أربعين ليلة وعلى الإمام أن ينصب للحدود رجالا عالمين بصيرا يعقل
كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه إلا إزاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا — اى مجردة
على الأعضاء كلها لا يستثنى منها إلا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد إشارة
إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها إلا الحشو
والفرو وبهذه الآية استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن الجلد حد غير المحصن بلا تغريب
وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة
وتغريب عام وما روي عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند
أصحابه بالآية أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحر — بيان على أن الزيادة على النص نسخ وأنه لا ينسخ الكتاب بخبر الواحد
واحد وله في العبد أقوال يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب
كما قال أبو حنيفة رحمه الله وبهذه الآية نسخ الحبس والأذى في قوله فأمسكوهن في البيوت
وقوله فآذوهما قيل تسميته عذابا دليل على أنه عقوبة ويجوز أن يسمى عذابا لأنه يمنع
من المعاودة كما سمي نكالا الطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو
أربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها
أربعة إلى أربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن رضي الله عنه عشرة وعن قتادة رضي الله عنه
ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رضي الله عنه رجلان فصاعدا وعن مجاهد رضي الله عنه الواحد
فما فوقه وفضل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح
أن هذه الكبيرة من أمهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله
ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما وقال ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا
وثلاث في الآخرة فأما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر
وأما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفي الله

جعل المائة بكمالها بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى
المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وأمر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير
والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصهم المؤمنين لأن ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء
قومه أخجل ويشهد له قول ابن عباس رضي الله عنه إلى أربعين رجلا من المصدقين بالله الفاسق الخبيث
الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وإنما
يرغب في فاسقة خبيثة من شكله أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب — السفاح الزنا
في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة
أو المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في
سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة
والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض
لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وأنكحوا الأيامى
منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين
فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وعن عائشة رضي الله عنها أن الرجل إذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية
وإذا باشرها كان زانيا وقد أجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمرة شجرة ثم اشتراه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم
الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لأمرين أحدهما أن هذه الكلمة أينما وردت — اى يبطل
في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد والثاني فساد المعنى وأداؤه إلى قولك الزاني لا يزني
إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما في أول الإسلام
ثم نسخ والناسخ قوله تعالى وأنكحوا الأيامى وقيل الإجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب — منكم ح
فإن قلت أي فرق بين معنى الجملة الأولى ومعنى الثانية قلت معنى الأولى — الاجماع لا يصلح ناسخا

صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها
غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان فإن قلت كيف قدمت الزانية
على الزاني أولا ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة
هي المادة التي منها نشأت الجناية لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن — اى لم تشر
فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل
أصل فيه لأنه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد رضي الله عنه لا ينكح
بالجزم على النهي والمرفوع أيضا فيه معنى النهي ولكن أبلغ وآكد كما أن رحمك الله ويرحمك
أبلغ من ليرحمك ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى أن عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل
نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها ويرمون يقذفون بالزنا القذف يكون بالزنا وبغيره
والذي دل على أن المراد قذفهن بالزنا شيئان أحدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني
اشتراط أربعة شهداء لأن القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا
أن يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية أو لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية
يا ولد الزنا لست لأبيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا أن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر
يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر أمه فعليه التعزير ولا يبلغ به أدنى حد العبيد — البظر هنة في فرج المرأة تقطعها الخافضة
وهو أربعون بل ينقص منه وقال أبو يوسف يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعون وقال للإمام
أن يعزر إلى المائة وشروط إحصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والإسلام
والعفة ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون على الزنا فإن قلت كيف يشهدون — صفة
مجتمعين أو متفرقين قلت الواجب عند أبي حنيفة رحمه الله وأصحابه أن يحضروا
في مجلس واحد وإن جاؤوا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي رحمه الله يجوز
أن يحضروا متفرقين فإن قلت هل يجوز أن يكون زوج المقذوفة واحدا منهم
قلت يجوز عند أبي حنيفة رحمه الله خلافا للشافعي فإن قلت كيف يجلد القاذف

قلت كما جلد الزاني إلا أنه لا ينزع عنه من ثيابه إلا ما ينزع عن المرأة من الحشو و
الفرو والقاذفة أيضا كالزانية وأشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شارب الخمر
ثم ضرب القاذف قالوا لأن سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب إلا أنه عوقب صيانة للأعراض وردعا
عن هتكها فإن قلت فإذا لم يكن المقذوف محصنا قلت يعزر القاذف ولا يحد
إلا أن يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة القاذف معلق
عند أبي حنيفة رحمه الله باستيفاء الحد فإذا شهد قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبلت شهادته
فإذا استوفي لم تقبل شهادته أبدا وإن تاب وكان من الأبرار الأتقياء وعند الشافعي رحمه الله
يتعلق رد شهادته بنفس القذف فإذا تاب عن القذف بأن رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما
متمسك بالآية فأبو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة
عقيب الجلد على التأبيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في أبدهم وهو مدة حياتهم وجعل — الأبد اسم لزمان طويل
قوله وأولئك هم الفاسقون كلاما مستأنفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كأنه حكاية
حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية وإلا الذين تابوا استثناء من الفاسقين
ويدل عليه قوله فإن الله غفور رحيم والشافعي رحمه الله جعل جزاء الشرط الجملتين أيضا
غير أنه صرف الأبد إلى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء
متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده أن يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند أبي حنيفة
رحمه الله أن يكون منصوبا لأنه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل — اى اولئك هم الفاسقون
الثلاث مجموعهن جزاء الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم
وفسقوهم أي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق إلا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فإن
الله يغفر لهم فينقلبوا غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين فإن قلت الكافر
يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالإجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف
فلا تقبل شهادته عند أبي حنيفة رحمه الله كأن القذف مع الكفر أهون من القذف مع الإسلام

على المسلمين لا يعبأون بشتم الكفار لانهم شهروا باعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف وقد يعرف الكافر من البشر والشنار ما يلحقه بشتم مسلم مثله فثبت ذلك على القاذف من المسلمين رد عار وكفا من لحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف او للامام ان يعفو عن حد القاذف قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال فان قلت هل يورث الحد قلت عند ابي حنيفة لا يورث لقوله عليه السلام الحد لا يورث وعند الشافعي يورث واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها فان قلت اذا كان الرجل حرا او عبدا او كافرا محدودا في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي رحمه الله يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام

لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة رحمه الله واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي رحمه الله تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله لشريك فقال عليه السلام لولا الايمان لكان لي ولها شأن وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة او لانهم في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرأ اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله وقرئ ان لعنة الله

وان غضب الله على تخفيف ان ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ نصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة فان قلت لم خص الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله عليه السلام لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة وصفوان بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوائد دينية واحكام وآداب لا تخفى على متأمليها بانفسهم اي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات

كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتضي ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا باللفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع وهضب وخاض اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم وقرئ على الاصل تتلقونه وادتلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه وتلقونه

من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الألق والإلق وهو الكذب وتلقونه
محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت أمي تقرأ إذ تثقفونه وكان أبوها
يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود فإن قلت ما معنى قوله بأفواهكم والقول
لا يكون إلا بالفم قلت معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه
اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولا يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به
في القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم أي تحسبونه صغيرة وهو عند الله
كبيرة وموجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال
وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة
وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها
تلقي الإفك بألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الإفك
حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث
استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم فإن قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم
قلت للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها
وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فإن قلت فأي فائدة في تقديم الظرف
حتى أوقع فاصلا قلت الفائدة بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا
أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم فإن قلت
فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا قلت معناه معنى
ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي
بحق وسبحانك للتعجب من عظم الأمر فإن قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح
قلت الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر
حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن قلت

كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة
قلت لأن الأنبياء عليهم السلام مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم
فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر وأما الكشخنة فمن أعظم
المنفرات أي كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه
وأبدا ما داموا أحياء مكلفين وإن كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب
ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان الصاد عن كل مقبح ويبين الله لكم الآيات الدالة على علمه وحكمته
بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية
والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة
وإرادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي
وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد
بقوله والذي تولى كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الأسرار والضمائر وأنتم لا تعلمون
يعني أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب
حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة
وكذلك في التواب والرؤوف والرحيم الفحشاء والفاحشة ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب
ضرائر حرمي تفاحش غارها أي فرط حسدها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه
ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله تعالى ولولا
أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك
ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم وإخلاصهم
وهو من ائتلى إذا حلف افتعال من الألية وقيل من قولهم ما ألوت جهدا إذا لم تدخر منه شيئا
ويشهد للأول قراءة الحسن رضي الله عنه ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى
المستحقين للإحسان ولا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء

لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم
ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط
آلى أن لا ينفق عليه وكفى به داعيا إلى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء ويروى
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على أبي بكر رضي الله عنه فقال بلى أحب أن يغفر الله لي ورجع
إلى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا وقرأ أبو حيوة وابن قطيب أن تؤتوا بالتاء على
الالتفات ويعضده ألا تحبون أن يغفر الله لكم الغافلات السليمات الصدور النقيات
القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال فلا يفطن
لما تفطن له المجربات العرافات قال الأعشى ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على أسرارها
وكذلك البله من الرجال في قوله أكثر أهل الجنة البله وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب
صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله عز وجل ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد
به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضي الله عنها ولا أنزل من
الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام
ما ركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد
منها كاف في بابه ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين
في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم
تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله حتى يعلموا
عند ذلك أن الله هو الحق المبين فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وجاء
بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك إلا لأمر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل
عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة رضوان الله عليها

وهذا منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك ولقد برأ الله أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد
وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ
مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها إني عبد الله وبرأ عائشة رضي الله عنها بهذه الآيات العظام
في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة
أولئك وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم
وخيرة الأولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه وتقدم قدمه
وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الإفك وليتأمل كيف غضب الله له
في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه فإن قلت إن كانت عائشة رضي الله عنها هي المرادة
فكيف قيل المحصنات قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأن يخصصن بأن من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به وإذا أردن وعائشة كبراهن
منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة أولا والثاني أنها أم المؤمنين
فجمعت إرادة لها ولبناتها من نساء الأمة الموصوفات بالإحصان والغفلة والإيمان كما قال
قدني من نصر الخبيبين قدي أراد عبد الله بن الزبير وأشياعه وكان أعداؤه يكنونه بخبيب
ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة أبو بكر إلا أن هذا في الاسم وذاك في الصفة
فإن قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق البين أي العادل
الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط
عنده إساءة مسيء ولا إحسان محسن فحق مثله أن يتقى ويجتنب محارمه أي الخبيثات من القول
تقال أو تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك
الطيبات والطيبون وأولئك إشارة إلى الطيبين وأنهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من
خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضوان الله عليها وما رميت به من قول لا يطابق
حالها في النزاهة والطيب ويجوز أن يكون أولئك إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرؤون مما يقول أهل الإفك

وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك
اهل الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة رضي الله
عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد
توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي
لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته
وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة
ورزقا كريما تستأنسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف
الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال
عليه فاذا أذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم
وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن
والثاني ان يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس
الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم
ام لا ومنه قولهم استأنس هل ترى احدا واستأنست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه
بيت النابغة على مستأنس وحد ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب
الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة
ويتنحنح يؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له
والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ثم رجع
وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاث واستأذن رجل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال عليه السلام لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن
ان يستأذن قولي له يقول السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان

اهل

اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل
فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن والاجمل وكم
من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان
من ذلك بينا انت في بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا الاسلام
ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اين الاذن
الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس رضي الله عنه
وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولا يعول على هذه الرواية
وفي قراءة ابي رضي الله عنه حتى تستأذنوا ذلكم الاستئذان والتسليم خير لكم
من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن
صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر وروي
ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أأستأذن
عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن لعلكم
تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم
به في باب الاستئذان يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى
تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها
الا باذن اهلها وذلك ان الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه
الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في
العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد من ان يكون
برضاه والا اشبه الغصب والتغلب فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في
تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس
خصوصا اذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب الحسنة فاذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة

وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك
مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد رضي الله عنه ما قرعت بابا على عالم قط
وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم
لا يعقلون فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وامرتم بالرجوع
فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد
الاذن وجعله من اهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر
بالرجوع الى فقد الاذن فان قلت فاذا عرض امر في دار من حريق او هجوم سارق
او ظهور منكر يجب انكاره قلت ذلك مستثنى بالدليل اي الرجوع اطيب لكم
واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة او انفع وانمى خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك
بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان
على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين
والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء
والبيع ويروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك آية في الاستئذان
وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل الخربات يتبرز
فيها والمتاع التبرز بما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور
الخالية من اهل الريبة من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل
وجوز الاخفش ان تكون مزيدة وأباه سيبويه فان قلت كيف دخلت في غض
البصر دون حفظ الفروج قلت دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم
لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك الجواري
المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين واما
امر الفرج فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه

ويجوز

ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في
القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر
انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم
فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون النساء مأمورات
ايضا بغض الابصار ولا يحل للمرأة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت
غضت بصرها رأسا ولا تنظر من المرأة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى
بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة
فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله
أليس اعمى لا يبصرنا فقال أفعمياوان انتما ألستما تبصرانه فان قلت لم قدم غض الابصار
على حفظ الفروج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد
واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب
فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بابدائه للاجانب
وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح
والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة
في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها
لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والاذن
فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل
ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر
ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف
عنها فان قلت ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها قلت
نعم فان قلت أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر

وقد نص القراميل على ما يجاوزي على ما تقدم آنفا قلت لا بأس كما قلت وكيف القراميل
خلاف امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على البطن والظهر
للاجانب فضلا عن هولاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر الى القراميل والنظر عليه
فان قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي تلابسه الزينة منه
قلت الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك
مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه
والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء فان قلت
لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة قلت لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد
بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة
والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن
وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل
فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به
من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع
من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب
وغير ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن
يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها
ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك
ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة
رضي الله عنها ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة
منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن كأن على رؤوسهن الغربان
وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل في نسائهن هن المؤمنات

لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس رضي الله عنه والظاهر
انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن
سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة
رضي الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر
وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فان المراد
بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن
ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال
هو خصي فقالت يا معوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة رحمه الله
لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم
فان قلت روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله قلت
لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب
الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء
لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم
او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية وضع
الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه نخرجكم
طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون
بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القرآن اخذه واطاقه
اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي لغة هذيل فان قلت
لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال قلت سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها
العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات تشترك الاب والابن في المحرمية
الا العم والخال وابناؤهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني

تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط
عليهن في التستر كانت المراة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال
واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعدما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي
ابلغ وابلغ اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها
وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار
وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس رضي الله عنه توبوا مما كنتم تفعلونه في
الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة فان قلت قد صحت التوبة بالاسلام
والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها ما يقوله العلماء ان
من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه
وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها
قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها الايامى
واليتامى اصلهما ايائم ويتائم فقلبا والايم للرجل والمراة وقد آم وآمت
وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال فان تنكحي انكح وان تتأيمي
وان كنت افتى منكم اتأيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة
والغيمة والايمة والكزم والقرم والمراد انكحوا من تأيم منكم من الاحرار
والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر
للندب لما علم ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند
طلب المراة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا
اليه قوله عليه السلام من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج
به فلم يتزوج فليس منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني
ثلثي دينه وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث في

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادى الى معصية
او مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة
والعزلة والترهب على رؤوس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية
فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة فان قلت لم خص الصالحين قلت
ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم
وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم في
الاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك
او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي ان تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد
ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة
لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح او بفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء
ففني واصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل
الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجبت لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان
عندنا رجل رازح الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال
كنت في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكري تراخيت عن
الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله علي الخير صبا فاصبحت
الى ما ترى والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر وليستعفف وليجتهد في العفة وظلف النفس كأن المستعفف
طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد
بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم

بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك
أن فضله أولى بالأعفاء وأدنى من الصلحاء وما أحسن ما رتب هذه الأوامر حيث أمر أولا
بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن
الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها عن الطموح
إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع على الابتداء
أو منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى
الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على
ألف درهم فإن أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال وكتبت لي على
نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق ويجوز عند أبي حنيفة رحمه الله حالا
ومؤجلا ومنجما وغير منجم لأن الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي
رحمه الله لا يجوز إلا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لأن العبد لا يملك شيئا فعقده
حالا منع من حصول الغرض لأنه لا يقدر على أداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال كثير
وقليل وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم مؤقت مثل حفر بئر في مكان بعينه
معلومة الطول والعرض وبناء دار قد أراه آجرها وجصها وما تبنى به وإن كاتبه على قيمته
لم يجز فإن أداها عتق وإن كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له
أن يطأ المكاتبة وإذا أدى عتق وكان ولاؤه لمولاه لأنه جاد عليه بالكسب الذي هو في
الأصل له وهذا الأمر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم إن شاء كاتب وإن شاء
لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين رحمه الله مثله وهو مذهب داود
خيرا قدرة على أداء ما يفارقون عليه وقيل أمانة وتكسبا وعن سلمان رضي الله عنه أن مملوكا له
ابتغى أن يكاتبه فقال أعندك مال قال لا قال أفتأمرني أن آكل غسالة أيدي الناس وآتوهم
أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال

الوصيف الخادم غلاما كان أو جارية

مقابل الرخص العزائم الفرائض التي عزم الله سبحانه على عباده أي أوجبه

[illegible] على مال أي صوره هذا وهذا وفارقا عليه من الصدور والعراق

لقوله وفي الرقاب عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله رحمة الله واسعة إلى يوم القيامة
فإن قلت هل يحل للمولى إذا كان غنيا أن يأخذ ما تصدق به عليه قلت
نعم وكذلك إذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقي طاب للمولى ما أخذه لأنه لم يأخذه
بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وهبت له
ومنه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي رحمه الله هو إيجاب
على الموالي أن يحطوا لهم من مال الكتابة وإن لم يفعلوا أجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع
وعن ابن عباس رضي الله عنه يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر رضي الله عنه أنه كاتب عبدا له يكنى
أبا أمية وهو أول عبد كوتب في الإسلام فأتاه بأول نجم فدفعه إليه عمر وقال استعن به على
مكاتبتك فقال لو أخرته إلى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا عند أبي حنيفة رحمه الله
على وجه الندب وقال إنه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم أسلفوهم
وقيل أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي أنه كان لحويطب
بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت كانت إماء أهل الجاهلية
يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن أبي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة
وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة وفي الحديث ليقل أحدكم
فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي والبغاء مصدر البغي فإن قلت لم أقحم
قوله إن أردن تحصنا قلت لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وآمر
الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره إكراها وكلمة إن وإيثارها على إذا إيذان
بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من
حيز الشاذ النادر غفور رحيم لهم أو لهن أو لهم ولهن إن تابوا وأصلحوا وفي قراءة
ابن عباس رضي الله عنه لهن غفور رحيم فإن قلت لا حاجة إلى تعليق المغفرة بهن لأن المكرهة

كانت مكاتبة عائشة رضي الله عنها

سمي الأمة إذا زنت بغيا ولا يقال ذلك للرجل [illegible] وفعال في الإماء خاصة [illegible]

على أن أباها بخلاف المكره عليه في أنها غير آثمة قلت لعل الإكراه كان دون
ما اعتبرته الشريعة من إكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره
حتى تسلم من الإثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة مبينات هي الآيات التي بينت
في هذه السورة وأوضحت في معاني الحدود والأحكام ويجوز أن يكون الأصل مبينا
فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر أي بينت هي الأحكام والحدود جعل الفعل لها على
المجاز أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من أمثال من قبلكم
أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف عليه السلام ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها وموعظة
ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا إذ سمعتموه
ولولا إذ سمعتموه يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا نظير قوله الله نور السماوات مع قوله
مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه
وجوده والمعنى ذو نور السماوات وصاحب نور السماوات ونور السماوات والأرض
الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى
النور أي من الباطل إلى الحق وأضاف النور إلى السماوات والأرض لأحد معنيين إما للدلالة
على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السماوات والأرض وإما أن يراد أهل السماوات
والأرض وأنهم يستضيئون به مثل نوره أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة كمشكاة
كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة
أراد قنديلا من زجاج شامي أزهر شبهه في زهرته بأحد الدراري من الكواكب وهي
المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة
أي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع
أو لأنها تنبت في الأرض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم
عليه السلام وعن النبي عليه السلام عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فإنه مصحة من الباسور

الكوة والفتح أفصح

السراج في لغة العرب النور والصور دون غيره من الفتيلة والخزف أو ما الشمعة والشعلة الفتيلة مع النور

لا شرقية ولا غربية أي منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى و
لا في مقنأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى وقيل
ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا
فهي شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وأنه لتلألئه يكاد يضيء من غير نار
نور على نور أي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة
والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوي النور ويزيده إشراقا ويمده بإضاءة بقية وذلك
أن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره
بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة
وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده أي يوفق لإصابة
الحق من نظر وتدبر بعين عقله والإنصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة إليه يمينا
وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالأعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار
الشامس وعن علي رضي الله عنه الله نور السماوات والأرض أي نشر فيها الحق وبثه فأضاءت
بنوره أو نور قلوب أهلها به وعن أبي بن كعب رضي الله عنه مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة
الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب إلى الدر أي أبيض متلألئ ودريء يدرأ الكوكب
يدرأ الظلام بضوئه ودريء كمريق ودري كالسكينة عن أبي زيد وتوقد بمعنى تتوقد
والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح الياء وحذف التاء
لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء لأن التأنيث ليس بحقيقي والضمير فاصل
في بيوت يتعلق بما قبله أي كمشكاة في بعض بيوت الله تعالى وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره
كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت أو بما بعده وهو يسبح أي يسبح
له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله في تسع آيات

المقنأة موضع لا تطلع عليه الشمس [illegible]

أو شديد الظلام أي الكائن من دمست [illegible]

الدري المتلألئ بالضم والكسر [illegible]

[illegible]

اي كمشكاة في بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها
واذ يرفع ابراهيم القواعد عن ابن عباس رضي الله عنه هي المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها
والرفع من قدرها وعن الحسن رضي الله عنه ما امر الله ان ترفع بالبنا ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه
او تلاوة كتابه وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء
للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلاث اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح
وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر رحمه الله بالتاء وفتح الباء ووجهها
ان يسند الى اوقات الغدو والاصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد
ربها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما والاصال جمع اصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو
اي الغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم تجارة
صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا تشغلهم نوع من هذه الصناعة
ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته
الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شرى شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا
يقين وذاك مظنون واما ان يسمى الشرى تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول
رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شرى وقيل التجارة لاهل الجلب يقال تجر
فلان في كذا اذا جلبه التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام
فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
وتتقلب القلوب والابصار اما ان تتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب من الهول والفزع
وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها
وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا
لا تبصر احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة والمعنى يسبحون
ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة

المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله عز وعلا اما تفضل واما ثواب
واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق
السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء
يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار
وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء
مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة
التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر
بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد
ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق
وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح
والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام اللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو
معظم ماء البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب
ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله قول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى
من حب مية يبرح اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها
وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجده
شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا تقتل ظمأه بالماء
وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة
من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في
ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف
الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله

ويضلل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه
وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى صافات يصففن اجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل
او لله وكذلك في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه
كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها يزجي يسوق ومنه
البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها وسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا
كالرباب ومعنى تأليف الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد
لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض
والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل
بالتشديد ويكاد سنا على الادغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة
واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسنا برقه على المد
المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب
بالابصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة عن ابي جعفر المدني وهذا
من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض
وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي
وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها
ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم
ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه
الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر
وفكر وتبصر وتدبر فان قلت متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من
في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء
حتى قيل له الم تر قلت علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق الوحي فان قلت

ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال فيها من برد قلت
الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والاخيرة
للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال
فان قلت ما معنى من جبال فيها من برد قلت فيه معنيان احدهما ان يخلق الله
في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال
كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز
وغير المميز غلب المميز فاعطي ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم
وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم فان قلت لم نكر الماء في قوله
من ماء قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او
خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم
ومنها ناس ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فان قلت
فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت قصد ثم معنى آخر وهو
ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت
بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم
من تراب خلقه منه فان قلت لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب قلت
قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل وقوائم ثم الماشي على رجلين
ثم الماشي على اربع فان قلت لم سمى الزحف على البطن مشيا قلت على
سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر
ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة
لذكر الزاحف مع الماشين وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى
الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق

المتولي وجهه وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء
باللسان من غير مواطاة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمانينة نفس لم يتعقبه التولي
والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون
المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد
ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا روي انها نزلت في بشر المنافق
وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان المغيرة بن وائل
كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست
آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي اليه صلة يأتوا لان اتى وجاء
قد جاءا معديين بالى او يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته
ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون
عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت
لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتاخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم
ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين
او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك
هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه
في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم يأبون المحاكمة اليه وعن الحسن رضي الله عنه قول
المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف
وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان
في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول

ومنهل من الفلا في اوسطه

اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم الظالمون صح

الى من اشهد بحكمكم ولا بد له من فاعل قلت هو مسند الى مصدره لان معناه
ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا
اي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا وقرئ ويتقه بكسر القاف
والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون القاف وكسر الهاء وبسكون الهاء شبه تقه بكتف
فخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله سبحانه في هذه الآية اسباب الفوز
وعن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله
على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه
الآية جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين
وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه واصل
اقسم جهد اليمين اقسم بجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا
الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين
ايمانهم طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي امركم والذي يطلب منكم
طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق
باطن امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم
طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان
الكاذبة وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا طاعة ان الله خبير
يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم
على نفاقكم صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ
في تبكيتهم يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه
الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما انتم
فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم

لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى
فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ماله
نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية
ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه
ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر
ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد
اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن
سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال
رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا
حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم
على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة و
ملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم
وفسقوا وذلك قوله عليه السلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير
ملكا ثم تصير بزيزي قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها وقرئ كما استخلف
على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم المتلقى باللام والنون
في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او
نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقي بما يتلقى به القسم كانه قيل اقسم الله ليستخلفنهم
فان قلت ما محل يعبدونني قلت ان جعلته استئنافا لم يكن له محل كأن قائلا
قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم
الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت
بانعم

السرب بفتح السين ... والسرب الطريق

اي بعد الاظهار على جزيرة العرب

بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة
العظيمة وجسروا على غمطها فان قلت هل في هذه الآية دليل على امر الخلفاء الراشدين
قلت اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا
الصلاة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه
فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا
لوجوبها وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى
لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي
جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم
الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان
الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر الاثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله
ومأواهم النار على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله
ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم امر بان يستأذن العبيد وقيل العبيد
والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلاث مرات في اليوم والليلة قبل صلاة الفجر
لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة
لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف
بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها
والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين
ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم
يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام
فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت لادى الى الحرج روي ان مدلج بن عمرو وكان
غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر رضي الله عنه ليدعوه

قد دخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية وهي احدى الايات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو رحمه الله الحلم بالسكون ثلث عورات لكم وعن الاعمش عورات على لغة هذيل فان قلت ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان وفي غير تلك الاحوال خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى ان الاطفال ماذونون في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا من حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس رضي الله عنه اية لا يؤمن بها اكثر الناس اية الاذن واني لامر جاريتي ان تستاذن علي وساله عطاء استاذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الاية وعنه ثلث ايات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود رضي الله عنه عليكم ان تستاذنوا على ابائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي

صح بالنصب بدلا عن ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات

صح واذا نصبته لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان

كما

كان ابن عباس ينام بين جاريتين اي امراتين

ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة رحمه الله ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله ما زال مذ عقدت يداه ازاره فسما فادرك خمسة الاشبار واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سئل عن غلام فقال هل اخضر ازاره والقواعد اللاتي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي ارادها في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تتكشف المراة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر تبرج وتبلج كذلك كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة رضي الله عنه كانت الانصار في انفسها قزازة وكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم لما عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين الاكيل اليه

التوقي حذر كردن

اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح وياذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون وحكي عن الحارث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع راه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان اكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في ان كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر فان قلت هلا ذكر الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى فان قلت ما معنى او ما ملكتم مفاتحه قلت اموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه فان قلت ما معنى او صديقكم قلت معناه او بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو يحكى عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان

يبض اي يسيل ... وكذا يذن ق

مفتح ومفاتح جمع ومفتاح ومفاتيح جمع

الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسال جاريته كيسه فياخذ منه ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس رضي الله عنه الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو بن كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدءوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله تعالى زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية

صح الله

اي ابدءوا

بشكلها الا انها في معنى تسليما كانه قيل فعل تسليما اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية في
ذهاب الذاهب من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع
فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له
والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول احاطت
صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله
ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل
الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله
لم يذهبوا حتى يستاذنوه حتى يستاذنوه ويأذن لهم الا تراه كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم
بمشيئته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف
الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم او تضام
لارهاب مخالف وتماسح في حلف وغير ذلك او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه وقرئ امر
جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بارائهم ومعارفهم
وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه
رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة
اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم وذكر الاستغفار للمستاذنين
دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدث نفسه بالذهاب ولا يستاذن فيه وقيل
نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس
مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل
ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء
لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم

عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم
على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي او لا تجعلوا تسميته
ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه ابواه ولا تقولوا
يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع
ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم
يساله حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله مسموعة مستجابة
يتسللون ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة
وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة
واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل
اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه
الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم
عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون
عن امره دون المومنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف
والمخالف عنه الضمير في امره لله سبحانه او للرسول عليه والمعنى عن طاعته ودينه
فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه فتنة
قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر ادخل
قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد
وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى
معنى التكثير في نحو قوله فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ونحوه
قول زهير اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله والمعنى ان
جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين

وان كانوا يجتهدون في سترها من العيون واخفائها وسينبئهم يوم القيامة بما ابطنوا
من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم
يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم
عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم البركة كثرة الخير وزيادته
ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء
وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به
القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه
وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه
تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ومشركي كافر بالفرق وعن ابن الزبير
على عباده وهم رسول الله وامته كما قال لقد انزلنا اليكم قولوا آمنا بالله وما انزل
الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير
للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار
ومنه قوله فكيف كان نكيري ونذر الذي له رفع على الابدال من الذي نزل او رفع
على المدح او نصب عليه فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت
ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به
فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا
كانه قال وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير
والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر

المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك
وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير
فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه او سمي احداث الله خلقا لانه
لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة
قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد كل شيء فقدره
في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى
امد معلوم الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله انما تعبدون من دون الله اوثانا
وتخلقون افكا والمعنى انهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم
لا يقدرون على شيء من افعال الله ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون
لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها
او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع
التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحيوة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله اعجز
قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي
وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاء واتى يستعملان في معنى فعل
فيعديان تعديته وقد يكون على معنى ورد واتى كما تقول جئت المكان ويجوز ان
يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما
عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء
منه اليه اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار
او اسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه واخذها كما تقول استكب الماء واصطبه
اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له
لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير

فصار اكتتبها اياه كاتب كقولك واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه
فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار
اكتتبها كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال املت عليه فهو
يكتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها او طلبه فهي تملى عليه
او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ
كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن رضي الله عنه انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما
يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله
افترى ان اراد الكلام وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة واصيلا اي دائما
او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم اي يعلم كل سر خفي في السموات
والارض ومن جملته ما تسرون انتم من الكيد لرسوله صلى الله عليه وسلم مع علمكم
ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما
تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه فان قلت كيف طابق
قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد
عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة او
هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك
عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعجل وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة
عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير
لشانه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا اي شيء لهذا الزاعم انه رسول الله
ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله
فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد
يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم

ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا
ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به
ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان يأكل ويرتزق كما
الدهاقين والمياسير او يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم واراد
بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا
وقرئ فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون فان قلت ما وجه الرفع
والنصب في فيكون قلت النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام
والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع الا ترى انك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف
عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا
مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد
ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك ضربوا لك
الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة
مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون
قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه تكاثر خير الذي ان شاء وهب
لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور
وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم
والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز في يجعلك
اذا ادغمت ان تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط
بالواو بل كذبوا عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم
بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب
وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة السعير النار الشديدة الاستعار

ومن الحسن رضي الله عنه انه اسم من اسماء جهنم رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومنه
قوله عليه السلام المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز
والمعنى اذا كانت منهم بمرأى للناظر في البعد سمعوا اصوات غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ
والزافر ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار
وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان
عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا
وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق
يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح
وهم مع ذلك الضيق مقرنون في الاصفاد مسلسلون في السلاسل قرنت ايديهم الى
اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد الثبور
الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اي
يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم
وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع
منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم
الراجع الى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤونه وانما قيل كانت لان ما وعده
الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان او كان مكتوبا في اللوح قبل ان برأهم بازمنة
متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم فان قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا
قلت هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال
بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان
وسعته وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العذاب يتضاعف بغثاثة الموضع
وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير

في كان لما يشاؤون والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا
ان يسأل ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا
وآتنا ما وعدتنا على رسلك آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وادخلهم جنات عدن التي
وعدتهم نحشرهم فنقول كلاهما بالنون والياء وقرئ نحشرهم بكسر الشين وما يعبدون
يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز ان
يكون عاما لهم جميعا فان قلت كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت
هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك
انسان قلت حينئذ من هو ولذلك قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم الا تراك
تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب فان قلت
ما فائدة انتم وهم وهلا قيل أأضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل قلت ليس السؤال
عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من
ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسؤول عنه فان قلت فالله سبحانه
قد سبق علمه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال قلت فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به
حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم
من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك وليكون
حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده
على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أانتم اضللتموهم ام ضلوا بانفسهم فيتبرؤون من
اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء
وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر
وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو
عمل الشيطان اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد

لوحوه حيث أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب
به للبوار إلى الكفرة فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده الله إلى ذاته في قوله
يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم
والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وضل مطاوع أضله
وكان القياس ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل
إلى الطريق وللطريق وقولهم أضل البعير في معنى جعله ضالا أي ضائعا لما كان أكثر ذلك
بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل أضله سواء كان منه فعل أو لم يكن سبحانك
تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الإضلال الذي
هو مختص بإبليس وحزبه أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المقدسون الموسومون
بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له ملك أو
نبي أو غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحدا دونك
فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك أو ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين
في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله فقاتلوا أولياء الشيطان
يريد الكفرة وقال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت وقرأ أبو جعفر المدني
نُتَّخَذ على البناء للمفعول وهذا الفعل أعني اتخذ يتعدى إلى مفعول واحد كقولك اتخذ
وليا وإلى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض
وقال واتخذ الله إبراهيم خليلا فالقراءة الأولى من المتعدي إلى واحد وهو من أولياء
والأصل أن نتخذ أولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفي والثانية من المتعدي إلى مفعولين
فالأول ما بني له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء وتنكير
أولياء من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام الذكر ذكر الله والإيمان
به أو القرآن والشرائع والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز أن يكون جمع بائر

كعائذ

كعائذ وعوذ هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم
إليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وجل يا أهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير وقول القائل
قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا وقرئ يقولون بالتاء والياء
فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء
فإن قلت هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء قلت إي والله هي مع التاء
كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون
وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ تستطيعون بالتاء والياء أيضا يعني فما تستطيعون أنتم
يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم إنه ليتصرف
أي يحتال أو فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب وأن يحتالوا لكم الخطاب
على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله
إن الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون وقرئ يذقه
بالياء وفيه ضمير الله أو ضمير مصدر يظلم الجملة بعد إلا صفة لموصوف محذوف والمعنى
وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين إلا آكلين وماشين وإنما حذف اكتفاء بالجار
والمجرور أعني من المرسلين ونحوه قوله وما منا إلا له مقام معلوم على معنى وما
منا أحد وقرئ ويُمشَون على البناء للمفعول أي تمشيهم حوائجهم أو الناس ولو قرئ
يُمَشَّون لكان وجها لولا الرواية وهو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول
يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فتنة أي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله على
ما قالوه واستبدعوه من أكل الطعام ومشيه في الأسواق بعدما احتج عليهم
بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم أيها الناس
ببعض والمعنى أنه ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وأقاويلهم الخارجة

من حد الإنصاف وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور
وموقع أتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا
بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك أقاويلهم فإن
في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر
حين قالوا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة وأنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء لينظر
هل يصبرون وأنها حكمة ومشيئة يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لأنك
لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم إليك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا
فإنما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل
كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون إن أسلمنا
وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا إدلالا بالسابقة
فهو افتتان بعضهم ببعض أي لا يأملون لقاءنا بالخير لأنهم كفرة أو لا يخافون
لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله لا ترجون لله وقارا
جعلت الصيرورة إلى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات
أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمدا صادق حتى يصدقوه أو يروا الله
جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو إما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل
الملائكة إلى غير الأنبياء وأن الله لا يصح أن يرى وإنما علقوا إيمانهم بما لا يكون وإما
أن لا يكونوا عالمين بذلك وإنما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي
نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى عليه حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة فإن قلت ما معنى في أنفسهم قلت معناه أنهم أضمروا
الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال إن في صدورهم

إلا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف
العتو بالكبير فبالغ في إفراطه يعني أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا لأنهم
بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن
استئنافها غاية وفي أسلوبها قول القائل وجارة جساس أبأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب
بواؤها وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد
استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون منصوب
بأحد شيئين إما بما دل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها
ويوجد للمجرمين وإما بإضمار اذكر أي اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ
للمجرمين وقوله للمجرمين إما ظاهر في موضع ضمير وإما لأنه عام فقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا
ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو معاذ الله
وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة
أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا
وكذا فيقول حجرا وهي من حجره إذا منعه لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه
فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل أو فعل في قراءة الحسن
رضي الله عنه تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وأنشدت لبعض الرجاز
قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر فإن قلت فإذ قد ثبت
أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا قلت جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر
كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الحكاية أنهم يطلبون نزول الملائكة
ويقترحونه وهم إذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم
لا يلقونهم إلا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور
والشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة

او البشرى اى جعل الله ذلك حجرا محجورا عليكم ليس هاهنا قدوم ولا اما نسبة القدوم ولكن
مثلت حال هولاء واعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن
على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه
فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا
ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفى امثالهم اقل
من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء فى قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور
منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته قد تناثر وذهب كل مذهب
ونحوه قوله كعصف ماكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله ممنوعا بالاكال ولا ان شبه
عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اى فجعلناه جامعا لحقارة الهباء
والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اى جامعين للمسخ والخسوء وواحد الهباء هباءة
المستقر المكان الذى يكونون فيه فى اكثر اوقاتهم يتجالسون ويتحادثون
والمقيل المكان الذى ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع
بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين فى الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروى
انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى
النار وفى معناه قوله عز وجل ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وازواجهم
فى ظلال على الارائك متكئون قيل فى تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم فى
الجنة وانما سمى مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفى
لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك
من التحاسين والزين وقرى تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره ادغمها ولما
كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذى تشقق به السماء
كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به فان قلت

اى فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات قلت معنى انشقت به
ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى
ان السماء تتفتح بغمام يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون وفى ايديهم صحائف اعمال العباد
وروى تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة
ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم وفى معناه قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل
من الغمام والملائكة وقرى ونزل الملائكة وننزل الملائكة ونزلت الملائكة
وانزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو فاء الفعل
من تنزل قراءة اهل مكة الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى
الا ملكه عض اليدين والانامل والسقوط فى اليد واكل البنان وحرق الاسنان
والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فيذكر الرادفة
ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده
فى نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت فى
عقبة بن ابى معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله وقيل
اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين
ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات يا عقبة قال لا ولكن ابى
ان لا ياكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست فى نفسى
فقال وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فلم تطا قفاه وتبزق فى وجهه
وتلطم عينه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضى الله عنه
بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصارى وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار
وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا باحد فرجع الى مكة فمات واللام فى الظالم يجوز ان يكون

للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس فيتناول عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول
وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى واراد انى كنت
ضالا لم يكن لى سبيل قط وليتنى حصلت لنفسى فى صحبة الرسول سبيلا وقرى يا ويلتى بالياء وهو
الاصل لان الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما
فى صحارى ومدارى فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد
بالظالم عقبة فالمعنى ليتنى لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من
المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله او القرآن
او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة
الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه فى العاقبة او اراد
ابليس وانه هو الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل من
تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله
اتخذوه يقرا على الادغام والاظهار والادغام اكثر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه وفى هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه
لان الانبياء عليهم السلام كانوا اذا التجاوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب
ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا ومواسيا وواعدا النصرة عليهم فقال وكذلك كان كل نبى قبلك
مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم
مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبى صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلقه
وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين
عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اى جعلوه مهجورا
فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير الاولين
والثانى انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز

ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز
ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لى وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة نزل
هاهنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم
واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة واحدة
فى وقت واحد كما انزلت الكتب الثلاثة وما له انزل على التفاريق والقائلون قريش
وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج
به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله كذلك جواب لهم اى كذلك انزل مفرقا
والحكمة فيه ان نقوى بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه
على حفظ العلم شيئا بعد شىء وجزءا عقيب جزء ولو القى عليه جملة واحدة لبعل به
وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى
عليهم السلام حيث كان اميا لا يقرا ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له
بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما فى عشرين سنة وقيل فى ثلاث وعشرين سنة
وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه
ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت ذلك فى كذلك يجب ان يكون
اشارة الى شىء تقدمه والذى تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا
قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد
هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان ياتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة
من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة
وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه
حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كانه قال كذلك
فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى

وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا اي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث
عائشة رضي الله عنها في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه
لعدّها واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان
في تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة
ولم نفرقه في مدة متقاربة ولا يأتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان
الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما
كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام
كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او ولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه
صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل
عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه
وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا
ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله
جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كانه قيل لهم ان حاملكم
على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف
وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من
سبيله وفي طريقته قوله هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله الآية ويجوز ان يراد
بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث
على اقدامهم ينسلون نسلا الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء
ويؤمرون بان يؤازر بعضهم بعضا والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب

بخط المصنف من المجاز الحكمي

بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها
لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون
الثقيلة كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم
تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا
اغراقهم او قصتهم للظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد
تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه عطفوا داخلين في جملتهم او على الظالمين لان
المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمودا على تأويل القبيلة واما المنصرف فعلى تأويل الحي
او لانه اسم الاب الاكبر قيل في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام
اصحاب آبار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا عليه السلام فدعاهم الى الاسلام فتمادوا
في طغيانهم وفي ايذائه فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن ابي عبيدة انهار بهم
فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود
قوم صالح وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء
وهي اعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي
تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة
ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود
وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اي
دسوه فيها بين ذلك اي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير
اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك
المحسوب او المعدود وضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين
ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره

الفلج بفتح اللام وسكونها موضعان

والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا
الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ
له اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة
ومطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية
التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله
ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع
التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم
او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون
على اللغة التهامية ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذوا
هزوا في معنى استهزءوا به والاصل اتخذوه موضع هزؤ او مهزوءا به اهذا محكي بعد القول
المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم
على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزءوا لقالوا اهذا الذي
زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم
مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام
لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى
لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم
لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله
من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله
من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان

سدوم بالدال المهملة ذكره الازهري ويقال ايضا بالدال المعجمة

فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع
ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت
ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمصيطر ويروى ان الرجل منهم
كان يعبد الحجر فاذا رأى احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحارث بن قيس السهمي ام هذه
منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها
اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا
ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة منها فان قلت
لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا تقديم المفعول الثاني
على الاول للعناية به كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق فان قلت
ما معنى ذكر الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب
الرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت كيف جعلوا اضل من الانعام قلت
لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب
ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا
يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي
هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي
هو المشرع الهني والعذب الروي الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته
ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا
باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمي انبساط الظل وامتداده
تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس
وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا
فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس

يسيرا أي على سهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض
دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فإن قلت ثم في هذين
الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاثة كأن الثاني
أعظم من الأول والثالث أعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها في الفضل بتباعد ما بين الحوادث
في الوقت ووجه آخر وهو أنه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض
تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض فينانا ما في أديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله
ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أي سلطها عليه ونصبها
دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه
بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه
وهي الأجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاءه
بإنشاء أسبابه وقوله قبضناه إلينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر
علينا يسير شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت
الميت لأنه مقطوع الحيوة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل فإن قلت
هلا فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته يأباه إباء العيوف الورد وهو
مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن الاحتجاب
بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما
بالموت والحيوة أي عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان رضي الله عنه أنه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ
كذلك تموت فتنشر قرئ الريح والرياح نشرا إحياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية
ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة
أي قدام المطر طهورا بليغا في طهارته وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه
مطهرا لغيره فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل

عليكم من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين
في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر
به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا
كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه السلام لا صلوة إلا بطهور أي بطهارة
فإن قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة
سواء كانت النجاسة حقيقية أو حكمية أو غلبتهما على الظن تغير أحد أوصافه الثلاثة
أو لم يتغير أو استعماله في البدن لأداء عبادة عند أبي حنيفة رحمه الله وعند مالك بن أنس
رضي الله عنه ما لم يتغير أحد أوصافه فهو طهور فإن قلت فما تقول في قوله عليه السلام
حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه
قلت قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء إلى البساتين وإنما قال ميتا
لأن البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه إلى بلد ميت وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعال
ومفعيل وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا الأناسي
جمع إنسي أو إنسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والأصل أناسين وظرابين
وقرئ بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كقولك أناعم في أناعيم فإن قلت إنزال الماء
موصوفا بالطهارة وتعليله بالإحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول
حملني الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل
له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم
الطهارة وأراد كرامتهم أن يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وأن يربأوا بأنفسهم عن
مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم فإن قلت لم خص الأنعام من بين
ما خلق من الحيوان الشارب قلت لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها
الشرب بخلاف الأنعام ولأنها قنية الأناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الإنعام عليهم

بسقي أنعامهم كالإنعام بسقيهم فإن قلت فما معنى تنكير الأنعام والأناسي ووصفها
بالكثرة قلت معنى ذلك أن علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار
ومنابع الماء فبهم غنية عن سقي الماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم إلا ما ينزل الله
من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين
من مظان الماء فإن قلت فلم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي
قلت لأن حيوة الأناسي بحيوة أرضهم وحيوة أنعامهم فقدم ما هو سبب حيوتهم
وتعيشهم على سقيهم ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقيا
ربهم ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف
التي أنزلت على الرسل وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا
حق النعمة فيه ويشكروا فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث
لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات
المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا إلا الكفور
وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنه
ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروي
أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد
وينتزع من هاهنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي وذلك البعض كثير فإن قلت
هل يكفر من ينسب الأمطار إلى الأنواء قلت إن كان لا يراها إلا من الأنواء
ويجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله فهو كافر وإن كان يرى أن الله تعالى خالقها
وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها لم يكفر بقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها
وإنما قصرنا الأمر عليك وعظمناك به وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك

بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وإنما أراد بهذا تهييجه وتهييج
المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدل عليه ولا تطع والمراد أن الكفار
يجدون ويجتهدون في توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك
بما تغلبهم به وتعلوهم وجاهدهم جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز أن يرجع الضمير
في به إلى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث
في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير
كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة سمى الماءين الكثيرين الواسعين
بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة والأجاج نقيضه ومرجهما
خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم
اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران أحدهما مع الآخر ممزوج وماء العذب منهما بالأجاج
ممزوج برزخا حائلا من قدرته كقوله جل وعلا بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية
وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا
يريد باردا فإن قلت وحجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها
المتعوذ وقد فسرناها وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ
من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة
فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ هاهنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو
يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة أراد فقسم البشر قسمين
ذوي نسب أي ذكورا ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر
أي إناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى وجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وكان ربك قديرا
حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون

ويفعل بمعنى متفاعل بل غرضه ... والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك
روي انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير
كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور
دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه
هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه ومنه نحو قوله اولئك
لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم مثال الا من شاء والمراد الا فعل
من شاء واستثناؤه من الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك
ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب
ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احدهما قلع شبهة الطمع في الثواب
من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة
البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم
الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب
بالصدقة والنفقة في سبيل الله امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم
مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده
وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء
الذين يموتون وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه
ان ليس اليه من امر عباده شيء آمنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم في ستة ايام
اي في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الآخرة
وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد رضي الله عنه اولها يوم الاحد
وآخرها الجمعة ووجهه ان يسمي الله تعالى للملائكة تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما

ورتب

خلق الشمس وادارها ورتب امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما
الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا
الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة
الذين هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا
والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك
والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو من الايمان
وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين
كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله
بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو
قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة
تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي
خلق مبتدأ والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف او بدل
من المستتر في استوى وقرئ بالجر صفة للحي وقرئ فاسأل والباء في به صلة سل
كقوله سأل سائل بعذاب واقع للكافرين كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه
وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا
يخبرك او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته
والمعنى ان سألته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن
اسم من اسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم
من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة

حتى ح

الرحمن ح

يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم
ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه
لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم ولانهم انكروا اطلاقه
على الله لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بمعنى تأمرنا سجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا
وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف
ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول البروج منازل الكواكب السبعة
السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي
القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من
التبرج لظهوره والسراج الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس و
الكواكب الكبار معها وقرأ الحسن والاعمش رضي الله عنهما وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء
كانه قال وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء
حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل
يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب الخلفة
من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد
منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا
ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار
ويقال لفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر
وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال
الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة
فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه

ولتبتغوا

اي زادهم المقول وهو اسجدوا

بردى اسم نهر بدمشق الالف فيه فعلى ابدا لا يكون الا للتأنيث

ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وقرئ المتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده قام به في الآخر
وعن الحسن رضي الله عنه من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته
بالليل كان له بالنهار مستعتب وعباد الرحمن الذين مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة
ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن
وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة
مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل
اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع
لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في
الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير
بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول
يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من
قوله الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابي العالية رضي الله عنه
نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن
في الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض والورع البيتوتة خلاف الظلول
وهو ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلوة وان قل فقد بات ساجدا
وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم
باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما غراما هلاكا وخسرانا
ملحا لازما قال ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما وقال
ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه الغريم لالحاحه ولزامه
وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع
اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما آتوا

لينون صح

اي تطلب منكم السلامة

اي سوء الورع

شيئا صح

النسار والجفار موضعان من وقائع العرب وقايع العرب تضاف الى الامكنة

وقولهم وجلة ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص
بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان
وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز
والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم
قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار
والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم
بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما
في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن
عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم
وفعلت وصنعت وجاء بكلام جيد فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت
عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين
السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعده وقيل
اولئك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابا
للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون
ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل
شيئا الا اشتراه فأكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما
ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء
يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك قواما
جائز ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا
وقواما حالا مؤكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته

أي الوسط العدل بين الاسراف والتقتير

يعني سيبويه الظرف اذا وقع خبرا مستقرا على معنى انه موضع لمعنى مستقر وسمي الظرف لغوا اذا لم يكن خبرا

الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن
المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة
فائدة حرم الله اي حرمها والمعنى حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او
بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض
بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم
عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله
اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل
معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه وقرئ يلق اثاما وقرئ
يلقى باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما
قال جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء الاثام
وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب يضاعف
بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا
تأججا وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف
او على الحال وكذلك ويخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد
والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات يبدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم فان قلت
ما معنى مضاعفة العذاب وابدال الحسنات السيئات قلت اذا ارتكب المشرك
معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه
وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى
وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى عفة واحصانا ومن
يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا
عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب او فانه تائب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين

ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد
من المضل الواجد ومن الظمآن الوارد ومن العقيم الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه
مرجعا حسنا واي مرجع يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها
ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهد الباطل
شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم
لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلطه على
فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى بن مريم صلوات الله عليه
اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وعن قتادة رضي الله عنه مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء
وعن مجاهد رضي الله عنه اعياد المشركين اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا
باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم
كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن رضي الله عنه لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار
الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه لم يخروا
عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما
هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا
على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية
لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد
على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم
قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة اعين وقرات اعين سألوا ربهم ان يرزقهم ازواجا
واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب رضي الله عنه ليس شيء اقر

القرة العين البرودة ... اقر الله عينه اي ابرد دمعته ...

لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد اذا رآه
يكتب الفقه وقيل سألوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذريتهم في الجنة ليتم سرورهم اراد
ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل
كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصائم وصيام او اراد واجعلنا اماما واحدا
لاتحادنا واتفاق كلمتنا وكوننا الى الجنة كامام واحد وعن بعضهم في الآية
ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة
المبشرين بالجنة فان قلت من في قوله من ازواجنا ما هي قلت يحتمل
ان تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا
ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رأيت منك اسدا اي انت اسد وان تكون ابتدائية
على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان قلت لم قال قرة اعين
فنكر وقلل قلت اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره
الا بتنكير المضاف اليه كأنه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد
اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور
ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين المراد يجزون الغرفات
وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله
وهم في الغرفات آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات
وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل
الشياع في كل مصبور عليه وقرئ يلقون كقوله ولقاهم نضرة ويلقون كقوله يلق اثاما
التحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون
عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة
اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا من اهل رحمتك وارزقنا مما يرزقهم في دار رضوانك

لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة أتبع ذلك ببيان أنه إنما اكترث لأولئك وعبأ بهم وأعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لأجل عبادتهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصرح للناس ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم إنما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به وإن كانوا العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كأنه قيل وأي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني أنكم لا تستأهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبئا علي كما تقول ما اكترثت له أي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي أي وزن يكون لكم عنده ويجوز أن تكون ما نافية فقد كذبتم يقول إذا أعلمتكم أن حكمي أني لا أعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه إن من عادتي أن أحسن إلى من يطيعني ويتبع أمري فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة فإن قلت إلى من يتوجه هذا الخطاب قلت إلى الناس على الإطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رضي الله عنه هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم أنه مما توعد به لأجل الإبهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله تعالى يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير حساب

سورة الشعراء مكية إلا قوله والشعراء إلى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية وقيل ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها تلك آيات الكتاب المبين الظاهر إعجازه وصحته أنه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى أن هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك البخع أن يبلغ بالذبح النخاع بالنون وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح لعل للإشفاق يعني أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك ألا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا أو لامتناع إيمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا وعن قتادة رضي الله عنه باخع نفسك على الإضافة إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية ملجئة إلى الإيمان قاسرة عليه فظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لأنه لو قيل أنزلنا لكان صحيحا ونظيره فأصدق وأكن كأنه قيل أصدق وقد قرئ ولو شئنا لأنزلنا وقرئ فتظل أعناقهم فإن قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الأعناق قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقولهم ذهبت أهل اليمامة كأن الأهل غير مذكور أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله رأيتهم لي ساجدين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالأعناق كما قيل لهم الرؤوس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة أي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا إلا جددوا إعراضا عنه وكفرا به فإن قلت كيف خولف بين الألفاظ والغرض واحد وهو ذكر إعراضهم والتكذيب والاستهزاء قلت إنما خولف بينها لاختلاف الأغراض كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء

والسخرية لأن من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسيأتيهم وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ما الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكريم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم إذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه أي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع إن في إنبات تلك الأصناف لآية على أن منبتها قادر على إحياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو إيمانهم وإن ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا فإن قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم أنبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل كل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فإن قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني أن يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على أنه ما أنبت شيئا إلا وفيه فائدة لأن الحكيم لا يفعل فعلا إلا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفتها العاقلون فإن قلت فحين ذكر الأزواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة وكانت بحيث لا يحصيها إلا عالم الغيب كيف قال إن في ذلك لآية وهلا قيل لآيات قلت فيه وجهان أن يكون ذلك مشارا به إلى مصدر أنبتنا فكأنه قال إن في الإنبات لآية أي آية وأن يراد أن في كل واحد من تلك الأزواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان

كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد إن شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وإن شاء عبر عنهم بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم ألا يتقون كلام مستأنف أتبعه عز وجل إرساله إليهم للإنذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله ويحتمل أن يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال وأما من قرأ ألا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه والجاني حاضر فإذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنفه ويقول له ألم تتق الله ألم تستحي من الناس فإن قلت ما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت إليهم غائبون لا يشعرون قلت إجراء ذلك في تكليم موسى المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا ويضيق ولا ينطلق بالرفع لأنهما معطوفان على خبر إن وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة فإن قلت في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف

انما هي تمنع النطق لا لسان لانه شيء يقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت
قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به
على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت
اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى انى خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت
يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز
ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة
وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل
واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا
وآزرني به واشدد به عضدي وهذا الكلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع
وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله
في تقصير الطويلة والحسن قوله فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم
تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها واخرها وهما الانذار والتدمير ودل
بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بآيات الله فاراد الله الزام
الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى
صلوات الله عليه ان يامره الله تعالى بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل
وقد علم ان الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده
باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه
ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال
الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ارادوا الذنب قتله
القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك
القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة

واحلل عقدة من لساني
اي القصة الطويلة م
اي عالم بما وراءه

سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه
فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل
قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة
والدفع جمع الله له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع
بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون
فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا
كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله معكم مستمعون من مجاز
الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع
ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين
لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم
في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف
بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من
الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا
ويقال استمع الى حديثه اي اصغى اليه واذكر بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلام من
استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه البرم فان قلت
هلا ثني الرسول كما ثني في قوله انا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل و
بمعنى الرسالة فجعله ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله ها هنا بمعنى الرسالة فجازت
التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم
وزور قال الكني اليها وخير الرسو ل اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد في
الرسول بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول
ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك

اذهبا اي
البرم الكحل المذاب وقيل الآنك

وللاخوة كان حكمهما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا رسول
بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال
من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق
كقولك ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى انهما انطلقا
الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين
فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك حذف
فاتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل
الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم
سنين قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم
على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي رضي الله عنه فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لانه
قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه
نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك
وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته
وانت لذلك من الكافرين بنعمتي او انت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه
او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وجل عاصم من يريد ان يستنبئه
من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين
حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قبل خواص
النعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والهيته او من الذين كانوا يكفرون
في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله ويذرك والهتك وقرئ والاهتك
فاجابه موسى بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اي من الجاهلين وقراءة ابن مسعود
رضي الله عنه مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم

من الجاهلين

ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل
او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وكذب
فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين
ربا بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستأصله
من سنخه وابى ان تسمى نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم
وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت
وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا
قال علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما شاءوا وعبدان فان قلت
اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت
قول فرعون وفعلت فعلتك التي فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك
تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء فان قلت
لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت قلت الخوف
والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون
بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك اشارة الى
ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى
ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر
ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون
ان في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي
ولم يلقوني في اليم قال لهم بواب ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما
رب العالمين يريد اي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان يريد به اي شيء هو من الاشياء
التي شوهدت وعرفت واجناسها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء

اي كان فرعون امتن على موسى
اباعر جمع ابعرة جمع بعير وعبدان جمع العبد

ما شوهد وعرف من الأجرام والأعراض وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء ليس كمثله شيء وأما أن يريد
به أي شيء هو على الإطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فجاءه بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي
في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقته
الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل إليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق
بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكارا لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه
الإلهية فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية إلى غيره فلما ثنى بتقرير
قوله جننه إلى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم و
قال لئن اتخذت إلها غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير فإن قلت كيف قيل
وما بينهما على التثنية والمرجوع إليه مجموع قلت أريد وما بين الجنسين فعل المضمر ما فعل
الظاهر من قال في الهيجا جمالين فإن قلت ما معنى قوله إن كنتم موقنين وأين من فرعون
وملائه الإيقان قلت معناه إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح
نفعكم هذا الجواب وإلا لم ينفع أو إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره
وإنارة دليله فإن قلت ومن كان حوله قلت أشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل
عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة فإن قلت ذكر السموات والأرض وما بينهما قد
استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب
قلت قد عمم أولا ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من
العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة
إلى هيئة وحال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لأن
طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة
وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج
بالإحياء والإماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق والمغارب

الذي أرسل إليكم بفتح الهمزة فإن قلت كيف قال أولا إن كنتم موقنين وآخرا إن كنتم
تعقلون قلت لاين أولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى
عرض الحجج خاشن وعارض إن رسولكم لمجنون بقوله إن كنتم تعقلون فإن قلت
ألم يكن لأسجننك أخصر من لأجعلنك من المسجونين ومؤد مؤداه قلت أما أخصر
فنعم وأما مؤد مؤداه فلا لأن معناه لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان
من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر
فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد الواو في قوله أو لو جئتك واو الحال
دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين أي جائيا بالمعجزة
وفي قوله إن كنت من الصادقين أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه لأن المعجزة تصديق
من الله تعالى لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه
هذا وخفي على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين
بالمعجزات وتقديره إن كنت من الصادقين في دعواك أتيت به فحذف الجزاء لأن الأمر بالإتيان
به يدل عليه ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزورة
بالشعوذة والسحر وروي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة
إلى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها
فأخذها فعادت عصا واخراج اليد للناظرين دليل على أن بياضها كان شيئا يجتمع النظارة
على النظر إليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نوريا روي أن فرعون لما أبصر الآية
الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فأدخلها في إبطه
ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق فإن قلت ما العامل
في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل والعامل في
النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحير

فرعون لما أبصر الآيتين وبقي لا يدري أي طرفيه أطول حتى زل عنه ذكر دعوى الإلهية
وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت
به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم
بما حذره وتوقعه وأحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وأرضه وقوله إن هذا
لساحر عليم قول باهت إذا غلب ومتمحل إذا ألزم تأمرون من المؤامرة وهي المشاورة
أو من الأمر الذي هو ضد النهي جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه
من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب إما لكونه في معنى المصدر وإما لأنه مفعول به
من قوله أمرتك الخير أرجه وأرجئه بالهمزة والتخفيف وهما لغتان يقال
أرجأته وأرجيته إذا أخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق
ويقولون هم مرجون لأمر الله والمعنى أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل
احبسه حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله إن هذا لساحر بقولهم بكل سحار
عليم فجاؤوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه
وقرأ الأعمش بكل ساحر اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه
الوقت الذي وقته لهم موسى من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس
ضحى والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الإحرام
هل أنتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل
لغلامه هل أنت منطلق إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن
الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا هل أنت باعث دينار لحاجتنا
أو عبد رب أخا عون بن مخراق يريد ابعثه إلينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع
السحرة أي في دينهم إن غلبوا موسى عليه السلام ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع
السحرة وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية

لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى عليه السلام وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان
قوله إن لنا لأجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وإنكم إذا لمن المقربين
معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت إذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب
والجزاء وعدهم أن يجمع لهم إلى الثواب على سحرهم الذي قدروا أنهم يغلبون به موسى عليه السلام
القربة عنده والزلفى أقسموا بعزة فرعون وهي من أيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله
ولا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله معلقا ببعض أسمائه أو صفاته كقولك بالله والرحمن
وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلعم
لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله
إلا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في إسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية
الأولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد
بها حتى يقسم برأس سلطانه فإذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف
ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في
حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين أو إفكهم سمى تلك الأشياء إفكا
مبالغة روي أنهم قالوا إن يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وإن يك من عند الله فلن يخفى
علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة رضي الله عنه
أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء وإنما عبر عن الخرور بلفظ الإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاءات
فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا
أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا فإن قلت
فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو
إيمانهم أو ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلا لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا
رب موسى وهارون عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون كان يدعي الربوبية فأرادوا أن يعزلوه

ومعنى اضافة الطمع في ذلك المقام انه الذي يرحا لبه هذا وان الذي اجرى على ابديهما امر
فلسوف تعلمون اى وبال لما فعلتم الضر والضير والضور واحد اى لا ضير علينا في ذلك
بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم
مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى
ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا
انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان
وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة
مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط
الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره قول العامل
لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في
سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها
وسر انكم متبعون علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى اني بنيت
تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق
البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا
بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات
في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سآمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه
دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى
تنتهي الى البحر فياتيك امري فارسل فرعون في اثره الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع
كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان
وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنه خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث
فلذلك استقل قوم موسى عليه السلام وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين

والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع
قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا و
اختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة
والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون
افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم
في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها
الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون
بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما
يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال احب الصبي السوء من اجل امه
وابغضه من بغضها وهو حادر اراد انهم اقوياء اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم
ذلك حدارة في اجسامهم وعن مجاهد رضي الله عنه سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله
والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك رضي الله عنه المنابر وقيل
السرر في الحجال كذلك يحتمل ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي
وصفنا والجر على انه وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر
لمبتدا محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت
الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت سيهدين طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرئ
انا لمدّركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادّرك الشيء اذا تتابع ففني
ومنه قوله تعالى بل ادّارك علمهم في الآخرة قال الحسن رضي الله عنه جهلوا علم الآخرة وفي معناه
بيت الحماسة ابعد بني امي الذين تتابعوا ارجي حياة ام من الموت اجزع والمعنى انا لمتتابعون
في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد
والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الآخرين قوم فرعون

اي قربناهم من بني اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم
الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله تزل قدم بعد ثبوتها
ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر
على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء بن السائب ان جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل
وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول
رويدكم ليلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى
اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى
ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط
طريق وروي ان يوشع صلوات الله عليه قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر
امامنا قال موسى هاهنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروي
ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء
ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك لآية
اية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها اكثرهم
ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سالوه
بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم
من اعدائه الرحيم باوليائه كان ابراهيم صلوات الله عليه يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سالهم
ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم
ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون سؤال عن
المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو
ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء قد جاءوا بقصة امرهم
كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم

من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا
على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي
فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل
لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يسمعونكم اي هل
يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية الحال
الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا
قط وهذا ابلغ في التبكيت لما اجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى
اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا
على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة
اعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا
ولان المغري على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا
للمسالة في نفسه على معنى اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها
وآثرت عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه وهي عليهما بذي بدء
لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد
لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن
بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه
التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي
رضي الله عنه ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل
ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة
والجماعة قال وقوم علي ذوي مئرة اراهم عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله تعالى
وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين

استثناء منقطع كأنه قال لكن رب العالمين فهو يهدين يريد أنه حين أتم خلقه ونفخ فيه
الروح عقبه بهدايته المتصلة التي لا تنقطع إلى كل ما يصلحه ويعنيه وإلا فمن هداه إلى أن
يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه إلى معرفة الثدي عند الولادة وإلى معرفة مكانه
ومن هداه لكيفية الارتضاع إلى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وإنما قال مرضت
دون أمرضني لأن كثيرا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه
وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لأكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم وقرئ
خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لأن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون مختارون
على العالمين وقيل هي قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي وما هي إلا معاريض
كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فإن قلت فإذا لم يندر
منهم إلا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن تغفر له
قلت الجواب ما سبق لي أن استغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم ويدل
عليه قوله أطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لأممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي
والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فإن قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين
وإنما تغفر في الدنيا قلت لأن أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم الحكم
الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لأن النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله
والإلحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم أو يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد أجابه
حيث قال وإنه في الآخرة لمن الصالحين والإخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية
وهي الحياء وهذا أيضا من نحو استغفارهم مما علموا أنه مغفور وفي يبعثون ضمير العباد
لأنه معلوم أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه يعني ولا تخزني يوم يبعث
الضالون وأبي فيهم الا من أتى الله الا حال من أتى الله بقلب سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع
وما ثوابه إلا السيف وبيانه أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه

يريد نفي المال والبنين عنه وإثبات سلامة القلب له بدلا من ذلك وإن شئت حملت
الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى
إلا غنى من أتى الله بقلب سليم لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله
وبنيه ولك أن تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال
والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى إلى أن المال
والبنين لا ينفعان وإنما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى
وقد جعل من مفعولا لينفع أي لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه
في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا إلا من
أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي
ومما أكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في الإخلاص أن حكى استثناءه هذا حكاية
راض بإصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم
ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم
وسلم وأسلم وسالم واستسلم وما أحسن ما رتب إبراهيم كلامه مع المشركين حين سألهم أولا
عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أقبل على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر
ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا أن يكون حجة
ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله جل وعز فعظم شأنه وعدد
نعمته من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعاه
بدعوات المخلصين وابتهل إليه ابتهال الأوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله وعقابه
وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة إلى
الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها ويغتبطون بأنهم
المحشورون إليها والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء بمرأى منهم يتحسرون على أنهم المسوقون إليها

قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه
الذين كفروا يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة
ويوبخون على إشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم
بانتصارهم لأنهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم أي الآلهة والغاوون
وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على
التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها
اللهم أجرنا منها يا خير مستجار وجنود إبليس شياطينه أو متبعوه من عصاة الإنس
والجن يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك
بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله
ربنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدي الأولون الذين اقتدينا بهم
وعن ابن جريج رضي الله عنه إبليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي
فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى
لهم أصدقاء لأنه لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادي
والتباغض قال الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أو فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم
أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس أو أرادوا أنهم وقعوا في مهلكة
علموا أن الشفعاء والأصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم
من النفع لأن ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي
يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فإن قلت لم جمع الشافع ووحد
الصديق قلت لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ألا ترى أن الرجل إذا امتحن
بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة

وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما أهمك فأعز من بيض الأنوق وعن
بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز أن يريد بالصديق الجمع الكرة الرجعة
إلى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت
من التلاقي في التقدير ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت القوم
مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب
ويلبس البرود وما له إلا دابة وبرد وقيل أخوهم لأنه كان منهم من قول العرب
يا أخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسألون أخاهم حين يندبهم في
النائبات على ما قال برهانا أمين كان أمينا فيهم مشهورا بالأمانة كمحمد صلى الله عليه وسلم
في قريش وأطيعون في نصحي لكم وفيما أدعوكم إليه من الحق عليه على هذا الأمر وعلى ما أنا فيه
يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله وأطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم
ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الأول كونه أمينا فيما بينهم وفي
الثاني حسم طمعه منهم وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال
والواو للحال وحقها أن يضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الأرذل على الصحة وعلى
التكسير في قوله الذين هم أراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وإنما
استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية
كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب
رسول الله صلعم وما زال أتباع الأنبياء صلوات الله عليهم كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم
ألا ترى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله صلعم فلما قال ضعفاء الناس وأراذلهم
قال ما زالت أتباع الأنبياء كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه هم الغاغة وعن عكرمة رضي الله عنه
الحاكة والأساكفة وعن مقاتل رضي الله عنه السفلة وما علمي وأي شيء علمي والمراد انتفاء علمه
بإخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سر أمرهم وباطنه وإنما قال هذا لأنهم قد طعنوا مع استرذالهم

في إيمانهم وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وتبصر وإنما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله تعالى عنهم في قوله
الذين هم أراذلنا بادي الرأي ويجوز أن يتغابى لهم نوح فيفسر قولهم الأراذل بما هو الرذالة
عنده من سوء الأعمال وفساد العقائد ولا يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك
فيقول ما علي إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وإن كان لهم
عمل سيئ فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا إلا نذير لا محاسب ولا مجازي لو تشعرون
ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وإنكار
أن يسمى المؤمن رذلا وإن كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا فإن الغنى غنى الدين والنسب
نسب التقوى وما أنا بطارد المؤمنين جواب لمن سأل أن أتبع تهموا بكم وأطلب نفوسكم
بطرد المؤمنين الذين صح إيمانهم طمعا في إيمانكم وما على إلا أن أنذركم إنذارا بينا بالبرهان
الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم ليس هذا إخبارا بالتكذيب لعلمه أن
عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أني لا أدعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وإنما أدعوك
لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة
الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لأنه يفصل بين الخصومات
الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل
والجمع بوزن أسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لأنهما أخوان
في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد وفلك وفلك
ونظيره بعير هجان وإبل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كتاب
والجمع بوزن كرام والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا وقرئ بكل ريع
بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الآل يرفعها ويخفضها
ريع يلوح كأنه سحل ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها والآية العلم
وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طرقهم أعلاما طوالا فعبثوا بذلك

لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد رضي الله عنه بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع
مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا
أو تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف أبي رضي الله عنه كأنكم وقرئ تخلدون بضم التاء
مخففا ومشددا وإذا بطشتم بسوط أو سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل
ويضرب على الغضب وعن الحسن رضي الله عنه تبادرون تعجيل العذاب لا تتفكرون في العواقب
بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة
غفلتهم عنها حين قال أمدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون
من نعمته وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه
ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد فإن قلت كيف قرن
البنين بالأنعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها فإن قلت
لو قيل أوعظت أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما
فرق لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله ومباشريه
فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ من قرأ خلق الأولين بالفتح فمعناه أن
ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصهم كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلق
القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين
وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه
ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة لم يزل عليها الناس
في قديم الدهر أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله
ويسطرونه أتتركون يجوز أن يكون إنكارا لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه
وأن يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله إياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الأمن والدعة
فيما ها هنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون

لا تتفكرون

القارئ به ابن كثير وأبو عمرو والكسائي

قرأها الباقون

وهذا أيضا إجمال ثم تفصيل فإن قلت لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول
النخل أول شيء كما يتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج حتى أنهم ليذكرون الجنة
ولا يقصدون إلا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل قال زهير تسقي جنة سحقا
قلت فيه وجهان أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده
عنها بفضله عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل
الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع
كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع إناث النخل فيه
لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني ألطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في أن
وهب لهم أجود النخل وأنفعه لأن الإناث ولادة التمر والبرني أجود التمر وأطيبه
ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل
الكثير وإذا كثر الحمل هضم وإذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد
أرطب ثمره وقرأ الحسن رضي الله عنه وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين
الفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الأمر وارتسامه طاعة الآمر
المطاع أو جعل الأمر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمرون ومنه قولهم لك علي إمرة
مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمري فإن قلت ما فائدة قوله ولا يصلحون قلت
فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة
ببعض الصلاح المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وأنه بشر
الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم وروي
أنهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر
فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم
ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن أبي موسى رضي الله عنه رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعا

وعن قتادة رضي الله عنه إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب
فيه الماء بسوء بضرب أو عقر أو غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ
من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد وروي أن مسطعا ألجأها
إلى مضيق في شعب فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي أن عاقرها
قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين
فتقول نعم وكذلك صبيانهم فإن قلت لم أخذهم العذاب وقد ندموا قلت
لم يكن ندمهم ندم تائب ولكن ندم خائف أن يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في
بعض الأمور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي أو يندموا ندم التائب
ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست التوبة للذين
يعملون السيئات الآية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب
إشارة إلى عذاب يوم عظيم أراد بالعالمين الناس أي أتأتون من بين أولاد آدم على فرط
كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كأن
الإناث قد أعوزتكم أو أتأتون أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران
يعني أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح
من الحيوان من أزواجكم يصلح أن يكون تبيينا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد بما خلق
العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم
كأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد
ومعناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك
أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة لئن لم تنته
عن نهينا وتقبيح أمرنا لتكونن من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا
ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه وكما يكون

جاء الظلمة اذا اجلوا بعض ما يعتبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة من
القالين ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك
فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان
يريد من الكاملين في قلاكم والقلا البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد
وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلي من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة
الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية مما يعملون من عقوبة
عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة فان قلت فما معنى قوله فنجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا قلت معناه انه عصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها
كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرضة والراضي بالمعصية في حكم العاصي
فان قلت كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم
قلت الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج
وان لم تشاركهم في الايمان فان قلت في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة
ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه الا عجوزا مقدرا غبورها
ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما
امطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الايتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة رضي الله عنه
امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالايتفاك
حتى اتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم
انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم قرئ اصحاب الايكة بالهمزة وبتخفيفها
وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم
قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير الف
وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح وانما كتبت في هاتين السورتين على

على حكم

الانقلاب

حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف
وقد كتبت في سائر القرآن على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف وروي ان
اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فان قلت هلا
قيل اخوهم شعيب كما في سائر المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة
وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة الكيل على ثلاثة اضرب
واف وطفيف وزائد فامر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف
ولم يذكر الزائد وكان ترك الامر والنهي دليل على انه ان فعله فقد احسن وان
لم يفعله فلا عليه قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القسطون فان
كان من القسط وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو
بالرومية العدل يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في
كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف
فيه الا باذنه تصرفا شرعيا يقال عثا في الارض وعثى وعاث وذلك نحو قطع الطريق
والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن
ذلك قرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة
وهو كقولك والخلق الاولين فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو وتركها
في قصة ثمود قلت اذا ادخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما
مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز
ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه
بشرا مثلهم فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن
وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك ان زيد لمنطلق
فلما كانا لبابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين

الدوم: المقل

فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما
جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة
وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب
ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت
صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم
باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء
فعل وان اراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشية فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة
ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس
عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب
فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها
فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة
فاهلكت مدين بصيحة جبريل عليه السلام واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت
كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة وآخرها ما كرر قلت كل قصة منها
كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح
بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس
وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يرام
تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر
وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب
غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك
يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه
تراكم الصدأ وانه لتنزيل وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات

والمراد

المرتفع من الارض

الومد: حر الهواء والكرب الذي يأخذ الانفاس

ای في ذكر الاية

والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية
ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك اي حفظكه وفهمك اياه واثبته
في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون
المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسماعيل و
محمد صلى الله عليه وعليهم واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه
لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به
وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه
وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف
لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا
ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ
كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها
ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين
يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رحمه الله
في جواز القراءة بالفارسية في الصلوة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل
وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك
في ان يعلمه وليس بواضح قرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم
وقرئ تكن بالتانيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما
والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه
جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا من آية ويجوز
مع نصب الآية تانيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه بيت لبيد فمضى وقدمها
وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام

اي مضى الحمار وقدم الاتان وكانت تقدمها عادة منه اي تقدمها فانث الاقدام على تأويل التقدمة

وغيرهم قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين
فان قلت كيف خط في المصحف علمٰؤا بواو قبل الالف قلت خط على لغة من
يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الاعجم الذى
لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد
وقرا الحسن رضي الله عنه الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه
قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور
وغيرها اعجم قال حميد ولا عربيا شاقه صوت اعجما سلكناه ادخلناه ومكناه — ولم ار مثلي شاقه صوت مثلها / اول
والمعنى انا انزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا
فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة
قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه و
قصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه
وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد عليه السلام وافترائه ولو نزلناه
على بعض الاعاجم الذى لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه عليهم هكذا فصيحا
معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال
كذلك سلكناه اى مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها
وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف فعل بهم
وصنع وعلى اى وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره
كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين فان قلت كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته — مع
قلت اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة
امر قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح

فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على — اي لا يزالون على التكذيب م
عقيبه وهو قوله لا يؤمنون به فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه
في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته
مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده
حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اى سلكناه فيها غير مؤمن به وقرا الحسن رضي الله عنه
فتاتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف ابي ويروه بغتة فان قلت
ما معنى التعقيب في قوله فياتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب
ومفاجاته وسؤال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون
بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه
وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله
فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب
شدة الامر على المسيء وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم و
هو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار
وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسال فيه من جنس ما هو فيه اليوم
من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به
عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده
وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون
باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وجل افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء
واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم
الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران
انه لقي الحسن رضي الله عنه في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية

لقد صح
فقال ميمون رضي الله عنه لقد وعظت فابلغت وقرئ ينذرون بالتخفيف منذرون ذكرى
ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة
واما لانها حال من الضمير في منذرون اى ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول له
على معنى انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف
بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى
لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا
مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين
اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما
غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل
عنها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل
عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله
سبعة وثامنهم كلبهم كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين
على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب
معزولون عن استماع كلام اهل السماء وقرا الحسن الشياطون ووجهه انه راى آخره
كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله — اسم موضع
فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين
وفلسطون وفلسطين وحقه ان تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل — الكوفيون يسوون جمع السلامة في الجمع على هجائين مسلمون ومسلمين
وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن انها النون التي على هجائين فقال النضر بن شميل
ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه رضي الله عنهم
يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه قد علم ان ذلك لا يكون
ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال

فيه صح
ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان قلت كيف يترك عما ان لنا الملك وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب
فالاقرب من قومه ويبدا في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم
كما روي عنه عليه السلام انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين
واول ما اضعه ربا العباس والثاني ان يؤمر بان لا ياخذه ما ياخذ القريب للقريب
من العطف والرافة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي انه صعد الصفا لما نزلت
فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس
عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي انه — العس قدح كبير
جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة
وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح — عبارة عن الري والشبع
هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي
انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم
شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن — بنت محمد صح
من النار فاني لا اغني عنكن شيئا الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه — في نسخ الصغاني لمحمد بالرفع وبالنصب في نسخ اخرى وفي النحوي نصب الكلام صحيح
واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض الجناح عند الانحطاط مثلا في التواضع
ولين الجانب ومنه قول بعضهم وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا ينهاه عن — الاجدل الصقر وانما سمي اجدلا لجدالة خلقته اي قوته
التكبر بعد التواضع فان قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون
هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين قلت فيه وجهان ان يسميهم
قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان
صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا
منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم
يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرا منهم

ومن أعانهم من أشركك الله وغيره وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من إن دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله تعالى فعلى هذا إذا وقع إنسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف أهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان في العطف أن يعطف على فقل أو فلا تدع على العزيز الرحيم على الذي يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم أتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر أمرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى أنه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم وعن مقاتل رضي الله عنه أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له هذه الآية ويحتمل أنه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية أمور الدين أنه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله عليه السلام أتموا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم من خلف ظهري إذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك كل أفاك أثيم هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يستمعون إلى الملأ الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به إلى أوليائهم من أولئك وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم لأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع أي المسموع من الملائكة

الدندنة هو الصوت الخفي

وقيل الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيلقون وحيهم إليهم أو يلقون المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم وترى أكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقر الصب فإن قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة معنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى إلى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت قلت ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وإنما معناه أن الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل قال أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم فإذا أدخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت فإن قلت يلقون ما محله قلت يجوز أن يكون في محل النصب على الحال أي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل أفاك لأنه في معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأن قائلا قال لم تنزل على الأفاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فإن قلت كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعدما قضي عليهم أن كل واحد منهم أفاك قلت الأفاكون هم الذين يكثرون الإفك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وأكثرهم مفتر عليه فإن قلت وإنه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات قلت أريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع إلى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على أن المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع إليه والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب

والشعراء يتبعهم الغاوون

ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما

والتشبيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيدة كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة أنزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت أفض أغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائبة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أن رجلا من العلوية قال له إن صدري ليجيش بالشعر فقال ما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه أن الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام

ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول ولا أنكأ لقلوب المتأملين ولا أصدع لأكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم الذين وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا وإطلاقه وقوله أي منقلب ينقلبون وإبهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر حين عهد إليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الأمن خير من أن تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس رضي الله عنه أي منفلت ينفلتون ومعناها أن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم أجمعين

سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون وقيل أربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طس قرئ بالتفخيم والإمالة وتلك إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين إما اللوح وإبانته أنه قد خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه إبانة وأما السورة وأما القرآن وإبانتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم وأن إعجازهما ظاهر مكشوف وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة إليه فإن قلت لم نكر الكتاب قلت ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله في مقعد صدق عند مليك فإن قلت ما وجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن قلت كما يعطف إحدى الصفتين

على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف ومعنى تلك هذه اما الى ما قبله واضافة التصديق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح وكانه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك واي كتاب مبين وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومثاله ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة والثاني نحو قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى في محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زائدة في هداهم قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا فان قلت وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم

بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم مما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها الله لهم فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رأيت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز ان ينتصب بعليم روي انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله تعالى عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله فان قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر تيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة فان قلت فلم جاء باو دون الواو قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار

ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فان قلت هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ويدل عليه قراءة ابي رضي الله عنه تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى عليه السلام واستنباؤه له واظهاره المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها ويبث آثار يمنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء عليهم السلام ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون الهاء في انه يجوز ان يكون ضمير الشان والشان انا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد

من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير فان قلت علام عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر وقرأ الحسن جأن على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين ولم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا وانما رعب لظنه ان ذلك الامر اريد به ويدل عليه قوله اني لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء عليهم السلام كالذي فرط من آدم وسليمان ويونس وداود واخوة يوسف ومن موسى عليهم السلام بوكزه القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا في تسع آيات كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات الى فرعون ونحوه فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة

لتأملها لأنهم لابسوها وكانوا بسببها بين نظرهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار كل ناظر فيها من كافة أولي العقل وأن يراد إبصار فرعون وملائه لقوله واستيقنتها أنفسهم أو جعلت كأنها تبصر فتهدي لأن العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا أن تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالإبصار وقرأ علي بن الحسين وقتادة مَبْصَرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة أي مكانا يكثر فيه التبصر الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الإيمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن الآية وقرئ عُليا وعِليا بالضم والكسر كما قرئ عُتيا وعِتيا وفائدة ذكر الأنفس أنهم جحدوها بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه علما طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا فإن قلت أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلّماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه

من المفعول وهو المكان ... من الغراب ... جاء ... وقيل الضوء ... أي معطل ...

من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه إن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر كل الناس أفقه من عمر وورث سليمان داود ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود أكثر تعبدا وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله وقال يا أيها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه بإصلاح المنطق وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله أيها المذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري فأخبر أنه يقول سبحان ربي الأعلى وقال الحدأ يقول كل شيء هالك إلا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس وأراد بقوله من كل شيء كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه إلى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله وأوتيت من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا فإن قلت كيف قال علمنا وأوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت

ولم يقل فضلنا على العباد أجمعين

نوّه به تنويها رفعت ذكره

أراد بغير المفيد المؤلف الذي ... كالمضاف والمضاف إليه والصفة والموصوف

طائر باليمن ... أصغر ...

الببغا بالتشديد مقصور والتخفيف ممدود

فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسه وأباه والثاني أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه وإظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك إذا وفد عليه وفد أو احتاج أن يرجح في عين عدو ألا ترى كيف أمر العباس بأن يحبس أبا سفيان حتى تمر عليه الكتائب روي أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وإبريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود يوزعون يحبس أولهم على آخرهم أي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة وادي النمل قيل هو واد بالشام كثير النمل فإن قلت لم عدي أتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين أحدهما أن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب ولشد ما قربت عليك الأنجم لما كان قربا من فوق والثاني أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي لأنهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء

لا يخاف

أبهته

وهو

الى

الوزع الحبس ومنه الوازع الذي يوضع على الكاتب

لا يحطمهم وقرئ نملة يا أيها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الأصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف منه كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا أيها النمل الآية فسمع سليمان صلوات الله عليه كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة رضي الله عنه أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان كانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة رحمه الله كانت أنثى فقيل له من أين عرفت فقال من قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطّمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله لا يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في أولي العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم فإن قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل أن يكون جوابا للأمر وأن يكون نهيا بدلا من الأمر والذي جوز أن يكون بدلا منه أنه في معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم على طريقة لا أرينك ههنا أرادت لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن إشفاقها ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك وكذلك ضحك الأنبياء عليهم السلام وأما ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي وإلا فبدو النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب وقرئ ضحكا فإن قلت ما أضحكه من قولها قلت شيئان إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وعلى حاله في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون تعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من إدراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن إحاطته بمعناه ولذلك

من كاس إذا مشى على ثلاث قوائم

قيل إنها كانت سوداء ... ليلة طخياء المظلمة

أي القهقهة

وشفقتهم وعلى شهرة حاله صح

اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل
الصالح والتقوى وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه
لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة
على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته
وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي ان النملة احست
بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن
حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
واجعلني من اهل الجنة ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال
مالي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب
فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم
انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمان حين تم له بناء بيت المقدس
تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه
بخمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن
فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر
فراى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان
الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة
فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك
وحين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فراى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف
له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها
اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر
وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير

اوزعني الهمني الايزاع ...

اي محشوره اي جنوده ...

وهو النسر فسال عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت
فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني
فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى او
ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له
فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد
سليمان وعفا عنه ثم ساله تعذيبه ان يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل
كان عذاب سليمان للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل
ان يلقى للنمل تاكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه
صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه
فان قلت من اين حل له تعذيب الهدهد قلت يجوز ان يبيح الله
له ذلك لما راى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره
من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم التسخير الا بالتاديب والسياسة
جاز ان يباح له ما يستصلح به وقرئ ليأتينني وليأتيني والسلطان الحجة والعذر
فان قلت قد حلف على احد ثلاثة اشياء فحلفه على فعليه لا اشكال فيه ولكن كيف صح
حلفه على فعل الهدهد ومن اين درى انه ياتي بسلطان حتى يقول والله لياتيني بسلطان
قلت لما نظم الثلاثة باو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن
احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما
وليس في هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سياتيه
بسلطان مبين فثلث بقوله او لياتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان فمكث قرئ
بضم الكاف وفتحها غير بعيد زمانا غير بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة
للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي

من المعجزة الدالة على نبوته وعلى حكمة الله عز وجل احطت بادغام الطاء في التاء
باطباق وبغير اطباق الهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتي
من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه
وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر
اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة
بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان
الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه سبا قرئ بالصرف ومنعه وقد روي
سكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبا بن يشجب
بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر صرف
قال من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما وقال الواردون
وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة مارب بسبا
وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن اد ويحتمل ان يراد المدينة والقوم
والنبا الخبر الذي له شان وقوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون
البديع وهو من محاسن الكلام التي تتعلق باللفظ بشرط ان يجيء مطبوعا او يصنعه
عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء هاهنا زائدا على الصحة
فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو
كما جاء اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال المراة بلقيس بنت
شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن له
ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم
راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريد به المدينة فمعناه تملك
اهلها وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين مكان ثمانين

الاطباق ...

الحال

اي ورثت الملك كابرا عن كابر ابا عن جد

وكان من ذهب وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر
ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق فان قلت كيف
استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان قلت يجوز ان يستصغر حالها
الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته
في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم امرهم
ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم اي امر عظيم ان
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة
وهي مسخ كتاب الله فان قلت كيف قال واوتيت من كل شيء مع قول سليمان
واوتينا من كل شيء كانه سوى بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمان عطف قوله على
ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتي من النبوة والحكمة
واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت
من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت كيف
خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء
ومارب قلت لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة راها كما اخفى مكان
يوسف على يعقوب فان قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله تعالى ووجوب
السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت
لا يبعد ان يلهمه الله تعالى ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف
اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد استقراء ذلك
فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك
معجزة له ومن قرا بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار
مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرا بالتخفيف

وجدتها

اي التتبع

فهو الا يا اسجدوا ويا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه
من قال الا يا اسلمي يا دارمي على البلى وفي حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش هلا وهلا
بقلب الهمزة هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة
ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون
وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وجل من غيوبه وقرئ
الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار
ووجهها ان تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى
الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون
ويعلنون بالياء والتاء وقرئ من احد ملتقا الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة
وفي اخراج الخبا امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض
وذلك بالهام من يخرج الخبا في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى
على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روائه ومنطقه
وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت
اسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا ام في احديهما قلت هي واجبة
فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها و
احدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك واتفق ابو حنيفة والشافعي رحمهما الله
على ان سجدات القرآن اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة صاد فهي عند ابي حنيفة رحمه الله
سجدة التلاوة وعند الشافعي رحمه الله سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره
الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت
هل يفرق الواقف بين القراءتين قلت نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون
ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف على الا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف

لان الهمزة اذا سكن ما قبلها اطرد تخفيفها بالحذف والقلب كما في الكماة وكذا في المراة

الا هو رب العرش العظيم فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله
في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له
بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة
الى سائر ما خلق من السموات والارض وقرئ العظيم بالرفع سننظر من النظر الذي
هو التأمل والتصفح واراد اصدقت ام كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان
معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب
فيما اخبر به فلم يوثق به تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه
بمسمع منك ويرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها
من كوة فالقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة فان قلت لم قال فالقه
اليهم على لفظ الجمع قلت لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال
فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبني الخطاب
في الكتاب على لفظ الجمع لذلك كريم حسن مضمونه وما فيه او وصفته بالكرم
لانه من عند ملك كريم او مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام
يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع
من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم
هو استئناف وتبيين لما القي اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو
وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمان وانه
عطفا على اني وقرئ انه من سليمان وانه بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل
القي الي انه من سليمان ويجوز ان يريد لانه من سليمان ولانه كانها عللت كرمه
بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ ابي ان من سليمان وان بسم الله على
ان المفسرة وان في ان لا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك

في كتاب سليمان في قوله الا تعلوا م

وقرأ ابن عباس بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله
سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا
علي واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب
بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت
غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها
وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها
فرفرف ساعة والناس ينظرون ورفعت رأسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت
قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت
وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت
على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد بالفتوى ها هنا الاشارة عليها
بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى
استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها
قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية اي لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل
كان اهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف ارادوا بالقوة
قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب والامر
اليك اي هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم
اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الرأي والمشورة
وانت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك لما احست منهم الميل
الى المحاربة رأت من الرأي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب
فزيفت اولا ما ذكروه واريتهم الخطأ فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا
افسدوها اي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها

اي منها المنقاد

رفرف الطائر اذا حرك جناحيه حول الشيء

اي اجيبوني من الامر الفتي

وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون
ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت
نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد
وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد بهذه الآية
ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على
وجه التحريف فقد جمع بين كفرين مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا بهدية
اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك فروي انها بعثت
خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل
مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك
في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك
والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها
المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر
غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر
سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ
وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في
البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق
كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين
صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك
فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم
ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق

صانعه بكذا اي خادعه بالرشوة

واخبره جبريل بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر بالارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها الدرة
فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها
في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب
به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت
هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وفي قراءة ابن مسعود
فلما جاءوا أتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله أتحاجوني
وبنون واحدة أتمدن والهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي — اى الفاعل والى المفعول
والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه
ههنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي
فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي
بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون — اى يدارى
بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضى منكم
بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية فان قلت ما الفرق بين
قولك أتمدني بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء قلت اذا قلته بالواو
فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا
قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى
امداده كأني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله
خير مما آتاكم فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد
وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا
ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية
مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار

على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل انتم من حقكم
ان تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر
لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم وفي قراءة ابن مسعود
لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبأ والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك
والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا
ملوكا روي انه لما امرت منذرا وجها الى سليمان جعلت عرشها في آخر سبعة ابيات
بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه
ولعله اوحي الى سليمان باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض — اى يورد عليها امرا غريبا
ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد
لنبوة سليمان ويصدقها وعن قتادة رضي الله عنه اراد ان يأخذه قبل ان تسلم لعلمه انها
اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته ام
تنكره اختبارا لعقلها وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة
والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا
كان اسمه ذكوان لقوي على حمله امين آتي به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله الذي — اى لا اقتطع
عنده علم من الكتاب رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا
واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن رضي الله
الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان صديقا عالما وقيل — برخيا ممدودا ومقصورا
اسمه اسطوم وقيل هو جبريل عليه السلام وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه
كأنه استبطأ العفريت فقال انا اريك ما هو اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه
علم من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل
عليه وآتيك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت

فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله وكنت اذا ارسلت
طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد
ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش
بين يديك وروي ان آصف قال لسليمان مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف
فغار العرش في مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان عليه السلام بالشام بقدرة الله تعالى قبل ان يرد
طرفه ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة
وفي ردة طرف والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة يشكر لنفسه لانه يحط به عنها — ويصونها صح
عبء الواجب عن سمة الكفران وترتبط به النعمة وتستمد المزيد وقيل الشكر قيد النعمة
الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار
وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار
واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم
بالانعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان عند رؤية العرش شاكرا لربه جري على شاكلة
ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر
كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما
يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله وقرئ
ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف أتهتدي لمعرفته او للجواب الصواب اذا سئلت عنه
او للدين والايمان بنبوة سليمان اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته
واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة — عليه صح
ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كأنه هو ولم تقل
هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من
كلام سليمان وملئه فان قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت

لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان وملؤه
ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كأنه هو قد اصابت في جوابها وطبقت
المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات
التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك
قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على
دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدها
عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون
من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان — والمعنى صح
عليه السلام قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر
ودخلنا في الاسلام ثم قال تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء
السبيل وقيل وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل — او وضمن الصد معنى المنع
وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها الصرح القصر وقيل صحن الدار
وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤقا فاجرى عليه الواحد والممرد المملس — بالهمز صح
وروي ان سليمان امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجري
من تحته الماء وألقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس
عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا
لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم — الى سليمان
لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس
فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء
الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها
ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره

وتأديبها انه صرح ممرد من قوارير وقيل عمل الشيء في اتخاذ الصرح امر بها الشياطين
فاتخذوها واستنكحها سليمن واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سيلحين
وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل
بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى
له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان
سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان وقرئ ان اعبدوا الله بالضم على
اتباع النون الباء فاذا هم فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه
قبل ان يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي السيئة العقوبة والحسنة
التوبة فان قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا
متوقعتين احديهما قبل الاخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها
صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت
وان لم يقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا
تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطاء فيما قالوه
وتجهيلا فيما اعتقدوه كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا
تيمن وان مر بارحا تشأم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من
قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله
لا طائرك اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذي تشأم به
وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بك اي تشأمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله اي سببكم
الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم
ويجوز ان يريد ان عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه
قوله طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطيرنا به

قصبة صنعاء

السانح ما ولاك ميامنه من ظبي او طائر او غيرهما والبارح بعكسه ذكره والعرب تتيمن بالسانح وتتشأم بالبارح وفي المثل من لي بالسانح بعد البارح

تشأم به وتطير منه بل انتم قوم تفتنون تختبرون وتعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته
اليكم الطيرة وكان في المدينة الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه
قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من
السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب
غنم بن غنم رئاب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن
صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة
قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت
الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح تقاسموا
يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا
وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع التاء والنون يصح فيه الوجهان
ومع الياء لا يصح فيه الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر
التحالف والتحلف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه
بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام
وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان
فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر
قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين
ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين
جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون
الشرع ونواهيه ولا تخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم
بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب ومكرهم
ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون

اي الانس والحبس

اي مهلك

شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب
يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث
فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله
صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم و
لم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا
بالليل شاهرين سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون و
لا يرون راميا انا دمرناهم استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدأ
محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة
مكرهم الدمار خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع
على خبر المبتدأ المحذوف واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة قوله ولقد ارسلنا
عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب اي تعلمون انها
فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا
الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل
في القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين
واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها
لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابا نواس
بنى على مذهبهم قوله وبح باسم ما تاتي وذرني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر
او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت فسرت تبصرون بالعلم
وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت اراد تفعلون فعل
الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة
التي كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب

فهلا

دمغه دمغا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ واسمها الدامغة

المجون عدم المبالاة من الانسان بما يصنع

وبح اي اظهر ما تفعله

فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون قلت
اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرأ الاعمش
جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها
فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء قدرناها
قدرنا كونها من الغابرين كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى
امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته
وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده
وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار
بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها
المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله
وصلوا على رسول الله امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم
المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان
وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم
الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه
الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن
بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم
آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره
من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير
ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطاء المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول
وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من
هذا الذي هو مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه

اي كونها من الغابرين

كفارهم

الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما قال في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ تشركون بالتاء والياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم فان قلت ما الفرق بين أم وأم في أما تشركون وأمن خلق قلت تلك متصلة لأن المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والأرض خير تقريرا لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الأعمش أمن بالتخفيف ووجهه أن يجعل بدلا من الله كأنه قال أمن خلق السموات والأرض خير أم ما تشركون فان قلت أي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا قلت تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بأن انبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لأن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لأن الناظر يبتهج به أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ أإلها مع الله بمعنى أتدعون أو أتشركون ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد أمن جعل وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا الضرورة الحالة المحوجة الى الالتجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى اللجأ والتضرع الى الله وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر

فان قلت قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة وأما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على أحدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الأرض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وأراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة أي تذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الأرض اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر فان قلت كيف قيل لهم أمن يبدأ الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة قلت قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار من السماء الماء ومن الأرض النبات ان كنتم صادقين أن مع الله الها فأين دليلكم عليه فان قلت لم رفع اسم الله والله يتعالى أن يكون ممن في السموات والأرض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار أحد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كأن أحدا لم يذكر ومنه قوله عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما أتاني زيد الا عمرو وما أعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والأرض فهم يعلمون الغيب يعني أن علمهم الغيب في استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى ما في البيت ان كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بتا للقول بخلوها عن الأنيس فان قلت هلا زعمت أن الله ممن في السموات والأرض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على أن علمه في الأماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت

يأبى ذلك أن كونه في السموات والأرض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على أن قولك من في السموات والأرض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله ومن قضيتهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن أحد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة أيان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ولا ينصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة وقرئ بل ادرك بل ادارك بل ادرك بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آأدرك بألف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل أدرك على الاستفهام بلى أدرك بلى أأدرك أم أدرك أم تدارك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك أصله تدارك فأدغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين أحدهما أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والأرض لأنهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم فان قلت الآية مسوقة لاختصاص الله بعلم الغيب وأن العباد لا علم لهم بشيء منه وأن وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بد أن يكون

وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني أن وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لأجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي أدرك علمهم وادارك وجه آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفني من قولك أدركت الثمرة لأن تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة من قرأ بل أأدرك علمهم على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرأ أم أدرك وأم تدارك لأنها أم التي بمعنى بل والهمزة فان قلت فمن قرأ بلى أدرك وبلى أأدرك قلت لما جاء بلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم أنكر علمهم بكونها واذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لأن العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شأن الآخرة ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل لأحوالهم وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه

فلذلك قال ماذا يستعجل منه المجرمون لان الكفر يورث العاقبة والمجرم هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون
ولا يبصرون العاقبة فان قلت بم يتعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق بارأيتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه
ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارأيتم وان يكون اثم اذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افأمن اهل القرى اوأمن اهل القرى
آلآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار
ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلآن
ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون احق هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود
اي وربي ان العذاب لحق كائن وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة
ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها
واسروا الندامة لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب
وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروا الندامة اخلصوها
قد جاءتكم موعظة اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وشفاء لما في الصدور
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا
فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما
ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا

وقرأ الاعرج رديف لكم بوزن ذهب وهما لغتان كالعتب والعتب وعسى ولعل وسوف
في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون
بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم
بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله
ووعيده لذو فضل على الناس بتأخير العقوبة وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه
ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش ما تكن صدورهم يقال كننت الشيء
واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومكائدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه سمى الشيء الذي يغيب
ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظائرهما النطيحة
والرمية والذبيحة في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية
في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا
وقد علمه الله تعالى واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة
قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن
بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد
اليهود والنصارى للمؤمنين لمن انصف منهم وآمن اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم
يقضي بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به فان قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال
زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي
الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما او اراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة
وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه او العزيز في انتقامه
من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة

باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان
ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان مثله لا يخذل فان قلت
انك لا تسمع الموتى يشبه ان يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت
وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله من جهة المشركين واهل الكتاب
من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلازم ذكر ان تعلل توكل متوكل مثله بان اتباعهم
امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم
وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا
اقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى
السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون
وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء
الا الله عز وجل فان قلت ما معنى قوله اذا ولوا مدبرين قلت
هو تأكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته
وقرئ ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي على الاصل وتهدي العمي وعن ابن مسعود وما ان تهدي
العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال
بالهدى ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون بآياته اي يصدقون
بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له سمي
معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله
والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة دابة الارض
الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
وروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور
وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر

وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وروي
لا يخرج الا راسها وراسها يبلغ عنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل لون
وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله عنه
انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا تخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه انه سئل من
اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج
ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس
في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن والمقام حذاء دار
بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج
من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون يعني
ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الآيات وتقول الا لعنة الله على
الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر
تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من اجياد وروي بينا
عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا
مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في
مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها
وجهه او فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في
انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن
بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت
من اهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم
ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح ويجوز
ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر لتحرقنه بقراءة علي لنحرقنه

وان يستدل بقراءة ابي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس على انه من الكلام
والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول
اي تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقول الله او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله و
اثرتها عنده وانها من خواص خلقه اضافت آيات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا
وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى حذف الجار اي تكلمهم بان
فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد
وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمان عليه السلام بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج
الجماعة الكثيرة ومنه قوله يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس ابو جهل والوليد
بن مغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم
الى النار فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى
للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الراي
من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب
او للعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان
المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقرأه
ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ام ماذا كنتم تعملون بها ام ذلك لانهم لم يعملوا
الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها
او التكذيب ومثاله ان تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء اتاكل نعمي ام ماذا تعمل
بها فتجعل ما ابتدأت به وجعلته اصل كلامك واساسه هو الذي صح عندك من اكلها وفساده
وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه لا يجيء
منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك او اراد
اما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بايات الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك

يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان
والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم
يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق و
الاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون جعل الابصار للنهار وهو لاهله فان قلت
ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والآخر حالا قلت
هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق
التقلب في المكاسب فان قلت لم قيل ففزع دون فيفزع قلت لنكتة
وهي الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات والارض
لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة
الاولى حين يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل
واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش
وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه واتاه داخرين حمل على المعنى والتوحيد على اللفظ
والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية
ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له جامدة من جمد في مكانه اذا لم يبرح
تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة
في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة
العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش بارعن مثل الطود
تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله
وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور
فكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة

والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب
حيث قال صنع الله الذي اتقن كل شيء يعني ان مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب
من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل
العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة
الى آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماده
ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجز بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى
واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي
على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله
ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله اتقن
كل شيء ومن احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرئ يفعلون
على الخطاب فله خير منها يريد الاضعاف وان العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين
فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس
الحسنة كلمة الشهادة وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا
مع تنوين فزع فان قلت ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع الاول
هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن
يامن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز
وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب فان قلت فمن قرا من فزع
بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب
واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان
البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه
الوصف وهو خوف النار امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله وقيل السيئة

الاشراك يعبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا
فيها ويجوز ان يكون ذكرا للوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل
تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول امر رسوله
بان يقول امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش
وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القرآن من التلاوة او من
التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ذلك والبلدة مكة حرسها الله اختصها من بين سائر البلاد
باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم
انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم
لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص
وصفها فاجزل بذلك قسمتها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها
الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد
شجرها ولا ينفر صيدها فاللاجي اليها آمن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته
كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشان
قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا
تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التي حرمها واتل عليهم هذا القرآن
من ابي وان اتل من ابن مسعود فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله
ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة
اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر وما
على الرسول الا البلاغ ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها
نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم الى المعرفة والاقرار بانها

الحزورة بين الحاء والعين ... مشهورة بمكة تقع عليها اذا خرجت من باب بني سهم
اي لا يقطع حشيشها

آيات الله وذلك حين لا ينفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الكشي ومن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين قرئ تعملون بالتاء والياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب هودا وشعيبا وصالحا وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

طاسين منصوب

وهودا معطوف على من صدق لان المعنى بعدد قوم سليمان وقوم هود بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه

سورة القصص وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلو اي نتلو عليك بعض خبرهما

خبر موسى وفرعون بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما ينفع هؤلاء دون غيرهم ان فرعون جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبأهما فقال ان فرعون علا في الارض اي ارض مملكته قد طغى فيها

وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه قال الاعشى وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يستخدم صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل

ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف وقوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن او كذب فان قلت علام عطف قوله ونريد ان نمن وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد قلت هي جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان تكون حالا من يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى وقت آخر قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها

كانها مقارنة لاستضعافهم ائمة مقدمين في الدين والدنيا الناس اعقابهم وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطاه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم اليم البحر قيل هو نيل مصر فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الآخر قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وفي غيره اكثر من المخاوف فان قلت ما الفرق من الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى تسعون الف وليد وروي انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقبل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله

اليها فالقيه في اليم وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار
من داخله اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني
سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن
داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان
نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام
الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره ان هذه اللام
حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد
وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين في كل شيء فليس
خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم
ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ
روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم
فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه
وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقال له الاطباء لا تبرأ
الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه
فبرأت وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم
عليه فقالت الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت
آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة
عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان
غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث فتأويله
والله اعلم بصحته وروي انها قالت له لعله من قوم اخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين
خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود

دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن
ودلائل النفع لأهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها
توسمت في سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل للتبني ولأن يكون ولدا
لبعض الملوك فان قلت وهم لا يشعرون حال فما ذو حالها قلت ذو حالها
آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون
كذا وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان
فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما احسن
نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين
سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى
وأفئدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان ألا ابلغ ابا سفيان عني فأنت مجوف
نخب هواء وذلك ان القلوب مراكز العقول ألا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها
ويدل عليه قراءة من قرأ فزعا وقرئ قرعا اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء
وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد
عليها لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وانه ولدها لولا
ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين
من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز واصبح فؤادها فارغا من الهم
حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها
فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طأمنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح
والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ مؤسى
بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كأنها فيها فهمزت كما همز وجوه
قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره وقرئ فبصرت به عن جنب والمعنى عن بعد

وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اي نظرت
اليه مزورة متجانفة وهم لا يحسون بأنها اخته وكانت تمشي على ساحل النهر التحريم
استعارة للمنع لان من حرم عليه شيء فقد منعه ألا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك
لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك والمراضع
جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع
من قبل من قبل قصصها اثره روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه
وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد
فانطلقت الى امها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع
فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا
ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى
عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها ان سيكون
نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت علمها ويتمكن فان قلت كيف حل لها
ان تأخذ الاجر على ارضاع ولدها قلت ما كانت تأخذه على انه اجر على الرضاع
ولكنه مال حربي كانت تأخذه على وجه الاستباحة وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون
داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون
ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح فؤادها فارغا وروي
انها حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون
موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بأن فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو
فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض
الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض الاصلي الذي
ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ

الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط واستحملوا امركم لله دركم شزر المريرة لا قحما
ولا ضرعا وذلك اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على رأس اربعين سنة العلم التوراة
والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله و
الحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء والعلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا
يستجهل فيه المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين غفلتهم ما بين العشاءين وقيل
وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم
بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وقرئ على حين غفلة من شيعته
ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل هو السامري ومن عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون
وكان يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع بأطراف الاصابع وقيل
بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل
قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه قلت لانه قتله
قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر
بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لأتوبن
فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كأنه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة
فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته
وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة
من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له
وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله
ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه
قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية
وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة

او يرى لهم قلنا يجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما انعمت علي من القوة
فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من
بني اسرائيل يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه وصريخ
الاسرائيلي الذي بالغي لانه كان بسبب قتل رجل وهو يقاتل آخر وهو يبطش بالذي هو عدو
لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل والجبار الذي
يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي
لا يتواضع لامر الله ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون
وهموا بقتله قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسمى بحبون او بقاعد وصفا
لرجل وانتصابه حالا منه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا جعل صلة لجاء
لم يحسن فيه الا الوصف والايتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد
منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك اللام للبيان وليس بصلة
الناصحين يترقب لتعرض له في الطريق او ان يلحقوه تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب
عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان
موسى عليه السلام لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس خرج ولم يكن له علم بالطريق الا حسن ظنه
بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل
حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ماء مدين ماءهم
الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي ووروده مجيئه والوصول اليه وجد عليه وجد
فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد من الناس من اناس مختلفين من دونهم في
مكان اسفل من مكانهم والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء
من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل
لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما ما خطبكما

يسعى

كان اسمه مديان فعرب

هي عصا في اسفلها زج

اي مطلوبكما

ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شأنا
في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده وقرئ لا نسقي ولا يصدر والرعاء بضم الراء
والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرجال والنساء واما الرعاء بالكسر فقياس
كصيام وقيام كبير السن فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا
يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة رجال وقيل اربعون وقيل
مائة فاقله وحده وروي انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت
لا ينزحها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما
وروي انه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئر اخرى عليها الصخرة وانما فعل
هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه
امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم
فما اخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع
ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه
الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي
من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من استيعاب فرصة الاحتساب ترغيب في الخير
واستيعاب فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم فان قلت
لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض
هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي
ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء
المقصود فيه السقي لا المسقي فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت
سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على
مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك

واحدها رخل وهي انثى الحمل والشاء جمع شاة

وابونا شيخ كبير قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابدا الينا عذرهما في توليهما السقي
بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه
بسقي الماشية قلت الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروءة فالناس
مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب
اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة الي لما
لاي شيء انزلت الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل
وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله الا اكلة ويحتمل
ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان
عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة
على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روي انهما
لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا
رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها
فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما جاءه وقص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان
لفرعون بارضنا فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امرأة وان يمشي
معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امرأة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان
او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه
واما مماشاته امرأة اجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع
فان قلت كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف قلت يجوز ان
يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر
ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب
ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر

الحفل الاجتماع والحفيل مثل الضرة وهي ان لا تحلب الشاة ليجتمع اللبن في ضرعها للبيع والشاة محفلة ومصراة صحاح

والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك كره
ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا
ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب
رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت اي جزاء سقيك والقصص
مصدر كالعلل سمي به المقصوص كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء اي التي
ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستأجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس ان شعيبا احفظته
الغيرة فقال لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه
حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استأجرت القوي الامين كلام حكيم
جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القائم
بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه
سياق المثل والحكمة ان تقول استأجره لقوته وامانته فان قلت كيف جعل
خير من استأجرت اسما لان والقوي الامين خبرا قلت هو مثل قوله الا ان
خير الناس حيا وهالكا اسير ثقيف عندهم في السلاسل في ان العناية هي سبب التقديم
وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي
للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان ممح وعن ابن مسعود
افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر
روي انه انكحه صفورا وقوله هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما تأجرني من اجرته
اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته
اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج
مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز
قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا

طلاع الارض ما طلعت عليه الشمس منها
اي ملء الارض
وصفوراء صح
اي اغضبته والحفيظة الغضب
اي لاجل العناية
اي ذو مزح اراد به حلاوة اللسان

عند النال الحسك ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولابد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة رحمه الله كيف منع ان يتزوج امراة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني مسلم مالا وهو العبد والدار قلت

الامر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله على ما ذكرت واما الشافعي رحمه الله فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستاجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه مدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستاجره لرعيه ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تاجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عشرا يعني تممت عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندي يعني لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استاجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا خارجة عن حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد

من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال اي اجل قضيته من الاجلين اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثماني اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى رايي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد موت آدم وكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا

فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي نودي منها شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملاء البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال اني وهبت لك من نتاج غنمي كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاجلين قضى موسى عليه السلام فقال ابعدهما وابطاهما وروي انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت انه تزوج بالتي طلبت استئجاره وقرئ جذوة بالحركات الثلاث وقرئ من جميعا العود الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن قال اتيت باشجار طوال حول الجذوة غير حوائل ولا دخن واقبل على قبس من النار جذوة شديدا غليها قال ابن مقبل وصيرتها جذاهما وكان الجذوة من الاولى والثانية لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف فان قلت ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك

فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز ان كاتبا له يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحيه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما اليه وذلك في قوله واضمم اليك جناحك واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمي لها فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمراة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا

والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا
من السليط وهو الزيت لانارتها يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به
كما ان الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل وردئي كل ابيض مشرفي شحيذ الحد
عضب ذي فلول وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب ردا يصدقني بالرفع والجزم
صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء فان قلت تصديق اخيه ما الفائدة فيه
قلت ليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو
ان يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة
فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى الى قوله واخي هرون هو
افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان
وباقلا يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فاسند التصديق
الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازي ان التصديق حقيقة
في المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس
التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله اني اخاف ان يكذبون
وقراءة من قرأ ردا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بالجزم سنشد عضدك العضد قوام اليد
وبشدتها تشتد قال طرفة ابني لبينى لستم بيد الا يدا ليست لها عضد ويقال في دعاء الخير
شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك باخيك سنقويك به
ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد
على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل
كانه يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة بآياتنا متعلق
بنحو ما تعلق به في تسع آيات اي اذهبا بآياتنا او بنجعل لكما سلطانا اي نسلطكما بآياتنا
او بلا يصلون اي تمتنعون منهم بآياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول

ولو تأخر لم تكن الا صلة ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه او من لغو القسم
سحر مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او موصوف بالافتراء
كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال منصوبة عن هذا اي كائنا في ايام
آبائهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه
او يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه
بما جاء به وهذا دليل انهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات
الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها يقول ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله
نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله
لذلك لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي
العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وعلا اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم
الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة
والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة
كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختص خاتمتها بالخير
بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الآخرة
واراد بعباده ان لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق
ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير واما عاقبة السوء
فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وكذلك هو في مصاحف
اهل مكة وهي قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم
مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن
الناظر بين القول والقول ويتبصر فساد احدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الاشياء وقرئ
تكون بالتاء والياء روي انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع الف بناء
خمسون

سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ
ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان الباني لا يقدر ان يقوم على رأسه حتى بعث الله جبريل عند غروب الشمس
فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت قطعة
في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا هلك ويروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى
فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت
اله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله اعلم بصحته قصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده معناه
ما لكم من اله غيري كما قال الله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه
بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء معدوما
لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده
بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان اله غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون
بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظنه موسى كاذبا في اثباته اله غيره ولم يعلمه
كاذبا فقد ظن ان في الوجود اله غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما
بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى
وان كان جاهلا مفرطا في الجهل به وبصفاته حيث حسب انه في مكان كما كان هو في
مكان وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد في عليته وانه ملك السماء كما انه
ملك الارض ولا ترى بينة اثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم
من انهم راموا نيل اسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده
ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهائم
بذلك ام كان في نفسه بتلك الصفة وان صح ما حكي من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم
فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظائره

من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله فظنوا انهم مواقعوها
ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم
او لم يخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان
على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان
هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامر هامان
وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظم
والتجبر وعن عمر رضي الله عنه انه حين سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر
قال ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع
بمعنى الاستكبار بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء الشأن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري
فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق
يرجعون بالفتح والضم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام المفخم الذي دل به
على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا
الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات اخذهن آخذ بكفه وطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله
والقينا فيها رواسي شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هي الا تصويرات
وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته فان قلت
ما معنى قوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار قلت معناه ودعوناهم ائمة دعاة
الى النار وقلنا انهم ائمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة
وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير
فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا

ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون
كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا ائمة الكفر ومعنى الخذلان
منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات
والنذر ومجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم
نفسه فكانه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا ائمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته
فان قلت فاي فائدة في ترك المردوف الى الرادفة قلت ذكر الرادفة
يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون
اقوى لاثباته من ذكره الا ترى انك تقول لولا انه مصمم على الكفر مقطوع امره مبتوت
حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر منع الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم
على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيمة
لا ينصرون كانه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال واتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة اي طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين اي من المطرودين
المبعدين بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين
الذي تبصر به يريد آتيناه التورية انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف
حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لانهم لو عملوا بها
وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي
فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي موسى لتذكرهم كقوله لعله يتذكر الغربي المكان
الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله له في
الالواح والامر المقضي الى موسى الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول وما كنت حاضرا المكان الذي اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين
للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة

(اي ترك منع الالطاف وارادة التصميم على الكفر يجري مجرى الكناية ٥)

على ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبة التورية له في الالواح وغير ذلك فان قلت كيف
يتصل قوله ولكنا انشأنا قرونا بهذا الكلام ومن اي وجه يكون استدراكا له قلت
اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا انشأنا بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا
كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي انت فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي واندرست
العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال
وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة
ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده
وما كنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا
تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب عليه السلام وقومه ولكنا ارسلناك
واخبرناك بها وعلمناكها اذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن
علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع اي هي رحمة ما آتيهم من نذير في زمان الفترة بينك
بين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم لولا الاولى
امتناعية والجواب محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفائين للعطف والاخرى
جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض
من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي
هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول
اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
ان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك فان قلت
كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف
الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل
ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها

(يقال كسبت زيدا مالا اي مكنته من كسبه من غير تعلمه فتعلمه)

(كلمة ما للنفي بدليل قوله فهم غافلون ٥)

(ان سبب السبب سبب ٥)

سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية
معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اخترنا
هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم
اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف
على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم
ما لا يخفى كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدي
جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب
وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما
جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم
وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة
واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات فجاؤا بالاقتراحات المبنية
على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك
اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة
في زمن موسى عليه السلام بما اوتي موسى عليه وعن الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى
عليه السلام فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم قالوا في موسى وهرون عليهما السلام
ساحران تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما
سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر بكل واحد منهما
فان قلت بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولي
ان اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد عليه السلام
وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتورية وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا او في الكتابين
سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلعم

(باقدام ايديهم ٥)

(التعنت دليل جستن العناد والعنود ستيزه كردن واز راه بگشتن ٥)

(معنى التورية والقرآن ٥)

فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود
فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل على محمد هذا الشرط
من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين
امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان قلت
ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث
عدي بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف
الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب له ولا يكاد
يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فان قلت
فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء هاهنا قلت قوله فاتوا بكتاب امر بالاتيان
والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكانه قيل فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب
الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن لا يتبع في دينه
الا الهوى بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم
الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى
بينه وبين هواه وقرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا بعضه
متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة ان يتذكروا فيفلحوا او نزل
عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا
عنه معرضين نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم
وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام
والضمير في من قبله للقرآن فان قلت اي فرق بين الاستينافين انه وانا قلت
الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه
يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا بان ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء قرؤا

(او لسبب وداع دعاه من جهة الداعي)

(انه الحق وانا كنا)

في الكتب الاول فذكره وانبائهم من قبل وجوده ونبوته او لانهم مسلمين كائنين على
دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتورية
والايمان بالقرآن او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين
واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة
او بالحلم الاذى سلام عليكم توديع ومتاركة ومن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي
الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فان قلت من خاطبوا بقولهم ولكم اعمالكم قلت
اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخل في الاسلام
كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله
يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف تنفع فيه فيقرن به
ألطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج
اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه
تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك
فقال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان
تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك صادق ولكني اكره
ان يقال خرع عند الموت ولولا ان تكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها
ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة
الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا قالت قريش وقيل ان القائل الحرث بن عثمان
بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب
بذلك وانما نحن اكلة رأس اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن
لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون
ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت قارون بواد غير ذي زرع
هم

صح وذلك ان ابا طالب

والثمرات والارزاق تجبى اليه من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق
بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف
ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم
حقيقة والى الحرم مجاز تجبى اليه تجلب وتجمع وقرئ بالياء والتاء وقرئ تجنى بالنون من الجنى
وتعديته بالى كقوله يجنى الى فيه ويجنى الى الخافة ثمرات كل شيء معنى الكلية
الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم
يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه
من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عند الله ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا ا
اندادهم فان قلت بم انتصب رزقا قلت ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب
بمعنى ما قبله لان معنى تجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له
وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة
المتخصصة بالصفة هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم
بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم
الله وخرب ديارهم وانتصب معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار
موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف
اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت
وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه الا قليلا من السكنى قال ابن عباس
لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقي اثره
في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من
ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها بالارض تخلف الآثار
عن اصحابها ميراثا وبقيت كما الفناء تتنفع وما كانت عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت
اي تخلف الآثار

كم اهلكنا

حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وسوادها وتوابعها رسولا
لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق قضائه
ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم
خاتم الانبياء وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه
من الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم
ظالمين الا بعد تأكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان
يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله
بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ظالما وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل
على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم واي شيء اصبتموه من
اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة الحيوة المنقضية وما عند الله
وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمدي وقرئ يعقلون بالياء
وهو ابلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلاثة اصناف
المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع هذه الآية
تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم
والاستحقاق واي شيء احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله ولقاهم
نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت
من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل
لعنه الله وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة فان قلت
فسر لي الفاءين وثم واخبرني عن مواقعها قلت قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحيوة
الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر
يسوى بين ابناء الآخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية
اي في فهو

صح ذلك

فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير واما ثم فلتراخي حال
الاحضار عن حال التمتيع لا لتراخي وقته وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد
تشبيها المنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به
وحده فهو كالمتصل شركائي مبني على زعمهم وفيه تهكم فان قلت زعم يطلب
مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما قلت محذوفان تقديره الذين
كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على
احدهما الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤساؤه ومعنى حق عليهم القول
وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء مبتدأ
والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر
محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا
لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء
كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء
فلا فرق اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته
دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل
عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك
صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله تعالى عن الشيطان
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى اول شيء
حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرأنا اليك
منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على
استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون

شهواتهم وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى لو أنهم كانوا يهتدون
لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب، أو لو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه، أو تمنوا لو كانوا
مهتدين، أو تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا. حكى أولا ما يوبخهم به من
اتخاذهم له شركاء، ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لأنهم إذا وبخوا بعبادة
الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها، ثم ما يشبه الشماتة
بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم، ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم
بإرسال الرسل وإزاحة العلل. فعميت عليهم الأنباء فصارت الأنباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي
إليهم، فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لأنهم يتساوون جميعا
في عمى الأنباء عليهم والعجز عن الجواب. وقرئ فعُمّيت. والمراد بالنبأ الخبر عما أجاب به المرسل
إليه رسوله، وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال
ويفوضون الأمر إلى علم الله، وذلك قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا
إنك أنت علام الغيوب، فما ظنك بالضلال من أممهم. فأما من تاب من المشركين من الشرك
وجمع بين الإيمان والعمل الصالح فعسى أن يفلح عند الله، وعسى من الكرام تحقيق، ويجوز أن
يراد ترجي التائب وطمعه كأنه قال فليطمع أن يفلح. الخيرة من التخير كالطيرة من التطير
تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه. ما كان لهم الخيرة
بيان لقوله ويختار لأن معناه ويختار ما يشاء، ولهذا لم يدخل العاطف، والمعنى أن الخيرة
لله في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها، ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه. قيل السبب فيه قول الوليد
بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، يعني لا يبعث الله الرسل باختيار
المرسل إليهم. وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة، أي يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح
وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم، من قولهم في الأمرين ليس فيهما خيرة لمختار. فإن قلت
فأين الراجع من الصلة إلى الموصول إذا جعلت ما موصولة؟ قلت أصل الكلام

ما كان لهم فيه الخيرة، فحذف فيه كما حذف منه في قوله إن ذلك لمن عزم الأمور
لأنه مفهوم. سبحان الله أي الله بريء من إشراكهم وما يحملهم عليه من الجرأة على الله واختيارهم
عليه ما لا يختار. ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده، وما يعلنون من مطاعنهم
فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة. وهو الله وهو المستأثر بالإلهية المختص بها
ولا إله إلا هو تقرير لذلك، كقولك الكعبة القبلة لا قبلة إلا هي. فإن قلت
الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة؟ قلت هو قولهم الحمد لله الذي أذهب
عنا الحزن، الحمد لله الذي صدقنا وعده، وقيل الحمد لله رب العالمين، والتحميد هناك
على وجه اللذة لا الكلفة، وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس. وله الحكم القضاء
بين عباده. أرأيتم وقرئ أريتم بحذف الهمزة، وليس بحذف قياسي، ومعناه أخبروني من يقدر
على هذا. السرمد الدائم المتصل، من السرد وهو المتابعة، ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة
سرد وواحد فرد، والميم مزيدة ووزنه فعمل، ونظيره دلامص من الدلاص. فإن قلت
هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه؟ قلت ذكر الضياء وهو ضوء
الشمس لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة، ليس التصرف في المعاش وحده، والظلام ليس بتلك
المنزلة، ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه
ووصف فوائده، وقرن بالليل أفلا تبصرون لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من
السكون ونحوه. ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة: لتسكنوا في أحدهما وهو الليل،
ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار، ولإرادة شكركم. وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف.
في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إيذان بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به
كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده، اللهم فكما أدخلتنا في أهل توحيدك
فأدخلنا في الناجين من وعيدك. ونزعنا وأخرجنا من كل أمة شهيدا وهو نبيهم
لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه. فقلنا للأمة هاتوا برهانكم فيما كنتم

عليه من الشرك ومخالفة الرسول، فعلموا حينئذ أن الحق لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم. وضل
عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب. قارون اسم
أعجمي مثل هارون، ولم ينصرف للعجمة والتعريف، ولو كان فاعولا من قرنت لانصرف. وقيل معنى
قوله من قوم موسى أنه آمن به. وقيل كان إسرائيليا ابن عم لموسى، هو قارون بن يصهر بن قاهث بن
لاوي بن يعقوب، وموسى بن عمران بن قاهث بن لاوي. وقيل كان موسى ابن أخيه، وكان يسمى
المنور لحسن صورته، وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة، ولكنه نافق كما نافق السامري
وقال إذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان إلى هارون فما لي. وروي أنه لما جاوز
بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهارون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم، وكان
القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه، وجد قارون في نفسه وحسدهما، فقال لموسى الأمر
لكما ولست على شيء، إلى متى أصبر. قال موسى هذا صنع الله. قال والله لا أصدق حتى تأتي بآية.
فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه، فحزمها وألقاها في القبة التي كان
ينزل الوحي عليه فيها، وكانوا يحرسون عصيهم بالليل، فأصبحوا وإذا بعصا هارون تهتز ولها ورق
أخضر، وكانت من شجر اللوز. فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر. فبغى عليهم من البغي
وهو الظلم، قيل ملكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم، وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ، تبذخ
عليهم بكثرة ماله وولده، وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا. المفاتح جمع مفتح بالكسر
وهو ما يفتح به، وقيل هي الخزائن، وقياس واحدها مفتح بالفتح. ويقال ناء به الحمل إذا أثقله
حتى أماله. والعصبة الجماعة الكثيرة، والعصابة مثلها، واعصوصبوا اجتمعوا. وقيل كانت
تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا، لكل خزانة مفتاح، ولا يزيد المفتاح على إصبع، وكانت
من جلود. قال أبو رزين يكفي الكوفة مفتاح. وقد بولغ في ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح
والنوء والعصبة وأولي القوة. وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء، ووجهه أن يفسر المفاتح
بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيف إليه للملابسة والاتصال، كقولك ذهبت أهل اليمامة. ومحل إذ

أي الإمامة وهي مصدر الحبر ... والحبورة

التبذخ والتشمخ والتبلخ كردن كشي كردن

أي يكفي الكوفة كنز واحد من كنوزه

منصوب بتنوء. لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم، وقول القائل: ولست بمفراح إذا الدهر سرني
وذلك أنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن، وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق
ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح، وما أحسن ما قال القائل: أشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا. وابتغ فيما آتاك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة بأن تفعل فيه
أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب إليه، وتجعله زادك إلى الآخرة. ولا تنس نصيبك
وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك. وأحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك، أو أحسن بشكرك
وطاعتك لله كما أحسن إليك. والفساد في الأرض ما كان عليه من الظلم والبغي، وقيل إن القائل موسى
عليه السلام. وقرئ واتبع. على علم أي على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به
الناس، وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة. وقيل هو علم الكيمياء، عن سعيد بن المسيب كان موسى
عليه السلام يعلم علم الكيمياء، فأفاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون
ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه، وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا.
وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلمته أخته قارون. وقيل هو بصره بأنواع التجارة
والدهقنة وسائر المكاسب. وقيل عندي معناه في ظني، كما تقول الأمر عندي كذا، كأنه
قال إنما أوتيته على علم، كقوله ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم، ثم زاد عندي
أي هو في ظني ورأيي هكذا. يجوز أن يكون إثباتا لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون من هو
أقوى منه وأغنى، لأنه قد قرأه في التوراة وأخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والأيام،
كأنه قيل أولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته. ويجوز أن يكون
نفيا لعلمه بذلك، لأنه لما قال إنما أوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك
العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة، ولم يعلم هذا العلم النافع حتى
يقي به نفسه مصارع الهالكين. وأكثر جمعا للمال أو أكثر جماعة وعددا. فإن قلت
ما وجه اتصال ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله؟ قلت لما ذكر قارون من أهلك من قبله

آخره: ولا جزوع حين ينكبني الدهر

والبغي

أي تصلف

من القبط وان الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين
لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون
والله بما تعملون عليم وما اشبه ذلك في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة
شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم
الديباج الاحمر من يمينه ثلثمائة غلام ومن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج
وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رئي فيه المعصفر كان المتمنون قوما
مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة
تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط الذي
يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه
له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما
يضر العضاه الخبط والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل مجدود مبخوت
يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ وجدود ويلك اصله الدعاء
بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك واصله
الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقاها للكلمة التي تكلم
بها العلماء او للثواب لانه في معنى المثوبة او الجنة او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل
الصالح الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير كان قارون
يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة
فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره
فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى اراد كم على كل شيء وهو يريد ان ياخذ اموالكم
فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه

بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا
وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه
ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت
انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها
موسى بالذي فلق البحر وانزل التوراة ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل
جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى عليه السلام ساجدا يبكي وقال يا رب
ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل
ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي
فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم
فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون
الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم
فانطبقت عليهم واوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي
لو اياي دعوا مرة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا
موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله من المنتصرين
من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه
فامتنع قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب
على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وي مفصولة عن كان وهي كلمة تنبه
على الخطأ وتندم ومعناه ان القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل
ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين
لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال وكان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر
يعش عيش ضر وحكى الفراء ان امراة قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكانه وراء البيت

وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم انه لا يفلح الكافرون ويجوز ان تكون
الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي كقوله ويك عنتر اقدم وانه بمعنى لانه واللام
لبيان المقول لاجله هذا القول او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن
الناس من يقف على وي ويبتدئ كانه ومنهم من يقف على ويك وقرأ الاعمش لولا من الله علينا وقرئ
لخسف بنا وفيه ضمير الله ولانخسف بنا كقولك انقطع به وتخسف بنا تلك تعظيم لها وتفخيم لشانها
يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك
ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون
وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها
وعن الفضيل انه قراها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها
حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله ان فرعون
علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار
الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر معناه فلا يجزون
فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين
لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون
وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة
وهو معنى قوله فلا يجزى الا مثلها فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني
ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف ليثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف ورادك بعد الموت
الى معاد اي معاد وانى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة
ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شان
ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله
وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكان الله وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر

به منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق
الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم فنزل جبريل فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه
فان قلت ـــ كيف اتصل قوله قل ربي اعلم بما قبله قلت ـــ لما وعد رسوله
الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب
في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم فان قلت ـــ
قوله الا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه قلت ـــ هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل
وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة
من ربك القي اليك وقرئ يصدنك من اصده بمعنى صده وهي في لغة كلب وقال اناس اصدوا الناس
بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزاله واذ تضاف
الى اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين
ونحو ذلك من باب التهييج الذي يهيج ... الا وجهه الا اياه والوجه يعبر به عن الذات
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا ان كل شيء
هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ه

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات
ولكن بمضامين الجمل الا ترى انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا
عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت
الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته
عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك فان قلت ـــ
فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية قلت ـــ هو في قوله

الحسبان قوة احد النقيضين والشك الوقوف بينهما والعلم القطع على احدهما ه

أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تقدير أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا
فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك
الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان
تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فإن قلت
أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ قلت كما تقول
خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت
مخافة الشر وضربته للتأديب تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت
ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف
من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ
وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ومصابرة الكفار على أذاهم
وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا
القول بالإيمان أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم
وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في
الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن
تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وروي أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله
وقيل ناس أسلموا بمكة فكتب إليهم المهاجرون لا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا وا
فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها إليهم فخرجوا فتبعهم المشركون
فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله سيد الشهداء مهجع

وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع عليه أبواه وامرأته ولقد فتنا موصول بأحسب
أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني أن أتباع الأنبياء قبلهم قد أصابهم
من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي قاتل معه ربيون
كثير فما وهنوا لما أصابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع
المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه
من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الإيمان وليعلمن
الكاذبين فيه فإن قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه
معدوما ولا يعلمه موجودا إلا إذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب
ويجوز أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وعن
علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الإعلام أي وليعرفنهم الناس من هم أو ليسمنهم بعلامة
يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها أن يسبقونا أن يفوتونا
يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به أنفسهم ولكنهم لغفلتهم
وقلة فكرهم في العاقبة وإصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره
وما هم بمعجزين في الأرض ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون فإن قلت
أين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد المفعولين
كقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب
فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذاك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه
لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا
فحذف المخصوص بالذم لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والجزاء
مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر
فإما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله من كان يرجو
لقاء الله

لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فإن أجل الله لآت وهو الموت
لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى
وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية
وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها فإن قلت
فإن أجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال
الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله
فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة
قريب إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه
فإنما يجاهد لها لأن منفعة ذلك راجعة إليها وإنما أمر الله به ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم
وعن طاعتهم إما أن يريد قوما مسلمين صالحين قد أساؤوا في بعض أعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم
فهو يكفرها عنهم أي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون أي
أحسن جزاء أعمالهم وإما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله تعالى يكفر سيئاتهم بأن
يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام
ووصى حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما تقول أمرته
بأن يفعل ومنه بيت الإصلاح وذبيانية وصت بنيها بأن كذب القراطف والقروف
كما لو قال أمرتهم بأن ينتهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه أي وصاهم
بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته
ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وصيناه بإيتاء والديه
حسنا أو بإيلاء والديه حسنا وإحسانا ويجوز أن تجعل حسنا من باب قولك زيدا بإضمار
اضرب إذا رأيته متهيئا للضرب فتنصبه بإضمار أولهما أو افعل بهما لأن التوصية بهما دالة
عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك إذا حملاك عليه

وعلى هذا التفسير إن وقف على بوالديه وابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الأول
لا بد من إضمار القول معناه وقلنا إن جاهداك أيها الإنسان ما ليس لك به علم أي لا علم لك بإلهيته
والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال لتشرك بي شيئا لا يصح أن يكون إلها ولا يستقيم
وصاه بوالديه وأمره بالإحسان إليهما ثم نهاه عن طاعتهما إذا أراداه على ما ذكر دل
على أن كل حق وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
ثم قال إلي مرجعكم من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان أحدهما أن الجزاء
إلي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا
كما أني لا أمنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة
في الدين بذكر المرجع والوعيد روي أن سعد بن أبي وقاص الزهري حين أسلم قالت أمه وهي
حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت
من الضح والريح وإن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وكان أحب ولدها
إليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه
فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الأحقاف فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يداريها ويترضاها بالإحسان وروي أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك
أنه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام
أخواه لأمه أسماء بنت مخربة امرأة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له إن من دين محمد
صلى الله عليه وسلم صلة الأرحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي
بيتا حتى تراك وهي أشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار
عمر فقال هما يخدعانك ولك علي أن أقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر فقال
عمر أما إذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فإن رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا
إلى البيداء قال أبو جهل إن ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فأخذاه

فشدّاه وثاقا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به إلى أمه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع
عن دين محمد صلى الله عليه وسلم في الصالحين في جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين
وهو متمنى أنبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين
وقال في إبراهيم عليه وإنه في الآخرة لمن الصالحين أو في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا
نحو قوله ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين الآية هم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم
فإذا مسّهم أذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الإيمان
كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر وكما يجب أن يكون عذاب الله صارفا وإذا
نصر الله المؤمنين وغنّمهم اعترضوهم وقالوا إنا كنا معكم أي مشايعين لكم في دينكم
ثابتين عليه بثباتكم ما قدر أحد أن يفتننا فأعطونا نصيبا من المغنم ثم أخبر سبحانه أنه أعلم
بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق
وهذا إطلاع منه للمؤمنين على ما أبطنوه ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين وقرئ ليقولن
بفتح اللام أمروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وأمروا
أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول
أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش
كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فإن عسى كان ذلك فإنا نتحمل عنكم
الإثم وترى في المتسمين بالإسلام من يستن بأولئك فيقول لآخر إذا أراد تشجيعه على ارتكاب
بعض العظائم افعل هذا وإثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة
وجهلتهم ومن ذلك ما يحكى أن أبا جعفر المنصور رفع إليه بعض أهل الحشو حوائجه فلما قضاها
قال يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد
إياك وهؤلاء فإنهم قطاع الطريق في المأمن فإن قلت كيف سماهم كاذبين وإنما ضمنوا
شيئا علم الله أنهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا

لا حين ضمن ولا حين يحشر لأنه في قائل من لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على
ما هو عليه قلت شبّه الله حالهم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم إلى أن يفوا به
فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر
عنه ويجوز أن يريد أنهم كاذبون لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين
يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن أثقالهم أي أثقال أنفسهم وأثقالا أخرى يعني أثقالا
أخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وليسألن
سؤال تقريع عما كانوا يفترون أي يختلقون من الأكاذيب والأباطيل وقرئ
من خطيئاتهم كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث
في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة
فإن قلت هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة قلت ما أورده الله أحكم لأنه
لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه
كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب
لفظا وأملأ بالفائدة وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام
من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان
ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكبر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره
فإن قلت فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام قلت لأن تكرير اللفظ
الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة إلا إذا وقع لأجل غرض ينتحيه
المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك والطوفان ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة
من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما قال العجاج وعمّ طوفان الظلام الأثأبا أصحاب السفينة
كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافث
ونساؤهم وعن محمد بن إسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي عليه

كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة والضمير في وجعلناها للسفينة أو للحادثة
والقصة نصب إبراهيم بإضمار اذكر وأبدل عنه إذ بدل الاشتمال لأن الأحيان تشتمل على ما فيها
أو هو معطوف على نوحا وإذ ظرف لأرسلنا يعني أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا
صلح فيه لأن يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ إبراهيم النخعي
وأبو حنيفة رحمهما الله وإبراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين إبراهيم إن كنتم تعلمون
يعني إن كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم أو إن نظرتم بعين الدراية
المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير
في خلق وتخلّقون من تخلّق بمعنى تكذّب وتخرّص وقرئ أفكا وفيه وجهان أن يكون مصدرا
نحو كذب ولعب والإفك مخفف عنه كالكذب واللعب من أصلهما وأن يكون صفة على فَعِل أي
خلقا أفكا أي ذا إفك وباطل واختلاقهم الإفك تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله
وشفعاء إليه أو سمى الأصنام إفكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للإفك فإن قلت
لم نكّر الرزق ثم عرّفه قلت لأنه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق
فابتغوا عند الله الرزق كله فإنه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره إليه ترجعون وقرئ
بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه وإن تكذبوني فلا تضرونني
بتكذيبكم فإن الرسل قبلي قد كذبتهم أممهم وما ضروهم وإنما ضروا أنفسهم حيث
حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذي
زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وإن كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الأنبياء
أسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه
الآية والآيات التي بعدها إلى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم
صلوات الله عليه وعلى نبينا لقومه وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها فإن قلت إذا كانت من قول إبراهيم فما المراد

بالأمم قبله قلت قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة في معنى أمم
جمة مكذبة ولقد عاش إدريس ألف سنة في قومه إلى أن رفع إلى السماء وآمن به ألف إنسان
منهم على عدد سنيه وأعقابهم على التكذيب فإن قلت فما تصنع بقوله قل سيروا
في الأرض قلت هي حكاية كلام الله حكاه إبراهيم عليه السلام لقومه
كما يحكي رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج في أكثر القرآن فإن قلت
فإذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة إبراهيم والجملة أو الجمل الاعتراضية
لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ألا تراك لا تقول مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله
قلت إيراد قصة إبراهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأن تكون مسلاة له ومتفرجا بأن أباه إبراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من
شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض بقوله وإن تكذبوا على معنى إنكم يا معشر قريش إن
تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها لأن قوله فقد كذب أمم من قبلكم
لا بد من تناوله لأمة إبراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات
الواقعة عقيبها من ذيولها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك
وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه قرئ يروا
بالياء والتاء ويبدئ ويبدأ وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة
عليه وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف
بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الإنشاء ونحوه قولك ما زلت أوثق
فلانا وأستخلفه على من أخلفه فإن قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد له
من معطوف عليه فما هو قلت هو جملة قوله أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك
وأستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت أوثق فلانا ذلك يرجع إلى ما يرجع إليه هو في قوله
وهو أهون عليه من معنى يعيد دل بقوله النشأة الآخرة على أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما

إنشاءه أي ابتداءه واختراعه وإخراجه من العدم إلى الوجود لأنهما واحدة منهما الآن الآخرة
إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك وقرئ النشاءة والنشأة كالرأفة والرآفة
فإن قلت ما معنى الإفصاح باسمه مع إيقاعه مبتدأ في قوله ثم الله ينشئ النشأة اي ثم الله ينشئ
الآخرة بعد إضماره في قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ
النشأة الآخرة قلت الكلام معهم كان واقعا في الإعادة وفيها كانت تصطك
الركب فلما قررهم في الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء فإذا صح الذي
كان الله لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الإبداء فهو الذي وجب أن لا تعجزه الإعادة
فكأنه قال ثم ذلك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة
والتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء
رحمته وتعلق المشيئة مطلق مبين في مواضع من القرآن وهو من يشاء تعذيبه من الكافر
والفاسق إذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون وما أنتم
بمعجزين ربكم أي لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه في الأرض الفسيحة ولا
في السماء التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها كقوله إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار
السموات والأرض فانفذوا وقيل ولا من في السماء كما قال حسان أمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء ويحتمل أن يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الأرض اي ومن يمدحه
وأعماقها أو علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله تعالى ولو كنتم في بروج
مشيدة أو لا تعجزون أمره الجاري في السماء والأرض أن يجري عليكم فيصيبكم
ببلاء يظهر من الأرض وينزل من السماء بآيات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه
ومعجزاته ولقائه والبعث يئسوا من رحمتي وعيدا أي ييأسون يوم القيامة كقوله
ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون أي هو وصف حالهم لأن المؤمن إنما يكون راجيا خاشيا
فأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف أو شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم

[illegible]

بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة أن الله ذم قوما هانوا عليه فقال أولئك يئسوا من رحمتي وقال
إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من روح الله صح ولا من رحمته وأن لا يأمن عذابه وعقابه إذ صفة المؤمن أن يكون
راجيا إلى الله خائفا وقرئ جواب قومه بالنصب والرفع قالوا قال بعضهم لبعض أو قال واحد
منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين فروي أنه لم ينتفع في ذلك
اليوم بالنار يعني يوم ألقي إبراهيم في النار وذلك لذهاب حرها وقرئ على النصب بغير إضافة وبإضافة اي مودة
وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على
عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم
وتصادقهم وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ إلهه هواه أي اتخذتم الأوثان سبب المودة
بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله
تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان أن يكون
خبرا لأن على أن ما موصولة وأن يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى أن الأوثان مودة بينكم
أي مودودة أو سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الإضافة كما قرئ لقد تقطع
بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود أوثانا إنما مودة بينكم في الحياة الدنيا أي
إنما تتوادون عليها أو تودونها في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن ويتلاعن العبدة صح
والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة والأصنام كقوله ويكونون عليهم ضدا كان لوط
عليه السلام ابن أخت إبراهيم وهو أول من آمن به حين رأى النار لم تحرقه وقال إني مهاجر
أي مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبي
هجرة ولإبراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس
وسبعين سنة إلى ربي إلى حيث أمرني بالهجرة إليه إنه هو العزيز الذي يمنعني من أعدائي صح الذي
الحكيم الذي لا يأمرني إلا بما هو مصلحتي أجره الثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر اي في قوله كما صليت على إبراهيم
والذرية الطيبة والنبوة وأن أهل الملل كلهم يتولونه فإن قلت ما بال إسمعيل عليه

لم يذكر وذكر إسحق وعقبه قلت قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب فكفى الدليل لشهرة أمره وعلو قدره فإن قلت ما المراد
بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته
من الكتب الأربعة التي هي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن ولوطا معطوف
على إبراهيم أو على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم بها اي ارسلنا لوطا
من أحد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت
فاحشة فقيل لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لإفراط قبحها حتى أقدم
عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ
إنكم بغير استفهام في الأول دون الثاني قال أبو عبيد وجدته في الإمام بحرف
واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الأنفس
وأخذ الأموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل بإتيان ما ليس
بحرث والمنكر عن ابن عباس هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك خذف بالحصى رمى بها من بين اصبعيه
والسواك بين الناس وحل الأزرار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة كانوا يتحابقون الواحد زر وعرى
وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فإظهارها
أقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد إلا
ما دام فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يبق ناديا إن كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول
العذاب بما كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها
ولأنهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا ابتدأوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأراد لوط عليه أن يشتد غضب الله
عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما
إسحق ويعقوب وإضافة مهلكوا إضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم

[illegible]

التي قيل فيها أجور من قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه أن الظلم قد استمر منهم إيجاده في
الأيام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وألوان معاصيهم إن فيها لوطا ليس إخبارا لهم
بكونه فيها وإنما هو جدال في شأنه لأنهم لما عللوا إهلاك أهلها بظلمهم اعترض عليهم بأن فيها
من هو بريء من الظلم وأراد بالجدال إظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لأخيه والتشمر
في نصرته وحياطته والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن أن يحوط
المؤمن الآخر أي لا يحفظه أي لجوابهم بأنهم أعلم منه بمن فيها يعنون نحن أعلم منك وأخبر بحال لوط وحال قومه
وامتيازه منهم الامتياز البين وأنه لا يستأهل ما يستأهلون فخفض على نفسك وهون
عليك الخطب وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك أن صلة أكدت وجود الفعلين
مترتبا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا في جزء واحد من
الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق
بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع
والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا إذا كان مطيقا له
والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا
في العجز والقدرة الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس إذا اضطرب لما يلحق
المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا منها من القرية آية
بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الأسود على وجه الأرض وقيل
الخبر عما صنع بهم لقوم يعقلون يتعلق بتركنا أو بينة وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة
فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الإيمان كما يؤمر الكافر هي من السابقة
بالشرعيات على إرادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف والرجفة الزلزلة الشديدة
ومن الصيحة لأن القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم وأرضهم أو في ديارهم
فاكتفى بالواحد لأنه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا منصوب بإضمار أهلكنا

لان قوله فاتخذتم الى حقه يدل عليه لانه في معنى لما ملكا وقد بين لكم ذلك يعني ما وصفه
من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في
اسفارهم فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر ولكنهم لم يفعلوا
او كانوا مستبصرين ان العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا
سابقين فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل
ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون
الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في
الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت فان قلت ما معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل احد
يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ
هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت
وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون
او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه
في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن
بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص
او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك
اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون قرئ يدعون
بالياء والتاء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز
الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة
اصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة
وتدبير كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب
والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها
وحسنها

الاوهن الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت صح

وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار
حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك
وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل
بطاعته واجتنب سخطه بالحق اي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكونا مساكن عباده
وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه قوله
تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا الصلوة
تكون لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها فان قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه
صلوته قلت الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها
مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب
والجوارح فقد روي عن حاتم كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري و
ملك الموت من فوقي واصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلوة
التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنه من لم تامره صلوته بالمعروف
وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله الا بعدا وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلوته
عن الفحشاء والمنكر فليست صلوته بصلوة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة
جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه وروي ان فتى من الانصار
كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته
ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال فان المراعي للصلوة لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء
والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي ان لا يخرج
واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير
وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله اكبر

التشبيه

واللفظ صح

اذ اللفظ مطلق لا عام

يريد وللصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله
وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلوة اكبر لانها ذكر الله او ولذكر الله
عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فكان اولى بان ينهى من اللطف
الذي في الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله
يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن
وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي هي احسن
الا الذين ظلموا فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق
فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين ظلموا اي آذوا رسول الله وقيل الا الذين اثبتوا
الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة
المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان
اولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله آمنا بالذي انزل الينا
من جنس المجادلة التي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب
فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم
وان كان حقا لم تكذبوهم ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب اي انزلناه
مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم
وقيل وكما انزلنا الكتب الى من قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم
الكتاب هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء من اهل مكة وقيل اراد بالذين
آتيناهم الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من اهل الكتاب ومن هؤلاء ممن
في عهده منهم وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا المتوغلون في
الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وانت امي ما عرفك احد قط

وقولوا صح

كان صح

بتلاوة كتاب ولا خط اذن لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون
من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به او لارتاب
مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده فان قلت لم سماهم مبطلين ولو لم يكن
اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق
في قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا
به وهو امي بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا
اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا
اميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ
كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على ان المنزل ليس بمعجز
وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا
به وهو غير امي فان قلت ما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين وهي
الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك
اذا قلت في الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى
كتبته فكذلك النفي بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص
القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا
بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء
في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون الا المتوغلون
في الظلم المكابرون قرئ آية وآيات ارادوا هلا انزل عليه آية مثل ناقة صالح
ومائدة عيسى ونحو ذلك انما الآيات عند الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما تقترحونه
لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي ان اتخير
على الله آياته فاقول انزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي ان الغرض من الآية ثبوت الدلالة

والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال أولم يكفهم آية مغنية عن سائر
الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي يدوم تلاوته عليهم في كل
مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها
وتكون في مكان دون مكان إن في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان
إلى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل أولم يكفهم
يعني اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك
وقيل إن ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول
اليهود فلما أن نظر إليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا
عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا كفى بالله بيني وبينكم شهيدا
أني قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم وأنكم قابلتموني بالجحد والتكذيب
يعلم ما في السموات والأرض فهو مطلع على أمري وأمركم وعالم بحقي وباطلكم
والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما يعبدون من دون الله وكفروا بالله وآياته
أولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان
إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في
ضلال مبين وكقول حسان أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
وروي أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت
كان استعجالهم العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحارث هو الذي قال
اللهم أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الأيكة فأسقط علينا كسفا من السماء
ولولا أجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك
الأجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا والمراد بالأجل الآخرة لما روي أن الله عز وجلا
وعد رسول الله أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيمة

صح غيره

وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم لمحيطة أي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب
أو هي محيطة بهم في الدنيا لأن المعاصي التي توجبها محيطة بهم أو لأنها مآلهم ومرجعهم لا محالة
فكأنها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر أي يوم يغشاهم العذاب كان
كيت وكيت من فوقهم ومن تحت أرجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
ويقول قرئ بالنون والياء ذوقوا ما كنتم تعملون أي جزاءه معنى الآية أن المؤمن إذا لم يتسهل
له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يجب فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم
قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا ولعمري إن البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت
الكثير ولقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيما درنا وداروا أعون على قهر النفس
وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتقلب وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد
للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للأمر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله
فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر وأوزع من الشكر وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة
وكان رفيق إبراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله
واسعة فتهاجروا فيها وإنما كان ذلك لأن أمر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة
فإياي فاعبدون في المتكلم نحو إياه ضربته في الغائب وإياك عضتك في المخاطب
والتقدير فإياي فاعبدوا فاعبدون فإن قلت ما معنى الفاء في فاعبدون
وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضي
واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط
وعوض من حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص لما
أمر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها أوفق البلاد و
أن شيعه بقوله كل نفس ذائقة الموت أي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق

اى بعدت

طعم المذوق ومعناه أنكم ميتون فواصلون إلى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له
بد من التزود لها والاستعداد بجهده لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا لنثوينهم
من الثواء وهو النزول للإقامة يقال ثوى في المنزل وأثوى غيره وثوى غير متعد فإذا
تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب وأذهبته والوجه في
تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف إما إجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم أو حذف الجار وإيصال الفعل
أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا
على مفارقة الأوطان والهجرة لأجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات
وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك إلا على الله لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم
بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليس لي فيها
معيشة فنزلت وكأين كل نفس دبت على وجه الأرض عاقلة أو لم تعقل لا تحمل رزقها
لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها وإياكم أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف
إلا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم
وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل
وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره إنما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ
إلا الإنسان والنملة والفأرة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال
للعقعق مخابي إلا أنه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في
ضمائركم ولئن سألتهم الضمير في سألتهم لأهل مكة فأنى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله
وأن لا يشركوا به مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض قدرا الرزق وقتره بمعنى
إذا ضيقه فإن قلت الذي رجع إليه الضمير في قوله ويقدر له هو من يشاء فكان بسط
الرزق وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين جميعا أن يريد ويقدر لمن يشاء
فوضع الضمير موضع من يشاء لأن من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وأن يريد

فاشتركا في الإبهام

والثوى صح

المبهم نحو قولك خلفك وأمامك فيقال جلست خلفك ولا يقال جلست المسجد لكون الظرف موقتا وإنما جاز هنا تشبيها للموقت بالمبهم

أي كيف يصرفون عن نفي الإشراك وهذا حث على الإيمان لأن نفي الإشراك بالإيمان

تعاقب الأمرين على واحد على حسب المصلحة إن الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم
استحمد رسول الله على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الأنداد
والشركاء عنه ولم يكن إقرارا عاطلا كإقرار المشركين وعلى أنهم أقروا بما هو حجة
عليهم حيث نسبوا النعمة إلى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل أكثرهم لا يعقلون
ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد
بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم هذه فيها إزراء للدنيا وتصغير لأمرها
وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن أهلها
وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وإن الدار الآخرة لهي الحيوان أي ليس فيها
إلا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حيي
وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه
حياة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى
ليس في بناء الحياة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان
واللهبان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بنائه دال على معنى الحركة
مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا
يعلمون فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها فإن قلت بم اتصل قوله فإذا ركبوا
قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به
من الشرك والعناد فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة
من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون معه إلها آخر وفي تسميتهم
مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم إلى البر وأمنوا عادوا إلى حال الشرك واللام
في ليكفروا محتملة أن تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر والمعنى أنهم يعودون
إلى شركهم ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير

وما هذه الحيوة الدنيا

عنها صح

وقياسه حييان لأن اشتقاقه من الحيوة وقد شذ قلب الياء واوا وترك الادغام

على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله
في إنجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التمتع والتلذذ وإن تكون
لام الأمر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون
بصير فإن قلت كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة ما شاؤوا
وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وأن ذلك الأمر
متسخط إلى غاية ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الأمر خطأ وأنه
يؤدي إلى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم
حردت عليه وقلت أنت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الأمر وكيف والآمر
بالشيء مريد له وأنت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فإذا قد أبيت قبول النصيحة مع
فأنت أهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك إذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك
كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون وأهل مكة قارون
آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة
ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها
من النعم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم افتراؤهم على الله كذبا زعمهم
أن لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه
تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول — تلعثم توقف
المتثبتون في الأمور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون إلى أن يصح لهم
صدقه أو كذبه أليس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله ألستم خير من ركب المطايا قال بعضهم — آخره: وأندى العالمين بطون راح
ولو كان استفهاما ما أعطاه الخليفة مائة من الإبل وحقيقته أن الهمزة همزة الإنكار
دخلت على النفي فرجع إلى معنى التقرير فهما وجهان أحدهما ألا يثوون في جهنم و
ألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب

والثاني ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا مثل هذه الجرأة أطلق
المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء
والشيطان وأعداء الدين فينا في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا
لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن أبي سليمان مع
الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما علم وفق
لما لا يعلم وقيل إن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم لمع المحسنين
لناصرهم ومعينهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له
من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية إلا قوله فسبحان الله حين تمسون وهي ستون وقيل تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم القراءة المشهورة الكثيرة
غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والأرض أرض العرب لأن الأرض المعهودة عند العرب
أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام أو أراد أرضهم على
إنابة اللام مناب المضاف إليه أي في أدنى أرضهم إلى عدوهم قال مجاهد هي أرض الجزيرة
وهي أدنى أرض الروم إلى أرض فارس وعن ابن عباس الأردن وفلسطين وقرئ في
أداني الأرض والبضع ما بين الثلاث إلى العشر عن الأصمعي وقيل احتربت الروم
وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح
المشركون وشمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر
إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله
أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت يا أبا فصيل — الفصيل البكر
اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما

وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث
إلى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبي
من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك
عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي
وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة
الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه
إلا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والحلب
والجلب والجلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم
غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ
المسلمون في جهاد الروم وإضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في إحداهما إضافة
المصدر إلى المفعول وفي الثانية إضافته إلى الفاعل ومثالها محرم عليكم إخراجهم
ولن يخلف الله وعده فإن قلت كيف صحت المناحبة وإنما هي قمار قلت
عن قتادة رحمه الله أنه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد
رحمهما الله أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب
بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبي بن خلف
من قبل ومن بعد أي في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل
من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين
يعني أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداولها
بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل
قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله
من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم

من كفار مكة وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم
وقيل نصر الله أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء
شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للإسلام وعن أبي سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي
هذا اليوم نصر الله المؤمنين وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصركم أخرى وعد الله
مصدر مؤكد كقولك لك علي ألف درهم عرفا لأن معناه أعترف لك بها اعترافا ووعد الله
ذلك وعدا لأن ما سبقه في معنى وعد يعلمون ذمهم الله بأنهم عقلاء في أمور الدنيا بله في أمر — وهو قوله سيغلبون
الآخرة وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق أحدهم
أنه يأخذ الدرهم فينقره بأصبعه فيعلم أردي هو أم جيد وقوله يعلمون بدل من قوله
لا يعلمون وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده
ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله
ظاهرا من الحياة الدنيا يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع
بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها
إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من
جملة ظواهرها وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الأولى وأن
يكون تكريرا للأولى وغافلون خبر الأولى وأية كانت فذكرها مناد على
أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع في أنفسهم
يحتمل أن يكون ظرفا كأنه قيل أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر
والتفكر لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده
في قلبك وأضمره في نفسك وأن يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الأمر وأجال فيه
فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف ومعناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل — ما خلق الله السموات والأرض
معناه فيعلموا لأن في الكلام دليلا عليه إلا بالحق وأجل مسمى أي ما خلقها باطلا وعبثا

بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة
وبتقدير اجل مسمى لابد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب
الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم
غير راجعين اليه عبثا والباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر
واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو متلبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما
فكذلك المعنى ما خلقها الا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به فان قلت اذا جعلت في انفسهم
صلة للتفكر فما معناه قلت معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب
اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فتدبروا
ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال
وانه لابد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان
احسانا وعلى الاساءة اساءة حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار
على الحكمة والتدبير وانه لابد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم
الاجل المسمى اولم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد
وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم وانهم كانوا اشد منهم قوة
واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث
المثيرة وقالوا سميت ثورا لاثارتها الارض وبقرة لانها تبقرها اي تشقها وعمروها
يعني اولئك المدمرون اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل مكة اهل واد
غير ذي زرع ما لهم اثارة في ارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم
وبضعف حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة
وهم ايضا ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة اي من عاد وثمود واضرابهم من
هذا القبيل كقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وان كان هذا ابلغ لانه

خالق القوى والقدر فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا
انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تانيث الاسوأ وهو
الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم
السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات في الآخرة
وهي جهنم التي اعدت للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون ان بمعنى اي
لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى
وكتب وما اشبه ذلك ووجه آخر وهو ان يكون اساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي
اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو
ارادة الابهام ثم اليه ترجعون الى ثوابه وعقابه وقرئ بالياء والتاء والابلاس
ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وايس من ان يحتج ومنه الناقة — اي اذا عجز عن النطق
المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته من شركائهم من الذين
عبدوهم من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين اي يكفرون بالهتهم ويجحدونها — بالاهتهم
او وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعاؤا في المصحف بواو قبل الالف
كما كتب علماؤا بني اسرائيل وكذلك السوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة
الحرف الذي منه حركتها الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن
الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل السافلين وعن قتادة
فرقة لا اجتماع بعدها في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه
والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة في
روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل
له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد
يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤوسهم

ومن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي
آخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا
حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط — الخوص ورق النخل شبهها بها لرقتها
فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسالت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي
ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش
فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا
محضرون لا يغيبون عنه لا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم لما ذكر الوعد
والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي
هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة
وقيل الصلوة وقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية
تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر
وتظهرون صلوة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد
في السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض
ان يحمدوه فان قلت لم ذهب الحسن الى ان الآية مدنية قلت لانه كان
يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الاكثر
ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
اقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره
ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية
وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون
ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا
تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا

ادلعلمها صادر صدر التذكرة لابن هشام من حبوه

بمعنى يخرج الحي من الميت الطائر من البيضة والميت من الحي البيضة من الطائر واحياء الارض
اخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون
والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت
من الحي واخراج الحي من الميت واحياء الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون
بفتح التاء خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم منه واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجاتم وقت كونكم
بشرا منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء من انفسكم ازواجا لان حواء
خلقت من ضلع آدم والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها
لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من — الضلع واحد وهو عظم في الجنب
التنافر وجعل بينكم المودة والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء
ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد — سورة الروم
كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه
واطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة
من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان الالسنة اللغات او اجناس النطق واشكاله — الفرك بغض احد الزوجين للآخر
خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة
ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق
واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف
والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة
وربما رايت توامين يشتبهان في الحلية فيعروك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة
بين الحلى وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة التي
لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون وقرئ للعالمين بكسر اللام وكسرها ويشهد للكسر
قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم بالليل والنهار

وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين بالقرينين الاخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القائل وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي اثير اي اول كل شيء خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له فان قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راءون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وقرئ وينزل بالتشديد ومن آياته قيام السموات والارض واستمساكها بغير عمد بامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامته لهما وارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت به ابن الطود او هو اسرع يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا يبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقوله دعوة من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا

اي اول كل شيء

دعوت

من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي فان قلت بم تعلق من الارض ابالفعل ام بالمصدر قلت هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل فان قلت ما الفرق بين اذا واذا قلت الاولى للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بفتح التاء وضمها قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو اهون فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شيء كانت اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا اخطأ في بعض ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت عليه فان قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون والمراد به الاعادة قلت معناه وان يعيده اهون عليه فان قلت لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما هاهنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى فان قلت ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كانها فضلت على قيام السموات والارض بامره ثم هونت بالقياس الى الانشاء قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكدا من ان ينتقل في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل

عليه

الانشاء

جائز له ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها في التاتي والتسهل فكانت اهون منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم اي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى في قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من انفسكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء قلت الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اي مثل هذا التفصيل نفصل الآيات اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بل اتبع الذين ظلموا اي اشركوا كقوله ان الشرك لظلم عظيم بغير علم اي اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما

ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به حنيفا حال من المامور او من الدين فطرت الله اي الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الجن والانس ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز مثلها في ليكونوا لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم

فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرئ بالياء وليتمتعوا ام انزلنا عليهم سلطانا اي حجة وتكلمه مجاز كما تقول
كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال
فهو يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان يكون
موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون
المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه
يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان تصبهم سيئة اي
بلاء من جدب او ضيق او مرض والسبب فيهما شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا
انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا
بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته فآت ذا القربى حقه صلة الرحم والمسكين وابن السبيل
نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله عليه بهذه الآية في وجوب النفقة
للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة بالقرابة
الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت
كيف تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جيء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم
بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك ذلك خير للذين يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجه ذاته
او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
او يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة
وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم
من زكاة تريدون وجه الله اي صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء وسمعة فاولئك
هم المضعفون ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة
واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل

فالاختصاص الاول بحسب المعاني اليه والثاني بحسب المعاني

او يهدي له ليعوضه اكثر مما وهب واهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب
على تلك الزيادة وقالوا الربا رباوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي
ليس بحرام ان يستدعي بهبته او بهديته اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وما آتيتم
من ربا يعني وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم
كقوله ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال
للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح
لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر
وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه
وهذا اسهل ماخذا والاول املأ بالفائدة الله مبتدأ وخبره الذي خلقكم اي الله هو
فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم
الذين اتخذتموهم انداد له من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم
اليه ثم استبعد حالهم من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة للمبتدأ والخبر
هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ لان معناه من افعاله ومن الاولى
والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد
في البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات
ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة
ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس اجدبت
الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن
ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار
وقرئ في البر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي البحر

او يقتل اخيه ابن آدم اخاه

بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر
والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون
قلت اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله تعالى قد افسد اسباب دنياهم ومحقها
ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه
واما على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله
وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض
لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حين امرهم بان يسيروا
فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين
على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك القيم
البليغ الاستقامة الذي لا يتاتى فيه عوج من الله اما ان يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل
ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده هو
بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون يتصدعون
اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون من كفر فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية
وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة فلانفسهم يمهدون
اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه
ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض ما يؤذي الراقد ويجوز ان يريد
فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين
للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح
ترجع الى المؤمن لا تجاوزه ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له من فضله ما يتفضل عليهم بعد توفية
الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له

او

او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب وتكرير
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح
وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس الرياح هي الجنوب والشمال
والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها
رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في ارسالها وانه ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة
الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهواء
وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب
ولا تكون مواتية فلا بد من انشاء الشفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا
من فضله يعني تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها فان قلت بم يتعلق وليذيقكم
قلت فيه وجهان احدهما ان يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم
وليذيقكم وان يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها اختصر الطريق
الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكرا لعز بعثه وقد اخلى الكلام اولا من
ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع من شانهم وتاهيل لكرامة
سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم مستوجبين
عليه ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدئ
علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه
الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين
فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اي قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله في التارتين
جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء وباصابة العباد اصابة بلادهم
وارضهم من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها

ومعنى التوكيد فيها الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم و تمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك قرئ اثر وآثار على الوحدة والجمع وقرأ ابو حيوة وغيره كيف تحيى اى الرحمة ان ذلك يعنى ان القادر الذى يحيى الارض بعد موتها هو الذى يحيى الناس بعد موتهم وهو على كل شىء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء فرآوه وقرأوا اثر رحمة الله لان رحمة الله هى الغيث واثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمى به ما ينبت ولئن هى اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين اعنى جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم فى جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا وقرئ الريح التى اصفر لها النبات يجوز ان يكون حرورا و حرجفا وكلتاهما مما يصوح به النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر وقرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى فى القراءة لما روى ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأنى من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الانسان من عجل يعنى ان اساس امركم وما عليه جبلتكم ومنتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا اى ابتدأناكم فى اول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشو حتى بلغتم وقت البلوغ والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف لقوله من ماء مهين وهذا الترديد فى

والطامع من الخبوب الخروج من وسع العادة وكثيتهم

وانما قال ليظلن بمعنى انه معنى المستقبل من حيث انه جواب الشرط معنى لانه لو كان ماضيا لفظا ومعنى لما اقتصر فيه على اللام ولجئ بقد

فى الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العليم القدير الساعة القيامة سميت بذلك لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول فى ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وارادوا لبثهم فى الدنيا او فى القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث وفى الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا يعلم اهى اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يؤفكون اى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق فى الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون فى الاغترار بما تبين لهم الآن انه ما كان الا ساعة القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون فى كتاب الله فى اللوح او فى علم الله وقضائه او فيما كتبه اى اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه فان قلت ما هذه الفاء وما حقيقتها قلت هى التى فى قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اى فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك لا ينفع قرئ بالياء والتاء يستعتبون من قولك استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اى ازيل غضبهم والغضب فى معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين فى بعض الآيات وغير معتبين فى بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين

التغيير القول الحاصل

قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جنى عليهم فهم عاتبون على الجانى غير راضين منه فان يستعتبوا الله اى يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته ولقد ضربنا للناس ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التى تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدى عليه ولا تغنى عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين اياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله فى تلك الصفة فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن ابى اسحق ويعقوب ولا يستحقنك اى لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع فى يومه وليلته

ذلك

ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب الحكيم ذى الحكمة او وصف بصفة الله تعالى على الاسناد المجازى ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن فى الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال من الآيات والعامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف للمحسنين للذين يعملون الحسنات وهى التى ذكرها من اقام الصلوة

وايتاء الزكوة والايقان بالآخرة ونظيره قول اوس الالمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا حكى عن الاصمعى انه سئل عن الالمعى فانشده ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل اعتداده بها لهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التى لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغى من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك وقيل نزلت فى النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشترى كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد صلى الله عليه وسلم يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشترى المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد صلى الله عليه وسلم من الصلوة والصيام وان تقاتل بين يديه وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذى يسكت وقيل الغناء مفسدة للقلب منفدة للمال مسخطة للرب فان قلت ما معنى اضافة اللهو الى الحديث قلت معناها التبيين وهى الاضافة بمعنى من وان يضاف الشىء الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشترى اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث المنكر كما جاء فى الحديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشترى بعض الحديث الذى هو اللهو منه وقوله يشترى اما من الشراء على ما روى من النضر من شراء كتب الاعاجم او من شراء القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اى استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ ليضل بضم الياء

اى على اسناد الشعر

قوله كان وكان كناية عن الحديث

قوله فيستملحون اى يستلذونه اياه

وفتحها وسبيل الله دين الإسلام أو القرآن فإن قلت ـــ القراءة بالفتح بينة لأن النضر
كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة
بالفتح قلت ـــ فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه
ويمده فإن المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني أن يوضع ليضل موضع ليُضل
من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فإن قلت ـــ ما معنى قوله
بغير علم قلت ـــ لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة
بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي
وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري وليضل والضمير
للسبيل لأنها مؤنثة كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا ولى مستكبرا
زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كأن في أذنيه
وقرا أي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فإن قلت ـــ ما محل الجملتين المصدرتين
بكأن قلت ـــ الأولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز أن يكونا استئنافين
والأصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن وعد الله حقا مصدران مؤكدان الأول
مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد
معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا وله لهم جنات
النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء و
البؤس من شاء وهو الحكيم لا يشاء إلا ما توجبه الحكمة والعدل ترونها الضمير فيها للسموات
وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح
تراني فإن قلت ـــ ما محلها من الإعراب قلت ـــ لا محل لها لأنها مستأنفة
أو هي في محل الجر صفة للعمد أي بغير عمد مرئية يعني أنه عمدها بعمد لا ترى وهي إمساكها بقدرته
هذا إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بأن هذه الأشياء

أي مستكبرا

العظيمة مما خلقه الله وأنشأه فأروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم
أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب
عليه السلام أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه
العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفي إذا كفيت
وقيل كان قاضيا في بني إسرائيل وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس لقمان
لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا أسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص أمره
في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار
الحكمة وعن ابن المسيب كان أسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا أسود غليظ
الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة
وعنه أنه قال لرجل ينظر إليه إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق وإن
كنت تراني أسود فقلبي أبيض وروي أن رجلا وقف عليه في مجلسه فقال ألست الذي ترعى معي في مكان
كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي أنه دخل على داود
وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت
فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق
ما سميت حكيما وروي أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج
اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب
فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها إذا طابا وأخبث ما فيها إذا خبثا وعن سعيد بن المسيب
أنه قال لأسود لا تحزن فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان
أن هي المفسرة لأن إيتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية
والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث
على الشكر غني غير محتاج إلى الشكر حميد حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد قيل كان اسم ابنه

لقمان بن باعور ... ألف
أي حكمة
بالحث

أنعم وقال الكلبي أشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى أسلما لظلم
عظيم لأن التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور أن تكون منه ظلم
لا يكتنه عظمه أي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو
في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفا فوق ضعف أي تتزايد ضعفها وتتضاعف لأن الحمل كلما ازداد
وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن أبي عمرو يقال وهن يوهن ووهن
يهن وقرئ وفصله أن اشكر تفسير لوصينا ما ليس لك به علم أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك
بي ما ليس بشيء يريد الأصنام كقوله ما يدعون من دونه من شيء معروفا صحابا أو مصاحبا معروفا
حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة واتبع سبيل من أناب إلي
يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما
في الدنيا ثم إلي مرجعك ومرجعهما فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا
وما يجب على الإنسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الأبوة وتعظيمه وما لهما من المواجب
التي لا يسوغ الإخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة وروي أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص
وأمه وفي القصة أنها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروي
أنه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت إلى الكفر فإن قلت ـــ هذا الكلام
كيف وقع في أثناء وصية لقمان قلت ـــ هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد
تأكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك فإن قلت ـــ قوله حملته أمه وهنا على وهن
وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت ـــ لما وصى بالوالدين
ذكر ما تكابده الأم وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة إيجابا
للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن قال له من أبر قال أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك وعن بعض العرب أنه حمل أمه إلى الحج
على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه أحمل أمي وهي الحمالة ترضعني الدرة والعلالة ولا يجازى والد فعاله

على
تفسير صح

فإن قلت ـــ ما معنى توقيت الفصال بالعامين قلت ـــ المعنى في توقيته بهذه المدة أنها
الغاية التي لا تتجاوز والأمر فيما دون العامين موكول إلى اجتهاد الأم إن علمت أنه يقوى على الفطام
فلها أن تفطمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم
الرضاعة وبه استشهد الشافعي على أن مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو
مذهب أبي يوسف ومحمد رحمهما الله وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فمدة الرضاع ثلاثون شهرا وعن
أبي حنيفة رحمه الله إن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعا وإن أكل أكلا
ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم وقرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن
نصب كان الضمير للهنة من الإساءة أو الإحسان أي إن كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل
فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي
يأت بها الله يوم القيامة فيحاسب بها عاملها إن الله لطيف يتوصل علمه إلى كل خفي خبير عالم بكنهه
وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وإنما أنث المثقال
لإضافته إلى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وروي أن ابن لقمان قال له أرأيت
الحبة تكون في مقل البحر أي مغاصه يعلمها الله فقال إن الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة
لأن الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الأرض وهي السجين تكتب
فيها أعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن إذا استقر
في وكنته وهو مقره ليلا واصبر على ما أصابك يجوز أن يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وأن يكون
خاصا بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم
الشر إن ذلك مما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع إيجاب وإلزام ومنه الحديث لا صيام
لمن لم يعزم الصيام من الليل أي لم يقطعه بالنية ألا ترى إلى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه إن الله
يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك
وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك إلا فعلت كذا إذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد

الهنة كناية عن المعاني كفلان في الأشخاص
أوله وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما

من عزم الأمور وهي تركه وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور
أي من مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز أن يكون مصدرا في معنى الفاعل أصله من عازمات الأمور
من قوله تعالى فإذا عزم الأمر كقولك جد الأمر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة
بقدم هذه الطاعات وأنها كانت مأمورا بها في سائر الأمم وأن الصلوة لم تزل عظيمة الشأن
سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الأديان كلها تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف
يقال أصعر خده وصعره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد
داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته
كما يفعل المتكبرون أراد ولا تمش تمرح مرحا أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا
ويجوز أن يريد لا تمش لأجل المرح والأشر أي لا يكن غرضك في المشي البطالة والأشر كما يمشي
كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا
واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب
وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة
في عمر رضي الله عنهما كان إذا مشى أسرع فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت
وقرئ واقصد بقطع الهمزة أي سدد في مشيك من أقصد الرامي إذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك
وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان إذا قصر به ووضع منه أنكر الأصوات
أوحشها من قولك شيء نكر إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار
مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه
أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الأذنين كما يكنى عن الأشياء المستقذرة
وقد عد في مساوي الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة ومن العرب
من لا يركب الحمار استنكافا وإن بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم
بالنهاق

بالنهاق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة وأن جعلوا
حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت
والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان فإن قلت لم وحد صوت الحمير
ولم يجمع قلت ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع
وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت
هذا الجنس فوجب توحيده ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك
وما في الأرض البحار والأنهار والمعادن والدواب وما لا يحصى وأسبغ قرئ بالسين
والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر
صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته فإن قلت ما النعمة قلت
كل نفع قصد به الإحسان والله خلق العالم كله نعمة لأنه إما حيوان وإما غير حيوان
فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث أن إيجاده حيا نعمة عليه لأنه لولا إيجاده
حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما أدى إلى الانتفاع وصححه فهو نعمة فإن قلت
لم كان خلق العالم مقصودا به الإحسان قلت لأنه لا يخلقه إلا لغرض وإلا كان
عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض راجع إليه من نفع لأنه غني غير محتاج إلى المنافع
فلم يبق إلا أن يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفعه فإن قلت فما معنى الظاهرة والباطنة
قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل أو لا يعلم أصلا فكم
في بدن الإنسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي إلى العلم بها وقد أكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة الإسلام
والنصرة على الأعداء والباطنة الإمداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة الإسلام والباطنة
الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة
وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل
والفهم وما أشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عليه السلام إلهي دلني على أخفى نعمتك على عبادك

فقال أخفى نعمتي عليهم النفس ويروى أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس
معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب
قرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومن يسلم بالتشديد يقال أسلم أمرك وسلم أمرك
إلى الله فإن قلت ما له عدي بإلى وقد عدي باللام في قوله ومن أسلم وجهه لله
قلت معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أي خالصا
له ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد
التوكل عليه والتفويض إليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال
المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة
من حبل متين مأمون انقطاعه وإلى الله عاقبة الأمور أي هي صائرة إليه فلا يحزنك
ويحزنك من حزن وأحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض من أحزنه ويحزنه
والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للإسلام فإن الله عز وجل دافع كيده في نحره
ومنتقم منه ومعاقبه على عمله إن الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم
زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه
باضطرار المضطر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من
الأجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب قل الحمد لله إلزام لهم
على إقرارهم بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر
وأن لا يعبد معه غيره ثم قال بل أكثرهم لا يعلمون أن ذلك يلزمهم وإذا نبهوا عليه
لم ينتبهوا إن الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وإن لم يحمدوه وقرئ والبحر بالنصب
عطفا على اسم أن وبالرفع عطفا على محل أن ومعمولها على ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وثبت
البحر ممدودا بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام
في حال كون البحر ممدودا بسبعة أبحر وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب

أن يحمل هذا على الوجه الأول وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء فإن قلت كان مقتضى
الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد قلت أغنى عن ذكر المداد قوله
يمده لأنه من قولك مد الدواة وأمدها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر
السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها أبدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الأرض
أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت
كلماته ونفدت الأقلام والمداد كقوله عز وعلا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي فإن قلت زعمت أن قوله والبحر يمده حال
في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال قلت هو كقوله وقد اغتدي
والطير في وكناتها وجئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها
حكم الظروف ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير للأرض فإن قلت لم قيل
من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت أريد تفصيل الشجر وتقصيها
شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بريت أقلاما فإن قلت
الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله
قلت معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما أنها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة
وقيل إن المشركين قالوا إن هذا يعنون الوحي كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد
وهذه الآية عند بعضهم مدنية فإنها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وإنما أمر اليهود وفد
قريش أن يقولوا لرسول الله ألست تتلو فيما أنزل عليك أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء
إن الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه
إلا كنفس واحدة إلا كخلقها وبعثها أي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع
لا يتفاوت وذلك أنه إنما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن لو شغله

شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك إن الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر
في حالة واحدة لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض فكذلك الخلق والبعث كل واحد
من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر
إلى آخر الشهر وعن الحسن الأجل المسمى يوم القيامة لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ دل أيضا
بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير
وحساب وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته فإن قلت يجري
لأجل مسمى ويجري إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة
إلا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما
ملائم لصحة الغرض لأن قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه وقولك يجري لأجل
مسمى تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة وجري القمر
مختص بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك الذي وصف من عجائب قدرته
وحكمته التي تعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون الله
إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الإلهية وأن من دونه باطل الإلهية وأن الله هو العلي الشأن
الكبير السلطان أو ذلك الذي أوحي إليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق
وأن إلها غيره باطل وأن الله هو العلي الكبير عن أن يشرك به وقرئ الفلك بضم اللام
وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض وبنعمات الله
بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون بنعمة الله بإحسانه ورحمته
صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال إن في ذلك لآيات لكل مؤمن
يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما
وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد متوسط في الكفر والظلم
خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار أو مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه

في البحر يعني أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط والمقتصد قليل نادر
وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد الله عليه في البحر والختر أشد الغدر ومنه قولهم إنك لا تمد لنا
شبرا من غدر إلا مددنا لك باعا من ختر قال وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر
لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة تجزي
عنك ولا تجزي عن أحد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال أجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزي
فيه فحذف والغرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن
سعيد بن جبير الغرة بالله أن يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل
ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا و
جعل الغرور غارا كما قيل جد جده أو أريد زينة الدنيا لأنها غرور فإن قلت
قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف
عليه قلت الأمر كذلك لأن الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو
وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر
وعلى الدين الجاهلي فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة
وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى التأكيد في لفظ
المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع
لمن فوقه من أجداده لأن الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك
روي أن رجلا من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها وإني قد ألقيت حباتي في الأرض وقد أبطأت
عنا السماء فمتى تمطر وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها أذكر أم أنثى وإني علمت
ما عملت أمس فما أعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم
مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب إياكم والكهانة

أي أكثرهم

فإن الكهانة تدعو إلى الشرك والشرك وأهله في النار وعن المنصور أنه أهمه معرفة مدة
عمره فرأى في منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر وأشار إليه بالأصابع الخمس فاستفتى
العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله تأويلها
أن مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه عنده علم الساعة
أي علم وقت مرساها وينزل الغيث في إبانه من غير تقديم ولا تأخير في بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الأرحام
أذكر أم أنثى أتام أم ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الأحوال وما تدري نفس برة أو فاجرة
ماذا تكسب غدا من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر
فعملت خيرا وما تدري نفس بأي أرض تموت وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها
وأقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثت
به ظنونها وروي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر
إليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني وسأل سليمان أن يحمله على
الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري إليه تعجبا منه
لأني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية
من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وإن أعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها
ولا شيء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان من معرفة
ما عداهما أبعد وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيث أي بتأنيث كل في قولهم كلتهن قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطي
من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر ٥

بسم الله الرحمن الرحيم الم على أنها اسم السورة مبتدأ خبره
تنزيل الكتاب وإن جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدأ محذوف

أو هو مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه أن يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه
اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه
منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله أم يقولون افتراه لأن قولهم هذا مفترى
إنكار لأن يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير أنه من الله
وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولا أن تنزيله من رب العالمين وأن ذلك ما لا ريب فيه ثم أضرب
من ذلك إلى قوله أم يقولون افتراه لأن أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة إنكارا لقولهم
وتعجيبا منه لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم أضرب عن الإنكار
إلى إثبات أنه الحق من ربك ونظيره أن يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها
أنواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاق التي لا يعرى
من وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص أنه احترز
من ذلك ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته فإن قلت كيف نفى أن يرتاب في
أنه من الله وقد أثبت ما هو أطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب
فيه أن لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله لأن نافي الريب وممبطه معه لا ينفك عنه وهو كونه
معجزا للبشر ومثله أبعد شيء من الريب وأما قولهم افتراه فإما قول متعنت مع علمه أنه
من الله لظهور الإعجاز له أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه
ما أتاهم من نذير من قبلك كقوله ما أنذر آباؤهم وذلك أن قريشا لم يبعث الله إليهم رسولا
قبل محمد صلى الله عليه وسلم فإن قلت فإذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت
أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسل فلا وأما قيامها بمعرفة الله
وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل الموصلة إلى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون
فيه وجهان أن يكون على الترجي من رسول الله صلعم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى
وهارون وأن يستعار لفظ الترجي للإرادة فإن قلت ما معنى قوله ما لكم من دونه

أي الوجه الأخير وهو أن يكون تنزيل الكتاب مبتدأ ومن رب العالمين خبره

من ولي ولا شفيع فلـــــــهو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير
الامر المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة وينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا كما يريد ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص
ودل على ذلك قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من اوقات
هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء
الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي ورده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين السماء
والارض مسيرة خمسماية سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج
اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة وقرا ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ يعدون بالتاء والياء احسن كل شيء
حسنه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اي يعرفه

معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل اي احسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه اي تنفصل منه وتخرج من صلبه
ونحوه قولهم للولد سليل ونجل سواه قومه كقوله في احسن تقويم ودل بالاضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسالونك عن الروح الآية كانه قال ونفخ فيه
من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته وقالوا قيل القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقرئ ائنا وانا على الاستفهام وتركه وضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين
بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله وآب مضللوه بعين جلية وقرا علي وابن عباس ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل
يضل وقرا الحسن صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض فان قلتم انتصب الظرف في اذا ضللنا قلت بما يدل عليه انا لفي خلق
جديد وهو نبعث ونجدد خلقنا لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون
بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا والتوفي استيفاء
النفس وهي الروح قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا
كملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منها تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها
حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه وجهان ان يراد به التمني كانه قال وليتك ترى كقوله عليه السلام للمغيرة لو نظرت اليها

والتمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي
والغم ليشمت بهم وان تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا او لرايت اسوء حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك
وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه وكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به
في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك
وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هي الرجعة الى الدنيا لآتينا كل نفس هديها على طريق الالجاء والقسر ولكنا بنينا الامر على الاختيار
دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم
من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط
عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استيناف قوله
انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤس والغم والخزي بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم
بسبب ما عملتم من المعاصي والكباير الموبقة اذا ذكروا بها اي وعظوا سجدوا تواضعا لله
وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبايح
اليه واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها

ومثله قوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم
عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم
عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل ثم فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب ساير الناس وعن انس بن مالك
رضي الله عنه كان اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها ما اخفي
لهم على البناء للمفعول ما اخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله تعالى وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ من قرة اعين
وقرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو
مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم
ما لا عين رات ولا اذن سمعت كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله اما الذين آمنوا واما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك
حتى اذا خرجوا من عندك وجنات الماوى نوع من الجنان قال تعالى ولقد رآه نزلة اخرى

وهو لفظ استعمل قبل الاسلام

صح من قرة اعين

صح

عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى تحت العرش لما روى عن ابن عباس قال تأوى اليها ارواح الشهداء
وقيل هي من يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل
ثم صار عاما فمأواهم النار اى ملجؤهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة مأواهم النار اى النار لهم
مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم العذاب الادنى عذاب الدنيا من القتل
والأسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الاكبر
عذاب الآخرة اى نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة لعلهم يرجعون اى يتوبون
من الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع   اريد به ارادة الرجوع
رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة
من قرأ يرجعون على البناء للمفعول فان قلت من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل
من الله ارادة واذا اراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت
مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تعالى تتعلق بافعاله دون   ع
افعال عباده فاذا اراد شيئا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال
عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسره والجائه فان ارادها
وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها
لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك
وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على
عجزك وروى في نزولها انه شجر بين علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط
يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد منك جلدا
واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة
فقال له علي اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما وعن   بن صح
الحسن عليه السلام انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا في قوله

ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل هذه الآيات في وضوحها وانارتها و
ارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل   مثل صح
والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز
ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها
استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها فان قلت
هلا قيل انا منه منتقمون قلت لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم
فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة الكتاب
للجنس والضمير في لقائه له ومعناه انا آتينا موسى الكتاب مثل ما آتيناك من الكتاب
ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان كنت
في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحوه قوله من لقائه قوله وانك
لتلقى القرآن وقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب
المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التورية
من دين الله وشرايعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك
هدى ونورا ولنجعلن من امتك ائمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين
وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الاسراء او يوم القيمة وقيل من لقاء موسى الكتاب
اي من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ لما صبروا ولما صبروا اي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن
الدنيا وقيل انما جعل الله التورية هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل يفصل
بينهم يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل الواو في اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي
من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا
لان كم لا يقع فاعله لا يقال جاءني كم رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او
هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك تعصم لا اله الا الله الدماء والاموال

ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدليل القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون
اي اهل مكة يمشون في مساكنهم واسفارهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد
الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال
للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله تعالى فنخرج به زرعا وعن ابن عباس انها
ارض اليمن وعن مجاهد هي ابين به بالماء تاكل من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم   ابين قصبة ... من عدن
من حبه وقرئ يأكل بالياء الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان
المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون
قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن ويوم الفتح يوم القيمة
وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن
يوم فتح مكة فان قلت قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا
على سؤالهم قلت كان من ضمنهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب
والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا
فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك
العذاب فلم تنظروا فان قلت فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره
ان لا ينفعهم ايمانهم وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت المراد
ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق
وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا
انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم
فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء
ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي
من الاجر كانما احيى ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام ٥

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عن زر قال قال لي ابي بن كعب
كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل   اي الشان والحديث
سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة
نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى
ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة   من دجن العناق اذا ذهبت وجاءت الى البيت بنفسها
والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة
له وتشريفا وربأ بمحله وتنويها بفضله فان قلت ان لم يوقع اسمه في النداء فقد
اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول قلت ذلك لتعليم الناس
بانه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى
الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم
رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله
احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبي اتق الله واظب على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى
باب لا يبلغ آخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا
مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة
والمضادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود
قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم
وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي ان ابا سفيان بن حرب
وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام

معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت يا ايها النبي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ان الله كان عليما بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا ولا يأمر به الا بداعي الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله الذي يوحي اليك خبير بما تعملون فموح اليك ما يصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء اي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله واسند امرك الى الله وكله الى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر ما جعل الله قلبين في جوف ولا زوجية وامومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كما لم ير في حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المرأة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله هذه الآية وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين افهم بواحد منهما اكثر مما يفهم محمد فروي انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله تعالى قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد صلى الله عليه وسلم قلبان فاكذبهم الله وقيل سها في صلوته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم ومن الحسن نزلت في ان الواحد يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى كأنه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه فان قلت اي فائدة في ذكر الجوف قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار قرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين واللاء بياء ساكنة بعد الهمزة تظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك واقف الرجل اذا قال اف واخواتهن فان قلت فما وجه تعديته واخواته بمن قلت كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها و

وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو معنى حلف واقسم ليس هذا بحكمه فان قلت ما معنى قولهم انت علي كظهر امي قلت ارادوا ان يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه آخر ان اتيان المرأة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر امه فلم يترك فان قلت الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي قلت ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء واسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم وبين ان دعاءهم لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطأتم ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني

على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله عليه السلام ما اخشى عليكم الخطأ ولكن اخشى عليكم العمد وقوله وضع عن امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده فان قلت فاذا وجد التبني فما حكمه قلت اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من المتبني يثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة رحمه الله وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطأ وعن العمد اذا تاب العامد النبي اولى بالمؤمنين في كل شيء من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرميهم الى الشقاوة وعذاب النار او هو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والآخرة اقرؤوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فالي وفي قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم في الدين وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها

كشفا امهات النساء يعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم تثبت لهن سائر احكام الامهات كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين والهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجى الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية او في آية المواريث او فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء الغاية اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة فان قلت مما استثنى ان تفعلوا قلت من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية تريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدي تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين ذلك اشارة الى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم وخصوصا منك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى وانما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة عند تواقف الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين او ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او ليسأل الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وتأويل مسألة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين فان قلت لم قدم رسول الله على نوح ومن بعده قلت هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم ودراريهم

اي كشف

فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم افضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه فان قلت فقد قدم عليه نوح في الآية التي هي اخت هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ثم قدم على غيره قلت مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد عليه السلام خاتم الانبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير فان قلت فماذا اراد بالميثاق الغليظ قلت اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا فان قلت علام عطف قوله واعد للكافرين قلت على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري

وابصار

والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط وكانت قريش قد اقبلت في عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر يعلون بالبلاء والثناء من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا واذ زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة الالف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى الوقف قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو واشمام زاي زلزلوا وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم

الاحزاب

اشد الازعاج الا عزوا قيل قائله معتب حين قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور وطائفة منهم هم اوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه ويثرب اسم المدينة وقيل في ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم هاهنا ولا مكان تقيمون فيه او تقيمون فارجعوا الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين لاتوها لجاؤوها وفعلوها وقرئ لآتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما ابطأوا اعطاءها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملأوهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا

بعد ما ترى انهم ما ثبتوا لا يقاتلوا بالمقتضى حتى توفى به لن ينفعكم الفرار مما لابد لكم
من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع
الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الاية فقال ذلك
القليل نطلب فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء
قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجرى مجرى قوله
متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع والمعوقين المثبطين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من
انصار رسول الله ما محمد واصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان
واصحابه فخلوهم وهلم الينا اي قربوا انفسكم الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد
والجماعة واما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد
مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم الا قليلا الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم
انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا
قليلا اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه
المناضل دونه عند الخوف ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات
الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة
نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة
الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم
وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال او على الذم
وقرئ اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد فان قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه
الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه
القلب وان ما يعمل المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل

وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح
المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما يذهب عند الله هباء منثورا فان قلت
ما معنى قوله وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير قلت معناه ان اعمالهم حقيقة
بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد
انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن
المفرط وان يأت الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون
الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسألون كل قادم منهم من جانب المدينة عن اخباركم
وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا
تعلة رياء وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الاقليد
بدا بوزن عدى ويتساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك
او يتساءلون الاعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه كان عليكم ان تواسوا رسول الله
بانفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات
في مرجى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه فان قلت فما حقيقة قوله
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم قلت فيه وجهان احدهما
انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسى به اي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون
منا حديد اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع
وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجو الله
واليوم الاخر من قولك رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد او يرجو ايام الله واليوم الاخر
خصوصا والرجاء بمعنى الامل والخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة
والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله من كان كذلك وعدهم الله ان يزلزلوا
حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا

من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب
سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا
ذلك وهذا اشارة الى الخطب والبلاء ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضائه واقداره نذر
رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان
وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم
من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من احب ان ينظر الى
شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع
عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى
نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله
فان قلت فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني اخوك
وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في
سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن
في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي
بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد
ولا غيروه ولا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله يوم احد
حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق
ومرض القلوب جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون
عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنما استويا
في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ورد الله
الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما

حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا وكفى الله المؤمنين
القتال بالريح والملائكة وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب
من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة
الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها وروي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم
على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله
ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم
دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر
الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الاخرة لقول رسول الله فحاصرهم
خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد
بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي
صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة
خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة
اسير وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين وروي ان رسول الله جعل
عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر
رضي الله عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال
رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤوها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة
كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيامة ومن
بدع التفاسير انه اراد نساءهم اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن
فغم ذلك رسول الله فنزلت فبدأ بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن

فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل
بهن من ازواج وروي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري
ابويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا استأمر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار
الآخرة وروي انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني مبلغا ولم يبعثني متعنتا
فان قلت ما حكم التخيير في الطلاق قلت اذا قال لها اختاري فقالت
اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير
او المخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله واعتبروا ان يكون ذلك في
المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي رحمه الله اختيارها
على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري
امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار
وعن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي
أفكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت
نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها فليس بشيء اصل تعال
ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطئ ثم كثر حتى استوى في استعماله الامكنة
ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل
يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق فان قلت
المتعة في الطلاق واجبة ام لا قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد
متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة
من الهوى متعتان احدهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل والثانية
حق على المتقي من طلق بعد ان يفرض ويدخل وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها
بعد ما يفرض لها

ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة
الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون
نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم
فلا ينقص من نصفها فان قلت ما وجه قراءة من قرأ امتعكن واسرحكن بالرفع قلت
وجهه الاستئناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة من كن للبيان لا للتبعيض
الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد
كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله عليه السلام ونشوزهن وطلبهن منه
ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في
حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة
قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد
من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء
عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء
للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار
على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه رحمهم الله لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على
الله يسيرا ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب
فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه قرئ يأت بالتاء والياء ومبينة بفتح الياء
وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف ونضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بالياء والنون
وقرئ تقنت وتعمل بالياء والتاء ونؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف
اجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن
على عبادة الله والتقوى احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام
مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كاحد من النساء لستن

كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة
تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد
منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين ان اتقيتن ان اردتن التقوى
وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات
والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل
فعل النهي على انهن نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن
فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل
الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة
من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا
او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن
وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر
ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى
الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية
الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابراهيم كانت المراة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط
الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل
زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى
جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام
فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده
ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر
ام جاهلية اسلام فقال بل هي جاهلية كفر امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به
عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما

جر اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله
المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف
للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون
كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه
ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب على النداء او على المدح وفي هذا دليل بين
على ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب
الجامع بين امرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع
ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح
لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين
وروي ان ازواج النبي عليه السلام قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا
خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي
صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم
بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله والمومن
المصدق بالله وبرسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق
الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع
المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق
الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام
البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكرين الله كثيرا الذي لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه
او لسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا
والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه فان قلت

أي فرق بين العطفين عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين قلت العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم مغفرة خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امراة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله امرا اي رسول الله او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره فان قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالياء والتاء والخيرة ما يتخير للذي انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء

قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينتها فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار فان قلت ماذا اراد الله بقوله واتق الله قلت اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج فان قلت ما الذي اخفى في نفسه قلت تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله تعالى قد اعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الآية فان قلت فما ذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت كان الذي اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشانك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن ابي سرح واعتراض عثمان رضي الله عنه بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان عيني الى عينك هل تشير الي فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فان قلت كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي التصريح بشيء الا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الامر ولم يامره

بقمع الشهوة وكف النفس ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه من تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة قلت كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امراة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اقرب منه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احداهما وانكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله من المصلحة العامة في قوله

لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله احق ما هي قلت واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد رضي الله عنهما اليس تقرا على غير ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قراتها على ابي الا كذلك ولا قراها الحسن بن علي على ابيه الا كذلك ولا قراها علي بن ابي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم الا كذلك وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الازواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امر فرض الله له قسم له واوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري وكانت لداود مائة امراة وثلاثمائة سرية ولسليمان ثلاثمائة وسبعمائة في الذين خلوا في الانبياء الذين مضوا والذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب بالجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب

على المدح على أنهم الذين يبلغون وعلى أعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا
وحكما مبتوتا ووصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس
والله أحق أن تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون
حق الخشية من مثله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه
وبينه ما بين الأب وولده من حرمة المصاهرة والنكاح ولكن كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة و
النصيحة لهم عليه لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء وزيد واحد من رجالكم الذين
ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب
لا غير وكان خاتم النبيين يعني أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الأنبياء
كما يروى أنه قال في إبراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا فإن قلت أما كان أبا للطاهر و
الطيب والقاسم وإبراهيم قلت قد أخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين أحدهما
أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني أنه قد أضاف الرجال إليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم فإن قلت
أما كان أبا للحسن والحسين قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما أيضا من رجاله
لا من رجالهم وشيء آخر وهو أنه إنما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين إلا أن
الحسن والحسين قد عاشا إلى أن نيف أحدهما على الأربعين والآخر على الخمسين قرئ ولكن رسول الله
بالنصب عطفا على أبا أحد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره
ولكن رسول الله من عرفتموه أي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها
بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين فإن قلت كيف كان
آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان قلت معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبأ
أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا إلى
قبلته كأنه بعض أمته اذكروا الله أثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتمجيد والتهليل

والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك بكرة وأصيلا أي في كافة الأوقات قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وعن مجاهد يقولها
هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والفعلان أعني اذكروا الله وسبحوه موجهان إلى البكرة
والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص
جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته عما
لا يجوز عليه من الصفات والأفعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الأذكار
فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي والطهر من أرجاس المآثم على سائر أوصافه
من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار
بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والإقبال على العبادات
فإن كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهي الصلاة في
جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها أو صلاة الفجر والعشاءين لأن أداءها أشق ومراعاتها
أشد لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا
عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل
في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أي ترحم عليك وترأف فإن قلت
قوله هو الذي يصلي عليكم إن فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله وملائكته
وما معنى صلاتهم قلت هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة
كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله أي أحياك وأبقاك وحييتك أي
دعوت لك بأن يحييك الله لأنك لاتكالك على إجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله
وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين
آمنوا صلوا عليه أي ادعوا الله بأن يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم

هذه كلمات

من غير انعطاف حينئذ

إلى الخير ويأمركم بإكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة ليخرجكم من الظلمات
إلى النور من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما دليل على أن المراد بالصلاة
الرحمة ويروى أنه لما نزل قوله إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله
بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأنزلت تحيتهم من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون يوم لقائه
بسلام فيجوز أن يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم وأن يكون مثلا
كاللقاء على ما فسرناه وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة
وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم والأجر الكريم الجنة شاهدا على من بعثت إليهم وعلى تكذيبهم
وتصديقهم أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم فإن قلت
وكيف كان شاهدا وقت الإرسال وإنما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة أو عند أدائها
قلت هي حال مقدرة كمسألة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أي مقدرا به
الصيد غدا فإن قلت قد فهم من قوله إنا أرسلناك داعيا أنه مأذون له في الدعاء
فما فائدة قوله بإذنه قلت لم يرد به حقيقة الإذن وإنما جعل الإذن مستعارا
للتسهيل والتيسير لأن الدخول في حق المالك متعذر فإذا صودف الإذن تسهل وتيسر
فلما كان الإذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك أن دعاء أهل الشرك
والجاهلية إلى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل بإذنه للإيذان
بأن الأمر صعب لا يتأتى ولا يستطاع إلا إذا سهله الله ويسره ومنه قولهم في الشحيح إنه غير مأذون
له في الإنفاق أي غير مسهل له الإنفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حكم التعذر جلى به الله
ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به
أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار ووصفه بالإنارة
لأن من السراج ما لا يضيء إذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني

هذه الآية وهي قوله وهو الذي

أي في ملك غير الداخل

رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام
ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منيرا أي وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير
أن يعطف على كاف أرسلناك فضلا ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وإذا ذكر المتفضل به
وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز أن يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل
وأن يريد أن لهم فضلا كبيرا على سائر الأمم وذلك الفضل من جهة الله وأنه آتاهم ما فضلوهم به ف
لا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على ما كان عليه أو التهييج أذاهم يحتمل إضافته
إلى الفاعل والمفعول يعني ودع أن تؤذيهم بضرر أو قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله
في باطنهم أو ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس هي منسوخة بآية السيف
وتوكل على الله فإنه يكفيكهم وكفى به مفوضا إليه ولقائل أن يقول وصفه الله بخمسة
أوصاف وقابل كلا منها بخطاب يناسبه فقابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لأنه يكون
شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم وهو الفضل الكبير والمبشر بالإعراض عن
الكافرين والمنافقين لأنه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة و
النذير بدع أذاهم لأنه إذا ترك أذاهم في الحاضر والأذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل
كانوا منذرين به في المستقبل والداعي إلى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لأن من توكل
على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لأن من أناره الله برهانا
على جميع خلقه كان جديرا بأن يكتفى به من جميع خلقه النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا
لملابسته له من حيث إنه طريق إليه ونظيره تسميتهم الخمر إثما لأنها سبب في اقتراف الإثم ونحوه
في علم البيان قول الراجز أسنمة الآبال في سحابه سمى الماء بأسنمة الآبال لأنه سبب
سمن الآبال وارتفاع أسنمتها ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد لأنه
في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة
والقربان والتغشي والإتيان فإن قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية

أي قارئا

أقبل في المستحق من رايه

يستوي فيه المؤمنات والكتابيات قلت في اختصاصهن تنبيه على أن أصل أمر المؤمن
والأولى به أن يتخير لنطفته وأن لا ينكح إلا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر
ويستنكف أن يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو
جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهذه تعليم ما هو الأولى بالمؤمن
من نكاح المؤمنات فإن قلت ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن قلت فائدته نفي التوهم
عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعد عهدها
بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها فإن قلت إذا خلا بها
خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على أن
العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها
كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا أي تعتدون فيها
كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فإن قلت
ما هذا التمتيع أواجب أم مندوب إليه قلت إن كان غير مفروض لها كانت المتعة
واجبة ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة إلا لها وحدها دون سائر المطلقات وإن كانت مفروضا
لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم أبو حنيفة وبعض على الوجوب
سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب أجورهن مهورهن لأن المهر أجر على البضع
وإيتاؤها إما إعطاؤها عاجلا وإما فرضها وتسميتها في العقد فإن قلت لم قال
اللاتي آتيت أجورهن ومما أفاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات
قلت قد اختار الله لرسوله الأفضل الأولى واستحبه بالأطيب الأزكى كما اختصه
بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الأثر وذلك أن تسمية المهر في العقد أولى وأفضل
من ترك التسمية وإن وقع العقد جائزا وله أن يماسها وعليه مهر المثل إن دخل بها والمتعة
إن لم يدخل بها وسوق المهر إليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف

وسنتهم وما لا يعرف منهم غيره وكذلك الجارية إذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه
ومما غنمه الله من دار الحرب أحل وأطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة
وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من أهل الحرب وأما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة
ويدل عليه قوله تعالى مما أفاء الله عليك لأن فيء الله لا يطلق إلا على الطيب دون الخبيث
كما أن رزق الله يجب إطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله
عليه السلام من قرائبه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني
لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء
المؤمنات إن اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم يكن عند رسول الله
أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة أم المساكين
الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم قرئ إن وهبت على الشرط وقرأ الحسن أن
بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز أن يكون مصدرا محذوفا معه الزمان
كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوام جلوسه ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود
بغير أن فإن قلت ما معنى الشرط الثاني مع الأول قلت هو تقييد له
شرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
كأنه قال أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هي قبول
الهبة وما به تتم فإن قلت لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله نفسها للنبي إن أراد
النبي أن يستنكحها ثم رجع إلى الخطاب قلت للإيذان بأنه مما خص به وأوثر
ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة وتكريره تفخيم له
وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به
أبو حنيفة رحمه الله على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته سواء

في الأحكام إلا فيما خصه الدليل وقال الشافعي رحمه الله لا يصح وقد خص رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لأن اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ
يحتاج إلى دليل وقال أبو الحسن الكرخي رحمه الله إن عقد النكاح بلفظ الإجارة
جائز لقوله اللاتي آتيت أجورهن وقال أبو بكر الرازي لا يصح لأن الإجارة عقد مؤقت
وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله أي خلص لك
إحلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج
والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على أنها وردت في أثر الإحلالات الأربع مخصوصة
برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم
وما ملكت أيمانهم بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك
حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب
فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء وعلى أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه
وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك
حرج لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل
وفي دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع
أي ذلك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة
خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج إذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده
روي أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هجرهن شهرا ونزل التخيير فأشفقن أن يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك
ومالك ما شئت وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت أرى ربك يسارع في هواك ترجي
من تشاء منهن تؤخر وتؤوي تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء
أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت أو تترك تزوج من شئت

من نساء أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة
لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك
فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يخلي المعزولة
لا يبتغيها أو يبتغيها وروي أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة
فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى
خمسا وآوى أربعا وروي أنه كان يسوي مع ما أطلق له وخير فيه إلا سودة فإنها
وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك ذلك التفويض إلى مشيئتك
أدنى إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لأنه إذا سوى بينهن في الإيواء والإرجاء
والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا مثل
ما للأخرى وعلمن أن هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس
والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم
فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسوله وبعث على تواطؤ
قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر أعينهن
بضم التاء ونصب الأعين وتقر أعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور
حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بأن يتقى ويحذر كلهن توكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود
ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تأكيدا لهن في آتيتهن لا تحل وقرئ
بالتذكير لأن تأنيث الجمع غير حقيقي وإذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة كان مع الفصل
أجوز من بعد من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما أن
الأربع نصاب أمته منهن فلا يحل له أن يتجاوز النصاب ولا أن تبدل بهن ولا أن تستبدل
بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن أراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن
ورضين فقصر رسول الله عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر

ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة بنت زمعة ام سلمة بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية
ميمونة بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية من
في من ازواج لتاكيد النفي وفايدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل
لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجنبيات لا ربعهن من الاعرابيات والغرائب
او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان
في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وابادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما
عن امرأته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عايشة من غير استيذان
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستيذان قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل
قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عايشة ام المومنين
قال عيينة افلا انزل لك من احسن الخلق فقال عليه السلام ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عايشة
من هذا يا رسول الله قال الاحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عايشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى احل له النساء تعني ان الاية قد نسخت ولا يحل نسخها اما ان يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك
ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو اعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير
في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي
اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن
حرم عليه الاماء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه
ان يوذن لكم في معنى الظرف وتقديره وقت ان يوذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء
على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين
وهولاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون
منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هولاء المتحينون للطعام الا ان يوذن لكم الى طعام
غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهولاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يوذن له

ان صح
اذا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابي عبلة انه قرا غير ناظرين مجرورا صفة لطعام
وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين
اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي واني الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى
كقولك قلاه قلى ومنه قوله من حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت الطعام
وساعة اكله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة
وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق
الناس وبقي ثلاثة يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى
حجرة عايشة فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت
اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان
رسول الله عليه السلام شديد الحياء فتولى فلما راوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت
ولا مستانسين لحديث نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به
او عن ان يستانسوا حديث اهل البيت واستيناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف
على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستانسين لا بد في قوله فيستحيي منكم من تقدير المضاف
اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان
يستحيى منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع
منه ولا يترككم ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عايشة حسبك
في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقوي لا يستحيي بياء
واحدة الضمير في سالتموهن لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن
متاعا حاجة فسالوهن فسلوهن المتاع قيل ان عمر كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة
وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما راتكن عين وقال يا رسول الله

يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع النساء
في المسجد فقال لئن احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل
فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت
وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عايشة رضي الله عنها
فكره النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت اية الحجاب وذكر ان بعضهم قال انتهى ان نكلم بنات عمنا
الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن فلانة فاعلم الله ان ذلك محرم وما كان لكم
ان توذوا وما صح لكم ايذاء رسول الله ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما
منه وهو من اعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب
نفسه وسر قلبه واستغرز شكره فان نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلى
منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده
ومن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم
فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به حتى قتلها تصورا
لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره ومن بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلاث
يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله عما يلاحظ ذلك ان تبدوا شيئا من نكاحهن
على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به
على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة
اهول واجزل روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله
او نحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن في ان
لا يحتجبن من هولاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم
ابا قال الله تعالى واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل
كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما وابناؤهما غير محارم ثم نقل الكلام

من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن
به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن
واحفظن حدودهما واسلكن طريقة التقوى في حفظهما وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان
وانتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن ان الله كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب
وباطنه شهيدا لا يتفاوت في علمه الاحوال وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو
ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه
وسلموا اي قولوا الصلوة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بان يترحم عليه الله ويسلم فان قلت
الصلوة على رسول الله واجبة ام مندوب اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها
فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده
الله ويروي انه قيل يا رسول الله ارايت قول الله ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال
عليه السلام هذا من العلم المكنون ولولا انكم سالتموني عنه ما اخبرتكم بها ان الله وكل بي ملكين
فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته
جوابا لذينك الملكين امين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان
لا غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين امين ومنهم من قال تجب في كل مجلس
مرة وان تكرر ذكره كما قيل في اية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله واخره
ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط
الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار فان قلت فالصلوة عليه في الصلوة
اهي شرط في جوازها ام لا قلت ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله لا يرونها شرطا
وعن ابراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك ايها
النبي واما الشافعي فقد جعلها شرطا فان قلت فما تقول في الصلوة على غيره قلت
القياس جواز الصلوة على كل مومن لقوله هو الذي يصلي عليكم وقوله وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم و

وقوله عليه السلام اللهم صل على آل أبي أوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع
كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلوة كما يفرد هو
فمكروه لأن ذلك صار شعارا لذكر رسول الله ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض وقال النبي
صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواضع التهم يؤذون الله ورسوله مواقف
فيه وجهان أحدهما أن يعبر بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وإنكار
النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبونه به رسول الله من أنواع المكروه على سبيل المجاز
وإنما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الإيذاء صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا أجعل
العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني أن يراد يؤذون رسول الله صح والنصارى
قيل في أذى الله هو قول اليهود والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة
بنات الله والأصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في أسمائه وصفاته وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني وآذاني ولم ينبغ له أن يؤذيني
فأما شتمه إياي فقوله إني اتخذت ولدا وأما أذاه فقوله إن الله لا يعيدني بعد أن بدأني وعن
عكرمة فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في أذى رسول الله
قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وقيل طعنهم
عليه في نكاح صفية بنت حيي وأطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات
لأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أبدا وأما أذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى
بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للأذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا
ويسمعونه وقيل في الذين أفكوا على عائشة وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات
وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري
الحوانيت إلا من أهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار و
دون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي
يستر

قيل
يستر من فوق إلى أسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره قال أبو زبيد مجلبب
من سواد الليل جلبابا ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن
يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك على وجهك وذلك أن النساء كن في أول الإسلام
على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والأمة وكان
الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان
للإماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء
بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك
قوله ذلك أدنى أن يعرفن أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن فإن قلت
ما معنى من في قوله من جلابيبهن قلت هو للتبعيض إلا أن معنى التبعيض محتمل وجهين أحدهما
أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد أن لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار كالأمة
والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها
تتقنع حتى تتميز من الأمة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق
الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدي أن تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر
إلا العين وعن الكسائي رحمه الله يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الإدناء
وكان الله غفورا رحيما لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لأن هذا مما يمكن معرفته الذين
في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور
من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء
عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون
بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا
غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة
عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوؤهم

وتنوؤهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زمنا قليلا
ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمي ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين
نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك إلا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال
معا كما مر في قوله إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لأن
ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب على الحال أيضا ومعناه
لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين فإن قلت ما موقع لا يجاورونك قلت
لا يجاورونك عطف على لنغرينك لأنه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا
يجاورونك فإن قلت أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك صح الثاني
بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل مسببا عن الأول لكان الأمر كما قلت ولكنه جعل
جوابا آخر للقسم معطوفا على الأول وإنما عطف بثم لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم
من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه سنة الله في موضع مصدر مؤكد أي سن الله
في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا وا
كان المشركون يسألون رسول الله عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود
يسألونه امتحانا لأن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فأمر رسول الله أن يجيبهم
بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا
للمستعجلين وإسكاتا للممتحنين قريبا شيئا قريبا أو لأن الساعة في معنى اليوم أو في زمان
قريب السعير النار المسعورة الشديدة الاتقاد وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب
على معنى تتقلب وتقلب أي تقلب نحن وتقلب على أن الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات
كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة أو تغييرها
من حال إلى حال أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخص الوجوه بالذكر
لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف

يقولون أو محذوف وهو اذكر وإذا نصب المحذوف فكان يقولون حالا وقرئ سادتنا
وساداتنا وهم رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل
وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها
الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف وقرئ كثيرا تكثيرا
لأعداد اللعائن وكبيرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لإضلاله
يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل
نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في أذى موسى عليه السلام
هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم إياه بقتل هرون
وكان قد خرج معه إلى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فأبصروه
حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءة موسى وقيل قرفوه بعيب في جسده أي كالبرص
من برص أو أدرة فأطلعهم الله على أنه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان
يميط عنه التهم ويدفع الأذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك
بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حيوة وكان عبدا لله وجيها
قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة
أوجه لأنها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك فإن قلت
قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لأن ما إما مصدرية أو موصولة وأيهما كان
فكيف تصح البراءة منه قلت المراد بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الأمر
المعيب ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول قولا سديدا قاصدا إلى الحق
والسداد القصد إلى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به الرمية المرمى
عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل
في القول والبعث على أن يسدد قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول

واتِّباع الخبر كلِّه والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم
ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبّل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم
وتكفيرها وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة
للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله وهذه على الأمر باتقاء الله في حفظ اللسان
ليترادف عليهم النهي والأمر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الأمر
الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه لما قال ومن يطع الله ورسوله
وعلق بالطاعة الفوز العظيم أتبعه قوله إنا عرضنا الأمانة وهو يريد بالأمانة الطاعة
فعظم أمرها وفخم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الأجرام العظام من السموات والأرض
والجبال قد انقادت لأمر الله عز وجل انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له
الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع عن مشيئة الله وإرادته إيجادًا وتكوينًا
وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين وأما الإنسان
فلم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو
حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد
وعدم الامتناع والمراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة الوجود كما أن الأمانة
لازمة الأداء وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها مجاز وأما حمل الأمانة
فمن قولك فلان حامل للأمانة ومحتمل لها تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته
ويخرج عن عهدتها لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون
ركبته الديون ولي عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملًا لها ونحوه قولهم لا يملك
مولى لمولى نصرًا يريدون أنه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل
ومنه قول القائل أخوك الذي لا تملك الحس نفسه وترفض عند المحفظات الكتائف
أي لا يمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم

أبغض حق أخيك لأنه إذا أحبه لم يخرجه إلى أخيه ولم يؤده وإذا أبغضه أخرجه وأداه
فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان فأبين أن لا يؤدينها وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملًا
لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركًا لأداء الأمانة وبالجهل لخطئه ما يسعده مع تمكنه
منه وهو أداؤها والثاني أن ما كلّفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم
ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشده أن يتحمله ويستقل به فأبى حمله والاستقلال به
وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته إنه كان ظلومًا جهولًا حيث حمل الأمانة
ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء
القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوي العوج وكم
لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض أن السمن
في الحيوان مما يحسن قبحه كما أن العجف مما يقبح حسنه فصور أثر السمن فيه تصويرًا هو أوقع
في نفس السامع وهي به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها
وثقل محملها والوفاء بها فإن قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على
رأي واحد أراك تقدم رجلًا وتؤخر أخرى لأنه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرأيين
وتركه المضي على أحدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من
الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فإن عرض الأمانة
على الجماد وإباءه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا
إلا أن تشبه شيئًا والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم
أين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف
في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها
وأشفقن منها واللام في ليعذب الله لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة
كما أن التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب وقرأ الأعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة

على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره
ممن لم يحملها لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعًا من عذاب الغادر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم ما في السموات والأرض كله نعمة من الله
وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم
الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول أحمد أخاك الذي كساك
وحملك تريد أحمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم أنه المحمود على نعم الآخرة
وهي الثواب فإن قلت ما الفرق بين الحمدين قلت أما الحمد في الدنيا فواجب
لأنه على نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب وأما الحمد في الآخرة
فليس بواجب لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها إنما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم
يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي أحكم أمور
الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون ثم ذكر مما يحيط به علمًا ما يلج في الأرض
من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الأرض ومن الكنوز والدفائن والأموات وجميع ما هي له
كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك
وما ينزل من السماء من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات
والمقادير كما قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة
وأعمال العباد وهو مع كثرة نعمه وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في أداء مواجب
شكرها وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ننزل بالنون والتشديد قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث
وإنكار لمجيء الساعة واستبطاء لما وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى
هذا الوعد أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها ثم أعيد إيجابه مؤكدًا

بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد
القسمي إمدادًا بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به إلى قوله ليجزي لأن عظمة حال المقسم به تؤذن
بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان
المستشهد به أعلى كعبًا وأبين فضلًا وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت
وأرسخ فإن قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت
نعم وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة إلى القلب
إذا قيل عالم الغيب فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع إلى
علم الغيب وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة فجاء
ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئًا واضحًا فإن قلت الناس قد أنكروا إتيان الساعة
وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان وأقسم عليهم جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على
الله كذبًا كيف تكون مصححة لما أنكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة
القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز
وجوب الجزاء وأن المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله
لتأتينكم تعليلًا له قرئ لتأتينكم بالياء والتاء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة
بمعنى اليوم أو يسند إلى عالم الغيب أي ليأتينكم أمره كما قال هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة
أو يأتي ربك وقال أو يأتي أمر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب
وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب
بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار أصغر نملة ذلك إشارة إلى مثقال ذرة وقرئ ولا أصغر
من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة إلا
بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله فإن قلت هل يصح عطف المرفوع على
مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفي

وعطف المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة
ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر قلت ــــــ يابى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت
الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز
ومن الحجاب على معنى انه لا ينفصل من الغيب شيء ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح وقرئ معجزين
والیم بالرفع والجر ومن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى في موضع الرفع اي ويعلم اولوا العلم
يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ اعقابهم من امته او علماء اهل الكتاب
الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي انزل اليك الحق هما مفعولان ليرى
وهو فصل ومن قرأ بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل
يرى في موضع النصب معطوفا على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد
عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار
انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم
على رجل يعنون محمدا عليه السلام يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشأون
خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اي يفرقكم
ويبدد اجزاءكم كل تبديد اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنة
اي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء
وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم
اليه من الضلال البعيد عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون واشده اطباقا
على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان في وقت واحد
لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرئ
نشأ نخسف نسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا
فان قلت ــــــ فقد جعل الممزق مصدرا كبيت الكتاب الم تعلم مسرحي
القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا فهل يجوز ان يكون مكانا قلت ــــــ نعم ومعناه ما حصل

من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح
فطرحته كل مطرح فان قلت ــــــ ما العامل في اذا قلت ــــــ ما دل عليه انكم لفي خلق جديد
وقد سبق نظيره فان قلت ــــــ الجديد فعيل بمعنى فاعل او مفعول قلت ــــــ هو
عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين
بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع
ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين
ونحو ذلك فان قلت ــــــ لم اسقطت الهمزة في قوله افترى دون قوله السحر وكلتاهما
همزة وصل قلت ــــــ القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الى ترك اسقاطها
في نحو السحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام
فان قلت ــــــ ما معنى وصف الضلال بالبعد قلت ــــــ هو من الاسناد المجازي
لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت ــــــ
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم
فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل
على مجهول في امر مجهول قلت ــــــ كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه
مخرج التحكي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره افعموا
فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا وايتما ساروا امامهم وخلفهم
محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله
ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول
وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض
والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى
ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث

ومن عقاب من يكفر به قرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا
وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرأ الكسائي نخسف بهم بالادغام
وليست بقوية يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا
يا جبال وقرئ اوبي واوبي من التاويب والاوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في
التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا
كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها كما يسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه
بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقرئ والطير رفعا
ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا
له الطير فان قلت ــــــ اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا تاويب الجبال معه والطير
قلت ــــــ كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عزة الربوبية
وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا
واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد
لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه
بيده كيف شاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة
وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح
وقيل كان يبيع الدرع باربعة الاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل
كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود
فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فساله على عادته فقال نعم الرجل داود لولا
خصلة فيه فريع داود فساله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسال عند ذلك ربه
ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق
ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع والضمير لداود واهله وسخرنا لسليمان الريح

فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع غدوها شهر جريها
بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو
فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا بناحية دجلة
كتبه بعض اصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه
ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله القطر النحاس المذاب من القطران فان قلت ــــــ
ماذا اراد بعين القطر قلت ــــــ اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد
لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني اراني
اعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن
يعدل عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه وعذاب السعير عذاب الآخرة
عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه
من حيث لا يراه الجني المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت
محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين
والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس
فيعبدوا نحو عبادتهم فان قلت ــــــ كيف استجاز سليمان عليه الصلوة والسلام عمل التصاوير
قلت ــــــ هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب
وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور
الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان
او تصور محذوفة وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا
اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما والجوابي
الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق لان الماء
يجبى فيها اي يجمع فجعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة

القدر جبل وقرئ كالجوابي بالياء كالحياض الكبار كقوله يوم يدع الداع راسيات ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية ما قيل لآل داود وانتصب شكرا على أنه مفعول له أي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على أن العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر أو على الحال أي شاكرين أو على تقدير واشكروا شكرا لأن اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث أن العمل للمنعم شكر له ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا على طريق المشاكلة وقليل من عبادي الشكور المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا في أكثر أوقاته وعن ابن عباس من يشكر على أحواله كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه من الشكر وعن داود أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر رضي الله عنه ما هذا الدعاء فقال الرجل إني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض الأرضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والأرض فعلها فأضيفت إليه يقال أرضت الخشبة أرضا إذا أكلتها الأرضة وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك أكلت القوادح الأسنان أكلا فأكلت أكلا تأكل منسأته العصا لأنه ينسأ بها أي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن إخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنسآته على مفعالة كما يقال في الميضأة ميضاءة ومن سأته أي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ أكلت منسأته فلما خر تبينت الجن من تبين الشيء إذا ظهر وتجلى وأن مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أي علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الأمر

على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وإنما أريد التهكم بهم كما يتهكم بمدعي الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله بقولك هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل لذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين في المعنى هو أن مع ما في صلتها لأنه بدل وفي قراءة أبي تبينت الإنس وعن الضحاك تبايعت الإنس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه أي علمت الإنس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي أنه كان من عادة سليمان أن يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا أجله لم يصبح إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فيسألها لأي شيء أنت فتقول لكذا حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الإنس أنهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أين ما صلى فلم يكن شيطان ينظر إليه في صلاته إلا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فإذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي أن داود أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل أن يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم

علم الغيب روي أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة ألفا في مسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم آية جنتان بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف وفي تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح فإن قلت فما معنى كونهما آية قلت لم يجعل الجنتين في أنفسهما آية وإنما جعل قصتهما وأن أهلهما أعرضوا عن شكر الله عليهما فخربهما وأبدلهم عنهما الخمط والأثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز أن يجعلهما آية أي علامة دالة على الله وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره فإن قلت كيف عظم الله جنتي أهل سبا وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت قلت لم يرد بستانين اثنين فحسب وإنما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب كلوا من رزق ربكم إما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له أتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا

بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم إلى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل بالضم والسكون وبالتنوين والإضافة والأكل الثمر والخمط شجر الأراك وعن أبي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله والأثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا ووجه من نون أن أصله ذواتي أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل بشع ومن أضاف وهو أبو عمرو وحده فلأن أكل الخمط في معنى البرير فكأنه قيل ذواتي برير والأثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لأن الأثل لا أكل له وقرئ وأثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لأجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وتقليل السدر لأنه أكرم ما بدلوا ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور وقرئ وهل يجازى وهل نجازي بالنون وهل يجازي والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من السوء ووجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة وأخرى في معنى الإثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازي إلا الكفور بمعنى وهل نعاقب وهو الوجه الصحيح

وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء
عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام وانما اراد الخاص وهو العقاب
بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل
يجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل
وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه القرى التي باركنا فيها قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة
يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة
للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم
يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا
عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم
لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه فان قلت
ما معنى قوله ليالي واياما قلت معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان
شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين
لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها لياليكم
واياكم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا
باعد بين اسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا
العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن
والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد كان اجدر ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله
بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجل الله
لهم الاجابة وقرئ ربنا بعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به
كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا

وبعد

وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها
لفرط تنعمهم وترفههم كانهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه احاديث يتحدث
الناس بهم ويتعجبون من احوالهم ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا
ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا قال كثير ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل للعينين بعدك منظر
لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان صبار عن المعاصي شكور للنعم
قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او
وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك ونصب ابليس
ورفع الظن فمن شدد فعلى وجد ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله
اغواءهم يقول له صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد
مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه انه حين وجد
آدم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه
وقال لاضلنهم لاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها
والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبا او لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا لانهم
قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين
وما كان له عليهم من سلطان من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح
وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد
ما تعلق به العلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان
قل للمشركين ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم
باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم
ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة
من خير او شر او نفع او ضر في السموات والارض وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق

ولا في الملك كقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه
يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا
كما يرجى فان قلت اين مفعولا زعم قلت احدهما الضمير المحذوف
الراجع منه الى الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون او
محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا
يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون
محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله
اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من
دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم
محذوفان جميعا بسببين مختلفين تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد
وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا
لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من
الشافعين ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام
الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا
وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فان قلت
بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم
من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء
هل يؤذن لهم او لا يؤذن لهم وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص
ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قائل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون
منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب

الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك
وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا قال الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى
وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة وقرئ
اذن له اي اذن له الله تعالى واذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففا وقرئ
فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد
اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا
علم ما المدفوع وقد تخفف واصله فرغ الوجل عنها اذا انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل
واسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع بمعنى انكشف عنها وعن ابي علقمة انه هاج به المرار
فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكاكاتم علي تكاكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة
مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء
وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي
ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى امر بان يقررهم بقوله من يرزقكم
ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به
بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب
الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم
لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق
الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون
الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال وكانهم كانوا يتقون في انفسهم مرة ومرة كانوا
يتلعثمون عنادا وضرارا وحذارا من الزام الحجة ونحوه قوله قل من رب السموات
والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان
يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه

وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ومعناه وإن أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من كلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أوصل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وإن أحدنا لكاذب ومنه بيت حسان أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء فإن قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه وفي قراءة أبي وإنا أو إياكم إما على هدى أو في ضلال مبين هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأول حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين وإن أراد بالإجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار فإن قلت ما معنى قوله أروني وكان يراهم ويعرفهم قلت أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه والإشراك به وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بإبطال المقايسة كما قال إبراهيم أف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وأنهم لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع إلى الله وحده أو هو ضمير الشأن كما في قوله قل هو الله أحد إلا كافة للناس إلا رسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا

شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والإبلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ لأن تقدم حال المجرور عليه في الإحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى لأنه لا يستوي له الخطأ الأول إلا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطائين قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم فإن قلت فما تأويل من أضافه إلى يوم أو نصب يوما قلت أما الإضافة فإضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية وأما نصب اليوم فعلى التعظيم بإضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعني يوما أو أريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعني التعظيم فإن قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له إلا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الإنكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله وأن يكون لما دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة ثم أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم أو للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الأتباع والمستكبرون هم الرؤوس والمقدمون أولي الاسم أعني نحن في صدوا بالإنكار لأن الغرض إنكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان وإثبات أنهم هم الذين

صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد إذ جاءكم بعد أن صممتم على الدخول في الإيمان وصحت نياتكم في اختياره بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم أمر الشهوة دون أمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فإن قلت إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت إذ مضافا إليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف إليها الزمان كما أضيف إلى الجمل في قولك جئتك بعد إذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك أوان الحجاج أمير وحين خرج زيد لما أنكر المستكبرون بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أي تكرون الإغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فإن قلت ما وجه الرفع والنصب قلت هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الإغواء مكر الليل والنهار فإن قلت لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا قلت لأن الذين استضعفوا مر أولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول فإن قلت من صاحب الضمير في وأسروا قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله إذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم

المضلين في أعناق الذين كفروا أي في أعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الأغلال وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم وقيل أسروا الندامة أظهروها وهو من الأضداد هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا إلى أحوالهم في الدنيا وقد أبطل الله حسبانهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ ويقدر بالتشديد والتخفيف أراد وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تقربكم وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث فلهذا قال بالتي ويجوز أن يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها أي ليست أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لأنها جماعات وقرئ بالذي يقربكم أي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب أي تقربكم قربة كقوله أنبتكم من الأرض نباتا إلا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء الضعف من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف

ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا
وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف
وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها
وفي الغرفة فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز
لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا
المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه
فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا
في الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه خير الرازقين واعلاهم رب العزة
لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله
فهو من رزق الله اجراه على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي ينتفع المرزوق
بالرزق ومن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشتهي لا يجد وواجد لا يشتهي
هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي
يا جارة ونحوه قوله عز وعلا أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم سبحانه
كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض
ان يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم
الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة
ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة
من العدواء وهي البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي نواليه من دونهم
اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا
بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن
يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم

صح الذي

هذا المثل يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئا غيره

من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام
اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء والامر في ذلك
اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب
والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها
مخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد انه لا ضار ولا نافع هو عند المثيب ثم ذكر معاقبة
الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا معطوفا على لا يملك الاشارة الاولى الى رسول الله والثانية
الى القرآن والثالثة الى الحق والحق امر النبي كله ودين الاسلام كما هو وفي قوله
وقال الذين كفروا وفي ان لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين
من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام
عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون
بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر مبين
فبتوا القضاء على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا وما آتيناهم
كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب
ان لم يشركوا كما قال عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا
بعثة رسول كما قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث
ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون
الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين من قبلهم من الامم والقرون
الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا اولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام
وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستيصال ولم يغن عنهم
استظهارهم بما هم مستظهرون فما بال هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس

او من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس
والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع فان قلت فما معنى فكذبوا رسلي وهو
مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم
وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان
يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان ينعطف على قوله
ما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين
الاولين فليحذروا من مثله بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا
على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين و
لكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها
اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا
ثم تتفكروا في امر محمد وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما
محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى
ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق
وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض فكره
على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم والذي اوجب
تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية
ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب
ولا يسمع الا نصرة المذهب واراهم بقوله ما بصاحبكم من جنة ان هذا الامر العظيم الذي
تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي
بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل

اي فكيف تفضل عليه

قال ابو البقاء محل ان تقوموا جر بدلا من واحدة او رفع على تقدير هي ان تقوموا او نصب على تقدير اعني

راجح العقل مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يرجع الا بعد صحته عنده بحجته وببرهانه
والا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا ما به من جنة بل علمتموه
ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصلهم رأيا واصدقهم قولا وانزههم
نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا
فيه جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان يأتيكم بآية فاذا اتى بها
تبين انه نذير مبين فان قلت ما بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز ان يكون كلاما
مستأنفا تنبيها من الله تعالى على طريقة النظر في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم
ان تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد كقوله عليه السلام بعثت في نسم الساعة
فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من اجر تقديره اي شيء سألتكم
من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة فيه معنيان احدهما نفي مسألة الاجر رأسا كما يقول
الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد به البت لتعليقه
الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ
السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمته
واياهم على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم
اليه الا منه ولا اطمع منكم فيه القذف والرمي بتزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد
ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه
في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه
علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدأ محذوف
وقرئ بالنصب صفة لربي او على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت

جمع غيب

والغيوب كالصيود وهو الامر الذي غاب وخفي جدا الحق اما ان يبدى فعلا او يعيده
فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدى ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد
اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدى ولا يعيد والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق
وزهق الباطل وعن ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون
صنما فجعل يطعنها بعود بيده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء
الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل
ابليس اى ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدى لاهله
خيرا ولا يعيده اى لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج اى شئ ينشئ ابليس ويعيده
فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان
من شاط اذا هلك قل ان ضللت اضل بفتح العين مع كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها
وهما لغتان نحو ظللت اظل وظللت اظل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين فان قلت
اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله فبما يوحى الى ربى وانما كان يستقيم
ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدى لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي قلت
هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها
وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه
وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا
دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به انه سميع قريب يدرك قول
كل ضال ومهتدى وفعله لا يخفى عليه منهما شئ ولو ترى جوابه محذوف يعنى لرايت امرا
عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي
والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد

صح اهتدى

بلغ

لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر
وعن ابن عباس نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا
دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوتٌ
والنصب واخذوا من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض
الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم
فان قلت علام عطف واخذوا قلت فيه وجهان العطف على فزعوا
اى فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا و
وقرئ واخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ آمنا به
بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة والتناول والتناوش
اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشئ قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم و
يقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم
ايمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول
الشئ من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش
همزت الواو المضمومة كما همزت في اجؤه وادؤر وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز
التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون
اطاعني اى اخيرا ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا
يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله شاعر ساحر كذاب
وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا
بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وابعد شئ من عادته
التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول
اى يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم

قوله صح

في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم امنا في الاخرة وذلك مطلب مستبعد
ممن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا
عنه شاحطا والغيب الشي الغائب ويجوز ان يكون الضمير في به للعذاب الشديد في قوله
بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون
من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قائسين امر الاخرة
على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان
دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة
به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكي عنهم ارجعنا نعمل صالحا
باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم مريب اما من اراب
اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها
وكلاهما مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان
يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك
كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق رسول
ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا ٥

بسم الله الرحمن الرحيم فاطر السموات مبتدئها
ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض
حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وقرئ
الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح
رسلا بضم السين وسكونها اولي اجنحة اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان
اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة مثنى وثلاث ورباع صفات

لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ
الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير
واما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت
بنسوة اربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان
اثنان اي لكل واحد جناحان وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم
اربعة اربعة يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه
مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على
الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت قياس الشفع من الاجنحة ان يكون
في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر
بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة
لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من
امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه راى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سال جبريل عليه السلام
ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله صلعم
في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افاق
وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله
ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا
جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله
حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله صلعم في قوله يزيد
في الخلق هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة
الملاحة في العينين والاية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة

وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجراءة في
القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأتّ في مزاولة
الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف فاستعير الفتح للاطلاق ولهذا الارسال الا ترى
الى قوله فلا مرسل له من بعده مكان لا فاتح له يعني اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق او مطر
او من صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة
والابهام كأنه قال من اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها
واي شيء يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه فان قلت ــــــ لم انث الضمير اولا ثم ذكر
وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت ــــــ هما لغتان الحمل على
المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع
اليه لا تأنيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك
على اصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها فان قلت ــــــ فلا بد للثاني من تفسير فما تفسيره قلت ــــــ
يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالة عليه وان يكون مطلقا في كل
ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه
فان قلت ــــــ فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس قلت ــــــ
ان اراد بالتوبة الهداية لها والى لطف فيوفقها وهو الذي اراده ابن عباس ان قاله فمقبول
وان اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان الله تعالى
يشاء التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها من بعده من بعد امساكه كقوله فمن يهديه
من بعد الله فباي حديث بعد الله اي من بعد هدايته وبعد آياته وهو العزيز الغالب
القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله
وامساكه ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من
الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل
لمن

لمن انعم عليه اذكر ايادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام
للجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس يريد يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم
حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعن نعمة الله العافية
وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء
فان قلت ــــــ ما محل يرزقكم قلت ــــــ يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق
وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته
كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله فان قلت ــــــ هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق
على غير الله تعالى قلت ــــــ نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه
الثلاثة واما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء
والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء
المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه
الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق
آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله
فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون
من التوحيد الى الشرك نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له
في الانبياء قبله اسوة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه
ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها فان قلت ــــــ
ما وجه صحة جواب الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت ــــــ
معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع
فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التأسي فان قلت ــــــ ما معنى التنكير
في رسل قلت ــــــ معناه فقد كذبت رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولو آيات ونذر

وأمل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة
وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم
التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله
الغرور لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن
كل خطيئة والغرور الشيطان لأن ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره
كاللزوم والنهوك أو جمع غار كقاعد وقعود أخبرنا عز وجل أن الشيطان لنا
عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام وكيف انتدب
لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا
مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعدى
في العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم
وأفعالكم ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم
وجهركم ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته
ومتبعي خطواته هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير
ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الأطماع الفارغة والأماني الكاذبة
فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما فذكر الفريقين الذين كفروا والذين
آمنوا فقال لنبيه أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعني أفمن زين له سوء عمله من هذين
الفريقين كمن لم يزين له فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال فإن الله يضل
من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والإضلال
واحد وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله
وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق أمره ويتمادى ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى
القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول أبي نواس

اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم
وشأنهم فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقي بالا إلى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر
عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج أن المعنى أفمن زين له سوء عمله
ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن
هداه الله فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليهم حسرات مفعول له
يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا أو هو
بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن
يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير مشق الهواجر
لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا يريد رجعن كلاكلا وصدورا
أي لم يبق إلا كلاكلها وصدورها ومنه قوله فعلى إثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم
لي سقام وقرئ فلا تذهب نفسك إن الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم
وقرئ أرسل الريح فإن قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده
قلت ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة
البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية
بحال تستغرب أو تهم المخاطب وغير ذلك كما قال تأبط شرا بأني قد لقيت الغول تهوي
بسهب كالصحيفة صحصحان فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران لأنه
قصد أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها ابن عمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم
على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب
إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة
قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص
وأدل عليه والكاف في كذلك في محل الرفع أي مثل إحياء الموات نشور الأموات

روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك في خلقه
فقال هل مررت بوادي أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا فقال نعم قال فكذلك يحيى الله الموتى
وتلك آيته في خلقه وقيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه أجساد الخلق
كان الكافرون يتعززون بالأصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة
ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين
كما قال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة
فإن العزة لله جميعا فبين أن لا عزة إلا لله ولأوليائه وقال ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء
به عنه لدلالته عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد
النصيحة فهي عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى
فلله العزة جميعا أن العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف أن
ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه والكلم الطيب لا إله إلا الله عن ابن عباس يعني أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد
إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة كما قال تعالى إن كتاب الأبرار
لفي عليين إلا إذا قرن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها
وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد وقيل الرافع
الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تسبيح وتهليل وقراءة قرآن (تكبير وصح)
ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء
فحيا بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا
إلا بعمل ولا يقبل قولا وعملا إلا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية إلا بإصابة السنة

وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ
إليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول وإليه يصعد الكلام الطيب على تسمية الفاعل
من أصعد والمصعد هو الرجل أي يصعد إلى الله تعالى الكلم الطيب وإليه يصعد الكلام
الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم أو الله عز وجل فإن قلت
مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات قلت هذه
صفة للمصدر أو لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أصله والذين
مكروا المكرات السيئات أو أصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش
حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها
برسول الله صلى الله عليه وسلم إما إثباته أو إخراجه أو قتله كما حكى الله سبحانه
وتعالى عنهم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك و
مكر أولئك هو يبور يعني ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات
الثلاث هو خاصة يبور أي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة
وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أزواجا
أصنافا أو ذكرانا وإناثا كقوله أو يزوجهم ذكرانا وإناثا وعن قتادة
زوج بعضكم بعضا بعلمه في موضع الحال أي إلا معلومة له فإن قلت
ما معنى قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من أحد وإنما سماه
معمرا بما هو صائر إليه فإن قلت الإنسان إما معمر أي طويل العمر أو منقوص العمر
أي قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر
ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بأفهام
السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول

والنقص في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه
الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي وفيه تاويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان
ولا يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة
وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما
فلم يتجاوز به الاربعون فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب
انه قال حين طعن عمر لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله اذا جاء
اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فقال فقد قال الله وما يعمر من معمر وقد استفاض
على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب
في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتي
على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة
والكتاب اللوح عن ابن عباس ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرى
ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن
والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل
اي ومن كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية وهي اللؤلؤ
والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء
ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب
من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية
ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة
الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي
يكسر العطش والسائغ المريء السهل الانحدار لعذوبته وقرى سيغ بوزن سيد

وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد
وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك
العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في
طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان
من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط
من خشية الله ذلكم مبتدأ والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او الله ربكم
خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان
وربكم خبرا لولا ان المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة
الملتفة عليها ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل
الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤون
منها وقيل ما نفعوكم يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم
يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير
عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به
والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرى
تدعون بالتاء والياء فان قلت لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك
ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه
من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد
شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم
من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني
فما فائدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا

بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق
عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم
عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم بعزيز بممتنع وهذا
غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا الوزر و
الوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة النفس والمعنى ان كل نفس
يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تاخذ
جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا قيل ولا تزر
نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات
لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق
بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت تلك الاية في
الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله
اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله في قوله اتبعوا سبيلنا
ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فان قلت ما الفرق
بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء
قلت الاول في الدلالة على عدل الله في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا
بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار
وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو
بعض قرابتها من اب او ولد او اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان
ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة فان قلت
فلم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام

اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم
الكائن على طريق البدل فان قلت فما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى
على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن
ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان
كان المدعو ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج
من اتساقه والتئامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اورده سيبويه
بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه
غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اصحابه كانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة
وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم
من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى
ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض
مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانها من جملة التزكي والى الله المصير وعد للمتزكين
بالثواب فان قلت كيف اتصل قوله انما تنذر الذين بما قبله قلت
لما غضب عليهم في قوله ان يشأ يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر اهوالها
ثم قال انما تنذر الذين كان رسول الله عليه السلام اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل
انما تنذر الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم الاعمى
والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم والله تعالى
والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه
من الثواب والعقاب والاحياء والاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين
لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم يكون بالنهار

والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل فان قلت لا المقرونة بواو العطف
ما هي قلت اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي فان قلت
هل من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا
الى وتر ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي
الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم
فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين
وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان
المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشاء
انه قادر على ان يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية
والتوفيق واما انت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى بالحق حال
من احد الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة
لبشيرا ونذيرا على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والامة الجماعة الكثيرة قال
تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود المتكلمين
الامة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد
ههنا اهل العصر فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام
ولم يخل فيها نذير قلت اذا كانت اثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى
ان تندرس وحين اندرست اثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت
كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في اخر الاية بعد ذكرهما قلت لما كانت
النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتمل الاية
على ذكرهما بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب
المنير نحو التورية والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم

اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب
وهي سلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين
والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيأتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها والجدد الخطط
والطرائق قال لبيد او مذهب جدد على الواحه ويقال جدة الحمار للخطة السوداء
على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب
معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على
لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود فان قلت الغربيب
تاكيد للاسود يقال اسود غربيب واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه
ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك
قلت وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة
والمؤمن العائذات الطير يمسحها وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد
من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال
جدد بيض بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال
مختلف الوانه كما قال ثمرات مختلفا ومن الناس والدواب والانعام مختلف
الوانه يعني ومنهم بعض مختلف الوانه وقرئ الوانها وقرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة
وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول ابي ذؤيب
جون السراة له جدائد اربع وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر
وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب
مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لان كل واحد منهما فرار من
التقاء الساكنين فحرك ذاك اولهما وحذف هذا اخرهما وقوله كذلك اي كاختلاف
الثمرات والجبال المراد العلماء الذين علموه بصفاته وتوحيده وعدله وما يجوز عليه

وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد
منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم له خشية
وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي
افتني ايها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وقد
ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه فان قلت هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول
في هذا الكلام او اخر قلت لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله واخرت
العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت
على العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان
مختلفان فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال
الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعه
وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك
انما يخشى الله كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم به فان قلت
ما وجه قراءة انما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة رحمه الله
قلت الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب
المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته
على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى
يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شأنهم وديدنهم وعن مطرف هي آية القراء
وعن الكلبي يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر ان والتجارة طلب
الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله

من عباده العلماء صح

من قرأ صح

ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق
وان شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة
واقامة الصلوة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله انه غفور شكور
على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة الكتاب القرآن
ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق
لما بين يديه لما تقدمه من الكتب لخبير بصير يعني انه خبرك وابصر احوالك فرآك اهلا
لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب فان قلت
ما معنى قوله ثم اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان احدهما انا اوحينا
اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثناه وهو يريد
نورثه لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين
وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا
ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب
الذي هو افضل كتب الله ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجا لامر الله ومقتصد
وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثاني انه قدم
ارسال الله في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاءوهم بالبينات والزبر والكتاب المنير
ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين
بها من سائر الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين
من عباده اهل الملة الحنيفية فان قلت كيف جعلت جنات عدن بدلا
من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب
في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين

العيار المعيار الذي تقاس به غيره ويسوى

الارجاء التأخير ممدود

لما كان السبق

من صح

بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه وجوب الحذر فليحذر المقتصد
وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا
بما رواه عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له
فإن شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله أن يتوب عليهم وقوله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم
ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعلل نفسه بالخدع
وقرئ سباق ومعنى بإذن الله بتيسيره وتوفيقه فإن قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد
ثم السابق قلت للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة
إليهم والسابقون أقل من القليل وقرئ جنة عدن على الإفراد كأنها جنة مختصة بالسابقين
وجنات عدن بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر أي يدخلون جنات عدن يدخلونها
ويدخلونها على البناء للمفعول ويحلون من حليت المرأة فهي حالي ولؤلؤا معطوف على محل من أساور
ومن داخلة للتبعيض أي يحلون بعضا منها ومن ذهب كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض كما
سبق المسورون به غيرهم وقيل إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولولؤا بتخفيف الهمزة
الأولى وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله
تعالى إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن
ابن عباس حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن إبليس ووسوسته
وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه
أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل
لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني بأهل لا إله
إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي
أذهب عنا الحزن وذكر الشكور دليل على أن القوم كثير والحسنات المقامة بمعنى الإقامة
يقال أقمت إقامة ومقاما ومقامة من فضله وإفضاله من قولهم لفلان فضول على قومه

وفواضل

وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل
كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه أي لا نتكلف عملا يلغبنا أو مصدر
كالقبول والولوع أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت
فإن قلت ما الفرق بين النصب واللغوب قلت النصب التعب والمشقة
التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب
نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة فيموتوا
جواب النفي ونصبه بإضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وإدخالا له في حكم النفي
أي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك
الجزاء نجزي وقرئ يجازى ويجزى كل كفور بالنون يصطرخون يتصارخون
يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها واستعمل
في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته فإن قلت هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به
في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة الذي كنا نعمل على أنه يوهم أنهم يعملون
صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه قلت فائدته زيادة التحسر على
ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل بظهور حالهم في الكفر
وركوب المعاصي ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون
أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أي نحسبه صالحا فنعمله
أولم نعمركم توبيخ من الله يعني فنقول لهم وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الإدغام وهو
متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في
المتطاول أعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة
وعن مجاهد ما بين العشرين إلى الستين وقيل ثماني عشرة سنة وسبع عشرة والنذير الرسول
وقيل الشيب وقرئ وجاءكم النذر فإن قلت علام عطف وجاءكم النذير قلت

على معنى او لم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كانه قيل قد
عمرناكم وجاءكم النذير انه عليم بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما في
الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تانيث ذو
في نحو قول ابي بكر ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغني عني ذا انائك اجمعا المعنى
ما في بطنها من الحبل وما في انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء
الا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة
يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم
خلفاء في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها
لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره
راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده
خسار والمقت اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب
وهو خطاب للناس وقيل هو خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلكم امة خلفت
من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره
من مقت الله وخسار الآخرة كما ان ذلك حكم من قبلكم اروني بدل من ارايتم لان
معنى ارايتم اخبروني كانه قيل اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية
والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة
في خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك
الكتاب او يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام آتيناهم
كتابا من قبله بل ان يعد الظالمون بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا
وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات ان تزولا كراهة ان تزولا او
يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة

حيث

يقال اغن عني وجهك اي ابعده عني

الراغب الخلافة النيابة عن الغير اما لغيبة المنوب عنه واما لموته واما لعجزه واما لتشريف المستخلف على الوجه الاخير استخلف الله عباده في الارض ٥ طي

حيث شككهما وكانتا جديرتين ان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا وان امسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد
الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته
يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرا هذه الاية بلغ قريشا
قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود
والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه في احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم ومن واحدة
من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الامة التي يقال فيها احدى الامم
تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة ما زادهم اسناد مجازي لانه هو السبب
في ان زادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم
استكبارا بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا
وعلوا في الارض او حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله والمؤمنين ويجوز ان يكون
ومكر السيئ معطوفا على نفورا فان قلت ما وجه قوله ومكر السيئ
قلت اصله وان مكروا السيئ اي المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ
والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ
ولا يحيق المكر السيئ اي لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولا تبغوا
ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وعن كعب رضي الله عنه انه قال لابن عباس
رضي الله عنهما قرات في التورية من حفر مهواة وقع فيها قال اني وجدت ذلك في كتاب الله
فقرا الاية وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرئ ومكرا السيئ

باسكان الهمزة وذلك لاستثقال الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا
او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ومكرا سيئا
سنة الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم
لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها
ولا يحولها اي لا يغيرها وان ذلك مفعول لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في
مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم (جمع رحل)
ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض
من دابة من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وقيل ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب
بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم
ثم تلا هذه الآية وعن انس ان الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر
فيهلك كل شيء الى اجل مسمى الى يوم القيامة كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل

بسم الله الرحمن الرحيم وقرئ يس بالفتح كأين
وكيف او بالنصب على اتل ياسين وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه ياسين او بالضم
كحيث وفخمت الالف واميلت وعن ابن عباس معناه يا انسان في لغة طي والله اعلم بصحته
وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا على
شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل
ناطق بالحكمة كالحي او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به على صراط مستقيم
خبر بعد خبر او صلة للمرسلين فان قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد
علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم قلت ليس الغرض بذكره

ما ذهب اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم من غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه
ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه قال انك
لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل من
بين الصراط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه وقرئ تنزيل العزيز الرحيم
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالنصب على اعني وبالجر على البدل من القرآن قوما
ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما انذر آباؤهم على اثبات الانذار
ووجهه ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم او موصولة منصوبة على
المفعول الثاني لتنذر قوما ما انذره آباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا
فان قلت اي فرق بين تعلقي قوله فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم
وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه
غافل او فهو غافل فان قلت فكيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما
في الآي الاخر قلت لا مناقضة لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار آبائهم
وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم فان قلت ففي
احد التفسيرين ان آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به قلت اريد
آباؤهم الادنون دون الاباعد القول قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم
على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون
الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون
ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تأمل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في آيات الله
فان قلت ما معنى قوله فهي الى الاذقان قلت معناه فالاغلال واصلة

إلى الأذقان ملزوزة إليها وذلك أن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه
تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة إلى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه
ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير
فهو قامح إذا روي فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لأن الإبل ترفع رؤوسها عن الماء
لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق فإن قلت فما قولك
فيمن جعل الضمير للأيدي وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة
كان ذكر الأعناق دالا على ذكر الأيدي قلت الوجه ما ذكرت لك والدليل
عليه قوله فهم مقمحون ألا ترى كيف جعل الإقماح نتيجة قوله فهي إلى الأذقان ولو كان الضمير
للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهرا على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف و
ترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يجفو عنه وترك للحق الأبلج إلى
الباطل اللجلج فإن قلت فقد قرأ ابن عباس في أيديهم وابن مسعود في أيمانهم
فهل تجوز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للأيدي أو للأيمان قلت يأبى ذلك وإن ذهب
الإضمار المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا
بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فأغشيناهم
فأغشينا أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح إلى مرئي وعن
مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت
في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو
يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها
بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله
بصره فإن قلت قد ذكر ما دل على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار ثم قفاه
بقوله إنما تنذر وإنما كانت تصح هذه التقفية لو كان الإنذار منفيا قلت

هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للإيمان مع وجود الإنذار وكان معناه أن البغية
المرومة بالإنذار غير حاصلة وهي الإيمان قفى بقوله إنما تنذر على معنى إنما تحصل البغية
بإنذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون الذكر وهو القرآن أو الوعظ الخاشون
ربهم نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن إحياؤهم أن يخرجهم من الشرك إلى الإيمان
ونكتب ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو
كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك
أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وشيء أحدث
فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة تستن بها
ونحوه قوله عز وعلا ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أي قدم من أعماله وأخر
من آثاره وقيل هي آثار المشائين إلى المساجد وعن جابر أردنا النقلة إلى المسجد
والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله فأتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني أنكم
تريدون النقلة إلى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال
عليكم دياركم فإنما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لأغفل
هذه الآثار التي تعفيها الرياح والإمام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم
على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي
من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد
والمعنى اضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية
والمثل الثاني بيان للأول وانتصاب إذ بأنه بدل من أصحاب القرية والقرية أنطاكية
والمرسلون رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة
أوثان أرسل إليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار

صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه
والابرص وكان له ولد مريض سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشى الخبر فشفي
على ايديهما خلق ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى آلهتنا قالا نعم
من اوجدك وآلهتك فقال انظرا حتى ينظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما
وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استانسوا به
ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت
ما يقولانه فقال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله
الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا
الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما
فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف
قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون
يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت
آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية
من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا
حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك
فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم
جبرئيل فهلكوا فعززنا بثالث فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها
وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه اي فغلبنا وقهرنا
بثالث وهو شمعون فان قلت لم ترك المفعول به قلت لان الغرض
ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان

الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كان ما سواه
مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك
بالحق فلذلك رفض ذكر المحكوم له والمحكوم عليه انما رفع بشر ونصب في قوله ما
هذا بشرا لان الا تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل فان قلت
لم قيل انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون آخرا قلت
لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم
في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد
على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا الا البلاغ المبين اي الظاهر المكشوف
بالآيات الشاهدة بصحته والا فلو قال المدعي والله اني لصادق فيما ادعي ولم يحضر البينة
كان قبيحا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم و
عادة الجهال ان يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم
ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا
كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة
ان اصابنا شيء كان من اجلكم طائركم معكم وقرئ طيركم اي سبب شؤمكم
معكم وهو كفرهم او اسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن
اطيركم اي تطيركم وقرئ أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآين ذكرتم
بالف بينهما بمعنى اتطيرون وان ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وان
الناصبة بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وقرئ ان وان بغير استفهام بمعنى الاخبار
اي تطيرتم لان ذكرتم اي ان ذكرتم تطيرتم وقرئ اين ذكرتم على التخفيف اي شؤمكم
معكم حيث جرى ذكركم واذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه اشأم

ولما كان جواب عن انكار احتيج الى التاكيد فقط اللام لهذا المعنى

اين استفهام وشرط بحذف الجواب

بل انتم قوم مسرفون في العصيان فمن ثم اتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم
او بل انتم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله
رجل يسعى هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن برسول الله
عليه السلام وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن
بنبي احد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه
وقاول الكفرة فقالوا او انت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤوه بارجلهم
حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية
فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم
ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون
لا يسألكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم اي لا تخسرون معهم شيئا من
دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ثم ابرز الكلام في معرض
المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولانه ادخل في امحاض النصح
حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله
وما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد
ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال اني آمنت بربكم فاسمعون
يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه ان العبادة
لا تصح الا لمن منه مبتدؤكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها
لان تستحبوا على عبادته عبادة اشياء ان ارادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع
شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم
منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل
وتمييز وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم

القصب بالضم المعاء والجمع اقصاب ومنه سمي القصاب لانه يزيل الامعاء

معناه ما ادفع للعقول وانكرها استحباب عبادة اشياء بعبادة الله ان اراد الله ان يضركم هؤلاء لم يمكنوا من الشفاعة له طو

اني آمنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا ايماني تشهدوا لي به وقرئ ان يردن الرحمن
بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر لما قتل قيل له ادخل الجنة
وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد قوله تعالى بل احياء عند ربهم
يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها فان قلت
كيف مخرج هذا القول في علم البيان قلت مخرجه مخرج الاستئناف لان هذا
من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب
في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض
الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب
على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله
ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان
والعمل الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه
تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه
في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال
بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم
كفرة عبدة اصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطا عظيم في امره
وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا
سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول اوجه وقرئ
المكرمين فان قلت ما في قوله بما غفر لي ربي اي الماءات هي قلت
المصدرية او الموصولة اي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل ان تكون استفهامية يعني
باي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان
قولك بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا
اي بم صنعت

وبم صنعت والمعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء
كما فعل يوم بدر والخندق فان قلت وما معنى قوله وما كنا منزلين قلت
معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك
لان الله تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما ذاك الا بناء على ما اقتضته
الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليهم حاصبا ومنهم من اخذته
الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا فان قلت فلم انزل الجنود من
السماء يوم بدر والخندق فقال فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بالف من الملائكة
مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قلت
انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مدائن لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح
بصيحة ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الانبياء واولي العزم من
الرسل فضلا على حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك
انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان
انزال الجنود من عظائم الامور التي لم يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله لغيرك ان
كانت الا صيحة واحدة ان كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة وقرا ابو جعفر المدني
بالرفع على كان التامة اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان
المعنى ما وقع شيء الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل
ومثلها قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع
الجراشع وقرا ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي اذا صاح ومنه
المثل اثقل من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد
وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة
على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري

فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف
على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون
من الله على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره
له وتعجيبه منه وقراءة من قرا يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا
حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسره
على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم
لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان
معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه
وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا
كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستئناف
وفي قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال
وهذا مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان
عليا مبعوث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه
وقرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام
لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسالة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت
وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل
قائما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيمة وقيل
محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد قلت
ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع
وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤوا جميعا والقراءة
بالمثقلة على الخفة اشيع لسلسها على اللسان واحييناها استئناف بيان لكون الارض الميتة
بيان

آية وكذلك نسلخ ويجوز ان توصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا
ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه ولقد
امر على اللئيم يسبني وقوله فمنه ياكلون تقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشيء
الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتفاق وصلاح الانس واذا قل جاء القحط
ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء وقرئ وفجرنا بالتثقيل والتخفيف
والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين
وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى لياكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته ايديهم
من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وابان اكله
يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم واصله من ثمرنا كما قال
وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز ان يرجع
الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق به
بالسبق لسرعة شيئين وكل التنوين فيه عوض من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس
والاقمار على ما سبق ذكره ذرياتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء
لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء من مثله من مثل الفلك
ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح عليه السلام ومعنى
حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين في اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر
ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى
يوم القيمة في سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق
ولا صريخ لهم لا مغيث او لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من
الموت بالغرق الا رحمة الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة الى حين الى اجل يموتون فيه
لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت

من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط
من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق فقيل له فقال اردت كان ذاك ولكن
تجعل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ
على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف
اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير الازواج الاجناس والاصناف
ومما لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق
من طرق العلم ولا يبعد ان يخلق الله من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى
العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم
بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنه لم نسمهم وفي
الحديث ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه فاعلمنا
بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي
الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه سلخ
جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء
وكشفه من مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما تقول
اعتمنا وادجينا لمستقر لها لحد لها موقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في آخر السنة
شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها
مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها
لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها
اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل
الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة وقرئ تجري الى مستقر لها
وقرا ابن مسعود لا مستقر لها اي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على ان لا
بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي يكل الفطن عن استخراجه وتتحير
الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم

وقرئ والقمرُ رفعاً على الابتداء او عطفاً على الليل يعني ومن آياته القمر ونصباً بفعل
يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر
منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر
كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستوٍ لا يتفاوت يسير فيها
من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه
المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان
البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة
الصرفة العواء السماك الغفر الزباني الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح
سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا
فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو العذق
ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف
وقرئ كالعرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا
قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم الحول
فلو اوصى رجل قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول
واكثر وقرئ سابقُ النهارِ على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما
قسماً من الزمان وضرب له حداً معلوماً ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل
لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطاناً على
حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل
النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله
ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها فان قلت
لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس لا تقطع فلكها
الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بان توصف بالادراك
لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر خليقاً بان يوصف بالسبق لسرعة سيره
وكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره
ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفي
الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر

بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت
من الحمام الى الحمام وقرئ الحسن نغرقهم اذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم
كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد
ما تقدم من ذنوبكم وما تاخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع التي خلت
يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائهم وما خلفكم من امر الساعة
لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف دل عليه
بقوله الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودابهم
الاعراض عند كل آية وموعظة كانت زنادقة منهم يسمعون المومنين يعلقون افعال الله
بمشيئته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلاناً ولو شاء الله لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا
هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمومنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشيئة الله
ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنا
والفقر من الله تعالى لانهم معطلة لا يومنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة
فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل
كانوا يوهمون ان الله لما كان قادراً على اطعامهم ولم يشأ اطعامهم فنحن احق
بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء اصحاب رسول الله عليه السلام اعطونا
مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام
نصيباً فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم ان انتم الا في ضلال من قول الله لهم او حكاية
قول المومنين لهم او هو من جملة جوابهم للمومنين قرئ وهم يخصّمون بادغام التاء
في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على
الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطر
ببالهم مشتغلين بخصومتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه
ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضاً وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم يخصمون

في الجحة في أنهم لا يمهلون لا يستطيعون أن يوصوا في شيء من أمورهم توصية ولا يقدرون
على الرجوع إلى منازلهم وأهاليهم بل يموتون حيث تفجأهم الصيحة قرئ الصور بسكون
الواو وهو القرن أو جمع صورة وحركها بعضهم والأجداث القبور وقرئ بالفاء
وينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية قرئ يا ويلنا وعن ابن مسعود
من أهبنا من هب من نومه إذا انتبه وأهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى أهبنا ومن بعضهم
أراد هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة
والمصدر وهذا مبتدأ وما وعد خبره وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يكون
هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف أي هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف
الخبر أي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون
فيها طعم النوم فإذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا وأما هذا ما وعد الرحمن
فكلام الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين
يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا فإن قلت
إذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود
والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون إذا جعلتها موصولة
قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي
صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره
فإن قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا قلت
معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل إلا أنه جيء به
على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت إليهم أحوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم وأخبروا
بوقوع ما أنذروا به وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده

حتى يهمكم السؤال عن الباعث إن هذا هو البعث الأكبر ذو الأهوال والأفزاع وهو
الذي وعده الله في كتبه المنزلة على ألسنة رسله الصادقين إلا صيحة واحدة قرئت
منصوبة ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس شيئا إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود
وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في أي شغل وفي شغل
لا يوصف يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل
إلى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي أعدها
الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة
والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي الأهوال وتجاوز
الأخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في
افتضاض الأبكار وعنه في ضرب الأوتار وعن ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله
وعن الحسن شغلهم عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن أهاليهم
من أهل النار لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم قرئ في
شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ
ومنه الفاكهة لأنه مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فاكهون
وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس
وقرئ فاكهين وفكهين على أنه حال والظرف مستقر هم يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون
تأكيدا للضمير في شغل أو في فاكهون على أن أزواجهم يشاركنهم في ذلك التشاغل والتفكه
والاتكاء على الأرائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والأرائك السرر في
الحجال وقيل الفرش فيها وقرأ ابن مسعود متكئين يدعون يفتعلون من الدعاء أي
يدعون به لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل

وهي النفخة الأخيرة م

وله إذا اشتد حنينه م

أي ذكي م

أي الظرف يقع خبرا لقوله إن أصحاب الجنة اليوم إذا جعلت فاكهين حالا م

ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي
ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى أي في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من
الدعاء أي ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم وسلام بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام
يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة
مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون
عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم
خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام أي عدة من رب رحيم
والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين
وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال أي لهم مرادهم خالصا وامتازوا وانفردوا
عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة ونحوه قوله
تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا
عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه
أن بعضهم عيانا من بعض العهد الوصية وعهد إليه إذا وصاه وعهد الله إليهم ما ركز
فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به
إليهم ويزينه لهم وقرئ إعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر
إلا في الياء وأعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب
يضرب وأحهد بالحاء وأحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا أي دعها معها هذا إشارة
إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن إذ لا صراط أقوم منه ونحو
التنكير فيه ما في قول كثير لئن كان يهدى برد أنيابها العلى لأفقر مني إنني لفقير
أراد أنني لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فيّ وإلا لم يستقم معنى البيت

وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط
يجب أن يكون عليه ويجوز أن يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه
والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي إلى الضلالة
والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذي هو أقوم الطرق أن يعتقد فيه كما يعتقد
في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ
الذي ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الإعراض عن نصائحه وقرئ
جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديد وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين
وتشديد وهذه لغات في معنى الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي
رضي الله عنه جيلا واحد الأجيال يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم
جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم
وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لا أجيز علي
شاهدا إلا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام
فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وقرئ
ونختم ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم
وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله يأمر الأعضاء
بالكلام والشهادة والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط
لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو
يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا إليه أو ينتصب على الظرف والمعنى
أنه لو شاء لمسح أعينهم فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيع الذي اعتادوا
سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا إليها كثيرا كما كانوا يستبقون
إليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا وا

او يعلموا جهة السلوك فضلا من غيره او لو نشاء لاعميناهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين في الطريق المألوف كما كان مجيئهم لم يستطيعوا او لو نشاء لاعميناهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يمتد دون فيما الفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها على مكانتهم وقرئ مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع واختلف في المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضي والمضي كالعتي والعتي والمضي كالصبي ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه قبلا وذلك انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ ننكسه ونكسه من التنكيس والانكاس افلا يعقلون بالياء والتاء كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروي ان القائل عقبة بن ابي معيط فقيل وما علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر

من الضراوة وهي الاعتياد

صح عقله

على معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء من معانيه واين نظم كلامهم واساليبه فاذا لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظه عربي كما ان ذاك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه ليكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له فان قلت فقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قلت ما هو الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انه شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين وكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر لينذر القرآن او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه من كان حيا اي عاقلا متأملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيى بالايمان ويحق ويجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر

صح عن نظمه

صح القول

على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدايع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو
وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناها
اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون
قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبطه وهو
من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القايل
يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير وتضربه الوليدة
بالهراوي فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم سبحانه وتعالى الراكب ان يشكر هذه
النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرئ ركوبهم
وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم
اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم منافع من الجلود والاوبار والاصواف
ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله وجعل لكم من جلود
الانعام بيوتا والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب اتخذوا
الالهة طمعا في ان يتقووا ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند
لالهتهم معدون محضرون يخدمونهم حيث هم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والالهة
لا استطاعة لهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم لينصروهم عند الله وليشفعوا لهم
والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيمة جند معدون لهم محضرون لعذابهم
لانهم يجعلون وقود النار وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه
والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم
وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه
صورة حاله وحالهم في الاخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فان قلت
ما تقول فيمن يقول ان قرأ قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلوته وان اعتقد ما يعطيه

من المعنى كفر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل
وهو كثير في القران والشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر
سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة
وفتح الشافعي رحمهما الله وكلاهما تعليل والثاني ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا
نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قايم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول
فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله تعالى عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها
وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل
كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته
كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القايل فما فيه الا نهي رسول الله عليه السلام
عن الحزن على كون الله تعالى عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى
الى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر
قبح عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان
وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث
قرره بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شيء وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة
من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله
ودناءة اوله لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج
ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعدما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم
وصف له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة
التي لا مطمح وراءها وروي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي و
ابو جهل والعاص بن وايل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا ترون
الى ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه

باجمعه صح

ولا خصومة واخذ عظما باليا فجعل يفتّه بيده ويقول أترى الله يحيي هذا بعد ما رمّ
قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم مبين
فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما
في نفسه فصيح كما قال اومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فان قلت
لم سمى قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا قلت لما دلّ عليه من قصة عجيبة
شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه لأن ما انكر
من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام
على طريق الانكار لأن يكون ذلك مما يوصف الله بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها
له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة
والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول
ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحيوة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لأن الموت
يؤثر فيها من قبل ان الحيوة تحلها واما اصحاب ابي حنيفة رحمه الله فهي عندهم طاهرة وكذلك
الشعر والعصب ويزعمون ان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد
باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس وهو
بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من المنشآت والمعادات ومن اجناسها
وانواعها وجلائلها ودقائقها ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر
مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي يوري بها الاعراب واكثرها
من المرخ والعفار وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما
غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار
وهي انثى فينقدح النار باذن الله وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب
قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى

كذينقة القادسية

خلق صح

اي استكثره

ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم من قدر
على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي اقدر وفي معناه لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة
بالاضافة الى السموات والارض او ان يعيدهم لأن المعاد مثل للمبتدأ وليس به وهو الخلاق
الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات وقرئ الخالق انما امره انما شأنه
اذا اراد شيئا اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن ان يكونه
من غير توقف فيكون فيحدث اي فهو كائن موجود لا محالة فان قلت ما حقيقة قوله
ان يقول له كن قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لأنه لا يمتنع عليه شيء من
المكونات وانه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع فان قلت
فما وجه القراءتين في فيكون قلت اما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لأن
تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول له كن واما النصب فللعطف على يقول
والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة
بمحال القدر واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره
وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور
حتى يعجز عن الاعادة فسبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه
ما قالوا بيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا
حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء
وفتحها وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك
فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان
قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كأنما قرأ القرآن
اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها

عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله و
يتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت
لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة
يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان
ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم
ان في القرآن سورة تشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس ٥

سورة الصافات مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم سبحانه بطوائف الملائكة
او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة من قوله تعالى وانا لنحن الصافون او اجنحتها
في الهواء واقفة منتظرة لامر الله تعالى فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات
لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله والطير صافات
والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم
بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات
فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه او بنفوس
قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر
مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن ابي طالب فان قلت
ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات قلت اما ان تدل على ترتب
معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كانه قال
الذي صبح فغنم فآب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل
فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم
الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق امر الفاء العاطفة في الصفات

فان قلت فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده قلت ان وحدت
الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب
الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين
لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم
التلاوة واما على العكس وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة
الاولى على طوائف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات
في الفضل اعني ان الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر
فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية
وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد
والزاي والذال رب السموات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف والمشارق
مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في مشرق منها وتغرب
في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين فان قلت فماذا اراد بقوله
رب المشرقين ورب المغربين قلت اراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما
الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما
تلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته الى
الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى المفعول بان
زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها واصله بزينة
الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش وابن وثاب وان اردت الاسم فللاضافة
وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به
وان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز
ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها

اي وان جعل الاجناس ثلاثة مختلفة

ومشارقها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال
ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا
خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا
من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج
من الطاعة المتملس منها الضمير في لا يسمعون لكل شيطان لانه في معنى الشياطين وقرئ
بالتخفيف والتشديد واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع وعن
ابن عباس هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد فان قلت
لا يسمعون كيف اتصل بما قبله قلت لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان
او استئنافا فلا يصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له و
كذلك الاستئناف لان سائلا لو سال لم تحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان
يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون
ان يسمعوا الى كلام الملائكة او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك
الا من امهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب
الثاقب فان قلت هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت
في قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القائل الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده
فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب
فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه قلت
المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك والملأ الاعلى
الملائكة لانهم يسكنون السماوات والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس

صح وسمعت اليه يتحدث

هم الكتبة من الملائكة وعنه اشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب السماء
من اي جهة صعدوا للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد
او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون
او قذفا وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طردا او على انه قد جاء
مجيء القبول والولوع والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعني انهم في الدنيا مرجومون
بالشهب وقد اعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع من في محل الرفع بدل من
الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ
خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها
واصلهما اختطف وقرئ فاتبعه وفاتبعه الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام
في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم أهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير
لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته ام من خلقنا
يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسماوات والارض والمشارق والكواكب والشهب
الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله
بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم أهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة و
قوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه قال
خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم أهم اشد خلقا ام الذي خلقناه
من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ ام من عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا
يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد
لانكارهم البعث والنشأة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة و
لم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة
عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم

اى الهمزة فى قوله اهم

بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث
قالوا ائذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا
من الامم الماضية وليس هذا القول بملائم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد والثاقب
الشديد الاضاءة بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون من
تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله او من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث
وقرئ بضم التاء اي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء لجهلهم
وعنادهم يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله
بالقدرة عليهم فان قلت ـــــ كيف يجوز العجب على الله وانما هو روعة تعتري الانسان
عند استعظام الشيء والله عز وجل لا يجوز عليه الروعة قلت ـــــ فيه وجهان
احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث
عجب ربكم من الّكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول
ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله
اعلم منه يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت واذا
ذكروا ودأبهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا رأوا آية من آيات البينة
كانشقاق ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض
ان يسخر منها وآباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي
جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد
يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرئ او آباؤنا قل نعم وقرئ نعم بكسر العين
وهما لغتان وقرئ قال نعم اي الله او الرسول والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون
صاغرون فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة وهي لا ترجع
الى شيء انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية

والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فريعت لصوته
ومنه زجر اي عن وقع السباع اذا اشفوا ان يختلط بالغنم يريد نفوسهم فاذا هم
احياء بصراء ينظرون يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة
بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام
الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي
ندان فيه اي نجازى باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة
احشروا خطاب الله للملائكة او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم وضرباءهم عن النبي
صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة اهل الزنا مع اهل الزنا واهل
السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم
فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر
بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون
قد اسلم بعضهم بعضا وخذله من عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون ولا
تناصرون بالادغام اليمين لما كانت اشرف العضوين وامتنهما وكانوا يتيمنون بها
فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون
بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا من
البارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور
باليمين واراذلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء وجعلت
اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه
والمسيء ان يؤتى بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي
من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله وجاء في بعض التفاسير من اتاه الشيطان
من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات

ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن أتاه من
خلفه خوّفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤدّ زكوة فان قلت
فقولهم أتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز قلت
من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولك ان تجعلها مستعارة
للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا
عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسروننا
عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم
انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا
عليكم من سلطان من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين
الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون
لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال
انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه
قول القائل لقد زعمت هوازن قلّ مالي ولو حكى قولها لقال قلّ مالك ومنه قول المحلّف
للحالف احلف لاخرجنّ ولتخرجنّ الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلّف
على المحلَّف فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة محصّلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم
الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم فان الاتباع
والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية
انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبه
انهم كانوا اذا سمعوا كلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وابوا الا الشرك
لشاعر مجنون يعنون محمدا عليه السلام بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين
كقوله مصدقا لما بين يديه وقرئ لذائقوا العذاب على النصب على تقدير النون كقوله

ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على الاصل لذائقون العذاب الا ما كنتم
تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ الا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء
المنقطع فسّر الرزق المعلوم بالفواكه وهو كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ
الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام
محكمة مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق
معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم
الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله
في جنات يأباه وقوله وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على
سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب ان يتشوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم
ما يجب ان ينفر عنه نفوسهم هوان اهل النار وصغارهم التقابل اتم للسرور وآنس
وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها
كأسا قال وكأس شربت على لذة وعن الاخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا
في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض
الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال
الله تعالى وانهار من خمر بيضاء صفة للكأس لذة اما ان توصف باللذة كأنها
نفس اللذة وعينها او هي تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك
رجل طب قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان
يريد النوم الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه الغول التي في
تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم وينزفون على البناء للمفعول
من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال
للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها

متقابلين صح

تمامه: واخرى تداويت منها بها / لكي يعلم الناس اني امرؤ / اتيت المعيشة من بابها

مكان بالشام اي كطعم الشراب الصرخدي والطعم الذوق

اي غول الفعل ... اي يهلكه وكل ما اغتال الانسان فاهلكه فهو غول

وفي أمثالهم أجبن من المنزوف ضرطاً وقرئ ينزفون من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه قال العمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى أنتم آل أبجرا ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف فهو نزيف كقرب يقرب إذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك ولا هم يسكرون وهو أعظم مفاسدها فأفرده وأفرده بالذكر قاصرات الطرف قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفاً إلى غيرهم كقوله تعالى عرباً والعين النجل العيون شبههن ببيض النعام المكنون في الأداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور فإن قلت علام عطف قوله فأقبل بعضهم على بعض قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا إلا أنه جيء به ماضياً على عادة الله في أخباره وقرئ من المصدقين من المصدق فمن المصدق ومن المصدق فمن مشدد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض إخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيراً منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئاً لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء أو لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال يعني ذلك القائل هل أنتم مطلعون إلى النار لأريكم ذلك القرين قيل إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار وقيل القائل الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لأهل الجنة هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار وقرئ مطلعون فاطّلع وفاطُّلع بالتشديد على لفظ الماضي

والمضارع المنصوب وقرئ مطلعون فأطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان وأطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرين فأطلع أنا أيضاً أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وإن جعلت الاطلاع من أطلعه غيره فالمعنى أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة أن لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعونني فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع إلا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن أبي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي إن مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه إن كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والإرداء الإهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين ونعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الإسلام والبراءة من قرين السوء وإنعام الله بالثواب وكونه من أهل الجنة من المحضرين من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله لهم للعلم بأعمالهم إلا الموتة الأولى بخلاف الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثاً بنعمة الله واغتباطاً بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخاً له يزيد به تعذباً وليحكيه الله فيكون لنا لطفاً وزاجراً ويجوز أن يكون قولهم جميعاً وكذلك قوله إن هذا لهو الفوز العظيم أي إن هذا الأمر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريراً لقولهم وتصديقاً له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع إلى ذكر الرزق المعلوم

فقال أذلك الرزق خير نزلا أي خير حاصلا أم شجرة الزقوم وأصل النزل الفضل
والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم
اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الألم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك
أن تجعله حالا كما تقول ثمر النخلة خير بلحا أم رطبا يعني أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة
وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان
من الرزق ومنه أنزال الجند لأرزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن
ومعنى الأول أن للرزق المعلوم نزلا وللشجرة الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا ومعلوم
أنه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى الرزق المعلوم
واختار الكافرون ما أدى إلى الشجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم
فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء لهم في الدنيا وذلك أنهم قالوا
كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة في أصل الجحيم
قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها والطلع للنخلة فاستعير
لما طلع من شجرة الزقوم من حملها إما استعارة لفظية أو معنوية وشبه برؤس
الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح
في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة
كأنه وجه الشيطان كأنه رأس شيطان وإذا صوره المصورون جاؤوا
بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه خير محض
لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك
كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا
وقيل إن شجرا يقال له الأستن منتنا خشنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين
وما سمت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين إلا قصدا إلى أحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية

البلح قبل البسر والواحد بلحة أول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر الطو

المراد باللفظية أن لا ينظر إلى المعنى الذي الاستعارة فرعه بل يستعار اللفظ فقط والمعنوية أن تشبه ثمرة شجرة الزقوم ثم يستعار اسم الطلع

أي ذات عرف

بذلك رجع أصلا ثانيا يشبه به منها من الشجرة أي من طلعها فمالئون بطونهم لما يغلبهم
من الجوع الشديد أو يقسرون على أكلها وإن كرهوها ليكون بابا من العذاب فإذا شبعوا
غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق وصديد شوبا أي خلطا من حميم يشوي وجوههم
ويقطع أمعاءهم كما قال في صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو
اسم ما يشاب به والأول تسمية بالمصدر فإن قلت ما معنى حرف التراخي في قوله
ثم إن لهم عليها وفي قوله ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم قلت في الأول وجهان أحدهما
أنهم يملؤون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون إلا بعد ملي
تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني أنه ذكر
الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع فجاء بثم للدلالة على
تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني
أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم
فيأكلون إلى أن يتملؤوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون إلى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين
وقرئ ثم إن منقلبهم ثم إن مصيرهم ثم إن سنقذهم إلى الجحيم علل استحقاقهم الوقوع في تلك
الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين واتباعهم إياهم على الضلال وترك اتباع الدليل
وللإسراع الإسراع الشديد كأنهم يحثون حثا وقيل الإسراع فيه شبهة بالرعدة
ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش مشرك دين أنبياء حذروهم العواقب المنذرين الذين
أنذروا وحذروا أي أهلكوا جميعا إلا عباد الله الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله
دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين لما ذكر إرسال المنذرين في الأمم الخالية
وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر نوح عليه السلام ودعائه إياه حين أيس
من قومه واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره
فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى أنا أجبناه أحسن الإجابة

سكان مرجعهم

وأوصلهما الى المراد وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون هم الباقين
هم الذين بقوا وحدهم وقد فنى غيرهم وقد روى انه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده
وهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح
وكان لنوح عليه السلام ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب
وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج
ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح
يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له دعاء وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها
فان قلت فما معنى قوله في العالمين قلت معناه الدعاء بثبوت
هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح
عليه السلام وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم علل مجازاة نوح عليه
بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بانه كان محسنا
ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى
من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه من شيعته ممن شايعه
على اصول الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين
ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته
وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم الفان
وستمائة واربعون سنة فان قلت بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة
من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم
او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص
لانه مطلق فليس بعض الآفات اولى من بعض فيتناولها كلها فان قلت ما معنى المجيء
بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك

اي تركنا عليه ان يقول الآخرون سلام على نوح في العالمين فارتفع بالحكاية ٥

منها ٥

بقلبه ربه

أإفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل
للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على
افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني أتريدون افكا ثم فسر
الافك بقوله آلهة من دون الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى أتريدون
آلهة من دون الله آفكين فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين
استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر
في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم
الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم
غيره في النجوم في علم النجوم او في كتابها او في احكامها وعن بعض الملوك انه
سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه كان القوم
نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه يسقم فقال اني سقيم اي مشارف
للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا
عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام
ما فعل فان قلت كيف جاز له ان يكذب قلت قد جوزه بعض الناس
في المكيدة في الحروب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين
والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابراهيم عليه السلام معراض
من الكلام ولقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد
فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء وقد مات رجل فجاءة فالتف
عليه الناس فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي أصحيح من الموت في عنقه وقيل اراد
اني سقيم النفس لكفركم فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم
الى اصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله اين شركائي الا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها

اي مكتوب عليه

وكان عندهم طعام زعموا انها تأكل منه وقيل وضع الطعام ليبارك فيه ٥

صح

فاقبل عليهم

وبالنطق لما عرض حال عبدتها فراغ عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى
ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما
الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل
بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم يزفون يسرعون من زفيف النعام
ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا
ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع
ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه فان قلت
بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم
كالتناقض حيث ذكر ها هنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم
اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم انهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم
سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الاخر انهم
استدلوا بذمه على انه الكاسر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون
الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية
من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها للتبرك عليه و
راوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه اولئك النفر نميمة
صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني
ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم
وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على اعين الناس والله خلقكم وما تعملون
يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي
فطرهن اي فطر الاصنام فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم
حيث اوقع خلقه وعملهم عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي

وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل اشكال هذه الاشياء وصورها دون
جواهرها والاصنام جواهر واشكال فخالق جواهرها الله وعاملو اشكالها الذين
يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض اجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فان قلت
فما انكرت ان تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول
المجبرة قلت اقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب
ان معنى الاية يأباه اباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك ان الله تعالى قد احتج عليهم
بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذي
عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر ان يصور نفسه ويشكلها ولو قلت
والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو ان
قوله وما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها
عن اختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن
فان قلت اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما الزمت واريد وما تعملونه من اعمالكم
قلت بل الالزامان في عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها
موصولة فانك في ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وايضا
فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون
الاعيان التي هي الاصنام وبما تعملون المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره
كما اذا جعلتها مصدرية الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر
فوق جمر فهي جحيم والمعنى ان الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا واذلهم بين يديه ارادوا ان
يغلبوه بالحجة فلقنه والهمه ما القمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فابطل الله مكرهم
وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه اني ذاهب الى ربي مهاجر اليه الى حيث امرني بالمهاجرة
اليه من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني

صح فيها

جعلتها

صح جمر

صح الله

ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كأن الله
وعده وقال له ساهديك فاجرى كلامه على سنن موعده او بناه على عادة الله معه في مدد الله
وارشاده او اظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال
كما قال موسى عليه عسى ربي ان يهديني سواء السبيل رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين
يعني الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا
له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لابن عباس حين هنأه بولد على ابي الاملاك شكرت
الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وموهوب ووهب وموهب
وقد انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما
واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة
وجوده ولقد نعت الله به ابراهيم في قوله ان ابراهيم لاواه حليم ان ابراهيم لحليم اواه منيب
لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه فان فلما
معه يتعلق بــ لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف ولا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه
بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا يتقدم عليه فيتعين ان يكون بيانا كانه لما
قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من قال مع ابيه والمعنى في اختصاص
الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله
لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد انه
على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولية كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره
على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم اني ارى في المنام فقيل له
اذبح ابنك ورؤيا الانبياء عليهم السلام وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال اني ارى

في المنام اني اذبحك فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى انه راكب
في سفينة رأيت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له
ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روّى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله
ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن
ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وقيل ان الملائكة
حين بشرته بغلام حليم قال اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف
بنذرك فانظر ماذا ترى من الرأي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تُري اي ماذا تبصر
من رأيك وتبديه وماذا تُرى على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الرأي
افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امرا وقرئ ما تؤمر به
فان قلت لم شاوره في امر هو حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع
الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره
ان جزع ويأمن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها
ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان
المغافصة بالذبح مما يستشنع وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة
في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فان قلت لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة
قلت كما ارى يوسف عليه السلام سجود ابويه واخوته له في المنام من غير وحي
الى ابيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك
من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين لان الحال اما حال
يقظة او حال منام فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد
احدهما يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له

وخضع واصله من قولهم سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله
واسلم مشتق منه وحقيقته معناه اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك
معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله
للجبين صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد
ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في
الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم فان قلت
اين جواب لما قلت هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان
يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما لا ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما
واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله
وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله
الذي ليس وراءه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما
من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس البلاء المبين الاختبار البين الذي
يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها
الذبح اسم لما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى
في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس
لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهي السنة
في الاضاحي وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه
وقع فداء عن ولد ابرهيم وروي انه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى
اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح
ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله
والله اكبر فقال ابرهيم عليه السلام الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبيح

انه حين اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير
اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي
فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي حتى
تجهز علي ليكون اهون فان الموت شديد واقرا على امي سلامي وان رايت ان ترد قميصي على امي
فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله
وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم يعمل لان الله ضرب صفيحة نحاس
على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول
بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت
الرؤيا فنظر فاذا جبريل معه كبش اقرن املح فكبر جبريل والكبش وابرهيم وابنه واتى
المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود الى الارض جاء الفرج وقد استشهد
ابو حنيفة رحمه الله بهذه الاية فيمن نذر بذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة فان قلت
من كان الذبيح من ولديه قلت قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي
وجماعة من التابعين انه اسمعيل والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين
وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم
نذر لله لئن سهل الله امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا
افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال
كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى
يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابراهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين اظهرهم
قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابرهيم قط ولا خير
بيني وبين شيء قط الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس
من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه ان الله لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق

ومن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني
لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم
يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي
بني اسمعيل الى ان احترق البيت ومن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال
يا اصيمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحاق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت (عنك صح)
مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله عز وجل وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل
واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله
انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله بشر باسحق
وولده يعقوب في قوله فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان
خلفا للموعد في يعقوب وعن علي بن ابي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة
من التابعين رضي الله عنهم انه اسحق والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم حين هاجر الى
الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام
المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله
ابن ابرهيم خليل الله فان قلت ـــ قد اوحي الى ابرهيم عليه السلام في المنام بان يذبح
ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح (قد صح)
قلت ـــ قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة
على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى
انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج
وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل
في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه فان قلت ـــ الله تعالى
هو المفتدي منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه قلت ـــ

الفادي هو ابرهيم عليه والله تعالى وهب له الكبش ليفتدي به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء
الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته فان قلت ـــ فاذا كان ما اتى به ابرهيم من
البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من
الذبح ببدل قلت ـــ قد علم بمنع الله ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج
وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة
في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه فان قلت ـــ فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة
وقد استغني عنها بقيام ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان قلت ـــ
الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المامور به
من كل وجه فان قلت ـــ لم قيل ههنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص
انا كذلك قلت ـــ قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكأنما استخف بطرحه اكتفاء
بذكره مرة عن ذكره ثانية نبيا حال مقدرة كقوله ادخلوها خالدين فان قلت ـــ
فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخل موجود مع وجود الدخول
والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به
فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان
الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد
النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال
صفة للفاعل او المفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند
دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل
الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت ـــ
هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف (ولكن صح)
محذوف وذلك وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل

قال الذبح هو الاعتماد
او الاعتمادات وقد وجد
ذلك ولكن الانذباح لم يوجد
كما تقول هديته فلم يهتد
او هديته فاهتدى
او كسرته فانكسر
او كسرته فلم ينكسر

[illegible]

في الحال لا توجد لا فضل البشارة وبذلك يرجع نظيره قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين
حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لابد ان يكون من الصالحين
وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعدما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح
اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته
معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا وباركنا عليه وعلى اسحق
وقرئ وبركنا اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا
وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل وباركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان
اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه نظيره قوله قال ومن ذريتي قال
لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبيث والطيب لا يجري امرهما على العرق
والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر
وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب
على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه من الكرب العظيم من الغرق او
من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما
وقومهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة كما قال انا انزلنا التوراة
فيها هدى ونور وقال من جوز ان يكون التوراة عربية انها مشتقة من ورى الزند فوعلة
منه على ان التاء مبدلة من واو والصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين
انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقرئ الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل
وقيل هو ادريس النبي وقرا ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل
هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم
كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه
فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه وكان الشيطان يدخل

في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم
اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من
بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله الله ربكم
ورب آبائكم قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل
نصب واذا وقف رفع وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين على انها
لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على
الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون فان قلت
فهلا حملت على هذا الياسين على القطع واخواته قلت لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما
من قرأ على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل مصبحين داخلين في الصباح
يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا افما فيكم عقول تعتبرون بها قرئ
يونس بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز والمساهمة
المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق
عن مقام الظفر والغلبة روي انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا هاهنا عبد ابق من سيده
وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس
فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال
رب لائم مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما
جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي من المسبحين من الذاكرين
الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان
كثير الصلاة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع
وجد متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته

وجمع همته لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة ليشفعه ذلك عند الله في المضايق
والشدائد للبث في بطنه الظاهر لبثه فيه الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا
الى يوم القيمة وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله
لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك عشرون يوما وعن عطاء
سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي
التقم فيه وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم
حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية
من الموصل والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به
وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد واليقطين كل ما ينسدح على وجه الارض
ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به
وقيل هو الدباء وفائدة الدباء ان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقه
واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه
فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى اليه بكيت
على شجرة ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر فان قلت ما معنى انبتنا عليه شجرة
قلت انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه الى مائة الف
المراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى
عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا
هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا او يزيدون
في مرأى الناظر اي اذا رآها الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة
الى حين الى اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين فاستفتهم معطوف على مثله

في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث
اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى
التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم
الشديدة لهن ووادهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة انواع من
الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل انفسهم على ربهم
حين جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا
وهو كظيم والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم
وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه
وذلك في اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها في كتابه مرات ودل
على فظاعتها في آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات
يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى يكون له ولد
الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات
سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى
البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون فان قلت
لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل
وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق
ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل [illegible] قوله
عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله
اي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول

معنى

هذه ولدى وهؤلاء ولدى فان قلت اصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام
على طريق الانكار والاستبعاد وكيف صحت قراءة ابى جعفر بكسر الهمزة على الاثبات
قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرا بها حمزة والاعمش
وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهى ضعيفة والذى اضعفها ان الانكار قد
اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات
فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر ام لكم سلطان اى حجة
نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذى انزل عليكم
فى ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الايات
صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب
التى وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها
مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفس
فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بين الله وبين الجنة واراد
الملائكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم
واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة فان قلت لم سمى الملائكة جنة
قلت قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو
شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم فى هذا الموضع
باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين
فى انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة التى اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من
صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح له ان يناسب من لا يجوز
عليه ذلك ومثاله ان تسوى بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك اتسوى بينى و
بين عبدى واذا ذكره فى غير هذا المقام وقره وكناه والضمير فى انهم لمحضرون

للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون فى الملائكة وقد علم الملائكة انهم فى ذلك كاذبون
مفترون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة فى التكذيب
حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن
الحسن اشركوا الجن فى طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير فى انهم
لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون ان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين
له او شركاء فى وجوب الطاعة لما عذبهم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع
من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه
ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو فى يصفون اى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء
من ان يصفوه به والضمير فى عليه لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا
بفاتنين على الله الا اصحاب النار الذين سبق فى علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها
فان قلت كيف يفتنونهم على الله قلت يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم
من قولك فتن فلان على فلان امراته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان يكون الواو فى
وما تعبدون بمعنى مع مثلها فى قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته
جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه
فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم اى فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون
تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اى على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة
والاضلال الا من هو صال الجحيم مثلكم او يكون فى اسلوب قوله فانك والكتاب الى على
كدابغة وقد حلم الاديم وقرا الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه وجهان احدهما
ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هى ولام التعريف فان قلت
كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه
والصالون على معناه كما حمل فى مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه فى آية واحدة والثانى

ان يكون اصله صايل على القلب ثم يقال صال في صايل كقولهم شاك في شائك والثالث ان يحذف
لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية
من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرا وجنا الجنتين دان وله الجوار المنشآت
باجراء الاعراب على العين وما منا احد الا له مقام معلوم فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا * بكفي كان من ارمى البشر * مقام معلوم
في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روى فمنهم راكع لا يقيم
صلبه وساجد لا يرفع راسه لنحن الصافون نصف اقدامنا في الصلوة او اجنحتنا
في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان
المسلمين انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه الاية وليس يصطف احد من اهل الملل
في صلوتهم غير المسلمين المسبحون المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله
من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد
علمت الجنة كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة
رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرءوهم
منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم والهتكم لا تقدرون ان تفتنوا
على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله بكفرهم لا لتقديركم وارادته
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة
وتجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة
لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا
لعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم
وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين احد الا له مقام
معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر

اى وكيف تجمعنا

اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه عما يضيف اليه من لا يعرفه
مما لا يجوز عليه هم مشركو قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اى كتابا من كتب الاولين
الذين نزل عليهم التورية والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولا
خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من
بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم
وما يحل بهم من الانتقام وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفي ذلك انهم كانوا
يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اول امرهم واخره الكلمة قوله انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت
في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج
وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الاخرة كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة
ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم
في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى
عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه
والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة
والحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الاخرة وفي قراءة ابن مسعود
على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين
الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدى الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى
يوم القيمة وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الاخرة فسوف يبصرون ذلك
وما يقضى لك من النصرة والتاييد والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال
المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كانها
قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما سلف

لا للتبعيد مثّل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصّاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا دبّروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشنّ عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسمّيت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها هذه الروعة التي تحسّ بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرأ ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا والآن ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله يوم الفتح بمكة وعن انس لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس رجعوا الى حصنهم فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وانما ثنى وتولّ عنهم ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزّه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خوّلوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيّض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلّوا به ولا يغفلوا عن مضمّنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه

المجيد وعن علي رضي الله عنه من احبّ ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام عن مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين ٥ تم المجلد الثالث من الكشاف بحمد الله تعالى

وحسن توفيقه على يد العبد الفقير عبد الله بن

محمود بن الحسين عفا الله عنه

وعن والديه ولسائر

المؤمنين

في جمادى الاخرى لسنة اثنين واربعين

وسبعمائه ٥ بمقام هراه

٧٤٢

من اسرار التنزيل للعلامة الرازي رحمه الله تعالى

قال النحويون قولنا لا اله الا هو ا هو ارتفع لانه بدل من موضع لا مع الاسم وبيانه انك اذا قلت
ما جاني رجل الا زيد فقوله الا زيد مرفوع بالبدلية لان البدل هو الاعراض عن الاول والاجرا بالثاني
فصار التقدير ما جاني الا زيد وهذا معقول لانه يفيد نفي المجي عن الكل غير زيد واما قوله جاني القوم
الا زيد فههنا البدلية غير ممكنة لانه يصير التقدير جاني الا زيد وذلك يقتضي انه جاءه كل احد الا زيد
وذلك محال فظهر الفرق والبحث الثاني اتفق النحويون على ان محل الا في هذه الكلمة محل غير والتقدير
لا اله غير الله وهو كقول الشاعر وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان المعنى كل اخ غير الفرقدين
فانه مفارقه اخوه وقال الله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا قالوا التقدير لو كان فيهما الهة غير الله
لفسدتا والذي يدل على صحة ما قلناه انا لو حملنا الا على الاستثناء لم يكن قولنا الا الله توحيدا محضا لانه يصير
تقدير الكلام لا اله يستثنى عنهم الله فيكون هذا نفيا لالهة يستثنى عنهم الله ولا يكون نفيا لالهة لا يستثنى عنهم الله
بل عند من يقول بدليل الخطاب يكون اثباتا لذلك وهو كفر فثبت ان كلمة الا لو كانت محمولة على الاستثناء لم يكن قولنا
لا اله الا الله توحيدا محضا ولما اجتمع العقلاء على انه يفيد التوحيد وجب حمل الا على معنى غير حتى يكون
معنى الكلام لا اله غير الله وفيه البحث الثالثة في بيان ان الاستثناء من النفي ليس باثبات فيه انه جار في
الحدث والعرف صور كثيرة في الاستثناء من النفي مع انه لا يقتضي الثبوت قال عليه السلام لا نكاح الا بولي ولا صلوة
الا بطهور وفي العرف يقال لا عز الا بالمال ولا مال الا بالرجال ومرادهم من الكل مجرد الاشتراط اقصى ما في
الباب ان يقال قد ورد هذا اللفظ في صور اخرى وكان المراد ان يكون المستثنى من النفي اثباتا الا انا نقول
لا بد وان يكون مجازا في احدى الصورتين الا انا نقول انه لا يقتضي ان يكون الخارج من النفي اثباتا بحيث افاد ذلك
احتمل ان يكون ذلك لزيادة مستفادة من دليل ولا يكون ذلك لما دل عليه اللفظ وان قلنا انه يقتضي ان يكون الخارج
من النفي اثباتا بحيث لا يوجد ذلك لزمنا ترك العمل بما يكون اللفظ دالا عليه ومعلوم ان الاول اولى لان
اثبات الامور الزائدة بدليل ليس فيه مخالفة الدليل اما ترك ما دل الدليل عليه يكون مخالفة للدليل فثبت
بما ذكرنا ان الاستثناء من النفي لا يكون اثباتا واذا ثبت هذا كان قولنا لا اله الا الله نفيا محضا لسائر الالهة
ولا يكون اعترافا بوجود الله تعالى واذا كان كذلك لم يكن مجرد هذا القول كافيا في صحة الايمان وههنا
امكان آخر وهو انا قد دللنا ان كلمة الا بمعنى غير في هذا الموضع واذا كان كذلك كان قولنا لا اله الا الله
معناه لا اله غير الله فيصير المعنى نفيا لالهة تغاير الله ولا يلزم من نفي ما يغاير الشي اثبات ذلك الشي
وحينئذ يعود الاشكال والجواب من وجهين الاول ان اثبات الاله كان متفقا عليه بين كل العقلاء
بدليل قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فكان ذلك معلوما ظاهرا متفقا عليه الا
انهم كانوا يثبتون الشركاء والاضداد والانداد وكان المقصود من هذه الكلمة نفي الاضداد والانداد
واما القول باثبات الاله للعالم فذلك من لوازم العقول الثاني ان كلمنا ان هذه الكلمة كما دلت على
نفي سائر الالهة دلت على اثبات الهية الله تعالى الا انا نقول هذه الدلالة يكون حاصلة بوضع الشرع
لا بمفهوم اصل اللغة فهذا تمام القول في هذا المقام وفيه اعلم انه يجوز لا رجل في الدار ولا رجل
اما على الوجه الاول فانه يوجب النفي بالكلية والدليل عليه ان قولنا لا رجل في الدار يقتضي نفي ماهية الرجل ونفي الماهية
واما قولنا لا رجل في الدار فهو يقتضي نحو قولنا رجل في الدار لكن قولنا رجل في الدار يفيد ثبوت رجل واحد فقولنا
لا رجل

لا رجل في الدار وجب ان لا يفيد عموم النفي حتى يحصل التناقض بين القولين وفيه من الناس من قال انه
في كلمة لا من قولنا لا اله الا الله ويبالغ في تمديده لان المكلف في زمان التمديد يستحضر في ذهنه جميع الانداد والا
ونفيها ثم بعد ذلك يعقب هذه الكلمة بقوله الا الله فيكون ذلك اقرب الى الاخلاص والكمال ومنهم من قال بل ترك
اولى لانه ربما مات في زمان التمديد قبل الانتقال الى كلمة الا والذي عندي ان المتلفظ بهذه الكلمة ان كان في سلب
من الكفر الى الايمان فترك التمديد اولى حتى يحصل الانتقال من الكفر الى الايمان على اسرع الوجوه وان كان المتلفظ
فالتمديد اولى حتى يحصل في زمان التمديد حضور الاضداد والانداد على التفصيل في الخاطر ونفيها تحقيقا
فيكون الاقرار بالالهية اصفى واكمل ٥

۲۹۹

[illegible]

محمد عربی آبروی هر دو سرا

کسی که خاک درش نیست خاک بر سر او

[illegible]